أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يشترك في القيمة
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٠١٤

الجزء السابع — السنة الرابعة والثلاثون — رمضان سنة ١٣٨٢ هـ - فبراير ١٩٦٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض الكلام في شهر الصيام

بقلم : أحمد حسن الزيات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال الناس وقلنا في شهر رمضان ما هو أهله ، ولكن القول فيه مهما يكثر يقل في جانب أثره الروحي والنفسي والاجتماعي والقومي ما في ذلك شك . ولو أنك تدبرت أركان الإسلام الخمسة في طبيعتها وشريعتها لتبين لك أن الصوم أشدها اتصالا بالله وأقواها انفعالا بالضمير . فإذا كانت الشهادتان إسلاما لأنهما ذكر ، والصلاة والزكاة والحج إيمانا لأنها تصديق ، فإن الصوم وحده إسلام وإيمان وتقوى ؛ ذلك لأن الرجل قد يشهد بوحدانية الله وبنبوة محمد ، ولكنه لا يقيم صلاة ولا يؤتي زكاة ولا يؤدي حجة ، وقد يقيم هذه الأركان الثلاثة كلها أو بعضها رياء وسمعة ، أو اضطرارا وعادة ، ولكنه لا يصوم رمضان إلا إذا أراد مخلصا أن يحلو صدره بالذكر ، ويطهر نفسه بالعبادة ، ويزود قلبه من مذخور الخير بما يقويه على احتمال الفتن والمحن في دنيا الآمال والآلام بقية العام كله ، وإلا كان له مندوحة عنه بإسرار الإفطار إذا لم يخش الله وخشي الناس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالتقوى إذن هى العنصر الجوهرى لعقيدة الصوم . هى سره ورقيبه وغايته ، وذلك هو المفهوم من قول الرسول صلوات الله عليه ، « قال الله كل عمل لابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به . وهو المعلوم من قوله تعالى ! « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ». والتقوى كلمة تجمع الحدود والقيود التى تضمنها معنى الصوم . وجماعها مجاهدة النفس ومخافة الله ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » ومن مجاهدة النفس فطامها عن اللذة واللهو ، وكفها عن الأذى والمنو ، وفى ذلك تقوية للإرادة ، لأن الإرادة إنما تقوى برياضة النفس على الحرمان المؤلم كما يقوى الجسم برياضة البدن بالجهد العنيف ،

إن مظهر الخوف الخشوع ، وإن مظهر المجاهدة الجوع . وإن للجوع أثراً شديداً فى تصفية النفوس وتلطيف الطباع ، لأن كدر النفس يكون فى الأكثر من كدر الجسد ، فقد قالوا إن البطنة تذهب الفطنة ، لذلك اتخذ كثير من أئمة الدين وأقطاب التصوف الجوع سبيلا إلى تهذيب النفس وتقوية العقل وإذكاء الروح ، قال الإمام على رضى الله عنه يصف العارف بالله : « قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ورق غليظه » يريد بجليله بدنه الضخم وبغليظه طبعه الكثيف ، وقال إبراهيم بن أدهم : « لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يغلق عن نفسه باب الرخاء ويفتح عليها باب الشدة . وقال يحيى بن معاذ : « الجوع للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزاهدين سياسة ، وللعارفين تكرمة » .

ولكن بعد المتصوفين غالوا فى تعذيب الجسم لتهذيب الروح فكان منهم من لا يأكل فى أربعين يوما إلا أكلة واحدة . وهذا أشبه بما يفعل اليوم زهاد الهنود ، والإسلام يسر لا عسر ، والفضيلة هى الطريق الوسط ، وقد قال الرسول الكريم لرجل أكثر الصيام والقيام حتى غارت عيناه : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى .

على أن هؤلاء القوامين الصوامين قد انقرضوا فلم يعد يستقبل رمضان منهم أحد . إنما يستقبله اليوم أقوام بعد عهدهم عن الإسلام الصحيح فعادوا أشبه بذلك الأعرابى الذى أسلم فى أول الإسلام ثم قدم على ابن عم له فى بعض المدن قبل أن يذوق حلاوة الإيمان ويستشعر لباس التقوى ويستبطن حقيقة الدين فأدركه شهر رمضان . فقيل له يا أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان . فقال وما شهر رمضان ؟ قالوا الإمساك عن الطعام . فقال أبالليل أم بالنهار ؟ قالوا بالنهار . قال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أفيرضون بدلا من هذا الشهر ؟ قالوا لا . قال وإن لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا تضرب وتحبس . فصام يوما ثم لم يستطع ، فتحول عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمى وقد زرت مصرهم
تهيأ أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابى ومزودى
سلام عليكم فامكثوا بسلام
وبادرت أرضا ليس فيها مسيطر
على ولا مناع أكل طعام

نعم يستقبل رمضان اليوم أكثر الناس بعقلية هذا الأعرابى ، فيستقبلونه لا باعتباره ركنا من أركان الدين يقيمه من أقامه ويهدمه من هدمه ، ولا باعتباره طهورا للنفس ونورا للقلب وجلاء للشاعر ، إنما يستقبلونه باعتباره تقليداً من التقاليد الموروثة وعيداً من الأعياد المقررة يرخون لأنفسهم فيه الأعنة فيفتنون فى اللذة ويندفقون فى اللهو ، ويقضون الليل على الموائد والنهار على الأسرة . وبين الإفراط فى اللهو والأكل والنوم ، تضيع حكمة الإسلام من فريضة الصوم .

إن رمضان اليوم أصبح ثلاثين عيداً للفطر لا ثلاثين يوما للصوم ، فهو لفظ ضاع معناه ، واسم فقد مسماه ، ورسم كهيل من رسوم الفاطميين ، تجد فيه المسابح فى أيدى الرجال ، والمصابيح فى أنامل الأطفال ، والمآذن تتألق بالنور ، والمنازل تتقلب فى الأنس ، والحوانيت ساهرة الليل والبيوت نائمة النهار ؛ ولكنك لا تجد اليوم ما كنت تجده بالأمس من التقوى التى تعمر القلب والخشوع الذى يغمر المشاعر .

* * *

لا أزال أذكر رمضان القرية وأنا فى الكتّاب . كان كل شىء وكل شخص فيها لرمضان : فالنساء قبل الظهر يخبزن الفطائر للسحور ، وقبل العصر يطهون الطعام للفطور ، والرجال ينامون من بعد صلاة الفجر إلى متوع الضحى ثم يمشون الهوينى بين الحقول خاشعى الأبصار والأصوات لا يزيطون ولا يعيطون ولا يسعى أحدهم بالأذى إلى أخيه ، حتى إذا دنا الأصيل تجمعوا فى المساجد أو على المصاطب يستمعون فى سكون إلى موعظة أو قصة ، فإذا دخلت الشمس فى المطفل فرشوا الحصائر أمام بيوتهم وجلسوا عليها تحت الجدران وأمامهم الصوانى موقرة بطيبات الرزق يدعون إليها عابرى السبيل وطالبى الصدقة ، ثم لا يلبث الإخاء المحض والقرابة الواشجة أن يجعلا الصوانى المتعددة صينية واحدة يصيب منها من يشاء ما يشاء ، ثم تدور عليهم فناجين القهوة كل ليلة من بيت ، فإذا فرغوا من الطعام والشراب فضلوا أن يغسلوا أيديهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأفواههم بالوضوء في المسجد، ثم يبدأون ليلهم بعد صلاة العشاء والتراويح، ثم ينصرفون إلى استماع القرآن واستقبال الإخوان ومسامرة ساذجة مشتركة تجمع أفنانا من شهي الحديث.

كان في كل بيت قارئ مجود يقرأ القرآن، وساق نشيط يوزع الحلوى، ومتكلم لبق يروي أحاديث المدينة وأخبار (الأهرام) وحوادث القرية، فكان الرجال بلحاهم المرسلة وعمائمهم الضخمة وزعابيطهم الفضفاضة ينتقلون من دار إلى دار، ويتنقلون على الخشاف بالنقل والأسمار، وقد طووا أحناء صدورهم على مؤاخاة بعضهم لبعض في الله فلا تنافس ولا تحاسد.

وكلما انقضى نهار من رمضان تغضن سرار من وجوه القوم، حتى إذا لم يبق إلا ربعه الأخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت فندبوه في البيوت والمساجد، ونعوه على الأسطح والمآذن، وبكره يوم الجمعة (اليتيمة) أحر بكاء.

كذلك كان رمضان القرويين في زماننا الأول، كان وحده هو الباقي لهم من غفلات العيش ولحظات السعادة، فلما انتقلت إليهم عدوى المادية من مرضى المدنية انطفأت في قلوبهم التقوى، وفشا في شبابهم الإفطار، وأوشك رمضان أن يصبح غريبا في القرية كما أصبح غريبا في المدينة، ولا يدري إلا الله ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه الروحية التي تتجلى في الصوم، ولهذه الغيرية التي تتمثل في الصائم!

أحمد حسن الزيات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من كلام الزهاد

قال الحسن البصري: لا تزول قدم ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث: شبابه فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين كسبه، وفيما أنفقه.

وقال أبو حازم: إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا ما زوي عنا.

وقال زياد ابن زياد: أنا من أن أمنع الدعاء، أخوف من أن أمنع الإجابة.

وقال له عمر بن عبد العزيز: يا زياد، إني أخاف الله مما دخلت فيه. قال: لست أخاف عليك أن تخاف، وإنما أخاف عليك ألا تخاف.

وقال مالك بن دينار: لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام.

وقال يونس بن عبيد: لو أمرنا بالجزع لصبرنا.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المادية تنهدم

للأستاذ عباس محمود العقاد

سئل رهط من علماء الغرب عن مصير الإنسان ، فقال العالم المشهور « سير جوليان هكسلى » ماخواه : إن أدوار التطور الكبرى قد انتهت بالنسبة إلى النوع الإنسانى ، إلا ما يكون منها خاصا بالدماغ والفكر ، فإن النوع الإنسانى لا يزال قابلا فى هذه الوجهة للمزيد من التقدم والنماء ، وليس المنظور أن يكون هذا التطور « عضوياً حيوياً » فى بنية الدماغ ، فإن حكم الدماغ من حيث النماء الجسدى كحكم سائر الوظائف الحيوية ... ولكن الأفكار التى تتولد من مباحث العلم والفن على الأجيال المتعاقبة تزيد محصول الإنسان من المعرفة فتزداد قدرته على التفكير الصحيح تبعا لذلك ، ويحدث التجاوب بين العارفين فى البيئة الواحدة فيصحح بعضهم تفكير بعض ويأتى من تجمع الأفكار وتصحيحها ما هو منتظر للنوع الإنسانى فى مجموعه من تطور العقل وصحة التفكير .

والذين خالفوا السير جوليان هكسلى فى تطور الدماغ من البنية الجسدية لم يخالفوه فى اعتقاده أن التقدم سيأتى من معالجة التفكير ، وأن مرانة الذهن على التفكير فى مصاعب الحياة هى التى يرتبط بها النماء فى حجم الدماغ وفى قدرته على الفهم والإدراك ، ثم فى تعوده أن يعمل بداهة وارتجالا مايعمله اليوم بعد التنبه والاجتهاد .

وقرر هكسلى وموافقوه من العلماء والمفكرين الذين سئلوا عن مصير الإنسان أن هذه الآراء جميعا أبعد ما تكون عن « المادية » أو عن تلك الفلسفة التى تربط مصير الإنسان بجسده ، وبالمعيشة المادية التى تعيشها الجماعة وتفرضها على عقول أفرادها .

فلا عمل للمادية فى توجيه مستقبل الإنسان ، وإنما هى الأفكار والعلوم مناط التقدم كله ، ومناط الاتجاه — من ثم — إلى أطوار من الرقى والنماء تعلو على أطواره اليوم

وعقب المفكرون الدينيون على هذه الآراء فوافقها الكثيرون منهم ، ولكنهم قالوا إن نجاة النوع الإنسانى مما يهدده غداً

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لن يكون معنيا بأفكاره العلمية ولا بمباحثه فى شئون الفلسفة الطبيعية ؛ لأن هذا النوع الإنسانى إنما يأتيه خطر الفناء من جانبين اثنين : أحدهما كوارث الكون الكبرى ولا حيلة له فى دفعها بعلومه وفلسفاته ، والجانب الآخر كارثة الحرب الذرية ، وهى بعض آثار التقدم العلمى ولن يكون خلاص النوع الإنسانى منها على يد العلم المتقدم ؛ لأنه هو مصدر الخطر ووسيلة الكارثة المرهوبة وسلاح الحرب الشعواء التى تودى بحياة هذا النوع أو تبقى ما بقى منه فى حالة كحالات الهمجية الأولى ... وقد سئل اينشتين مرة : ماذا يكون سلاح الحرب العالمية الرابعة إذا كانت الذرة هى سلاح الثالثة ؟ فقال جاداً غاية الجد وساخراً غاية السخرية : تكون سلاحها الحجارة ! ... يشير بذلك إلى رجعة الإنسان كرة أخرى إلى العصر الذى سبق عصر القوس والسيف ، فضلا عن عصر الطيارة والصاروخ .

قال أولئك المفكرون : إن الخطر إذا كان من نفس الإنسان فلا نجاة له بعلوم العقل ومخترعات الصناعة ، وإنما تكون نجاته بعلم من عالم الروح تنتفع به الضمائر والعقول .

إنما تكون نجاته بالدين ، وبالإيمان الدينى والعقيدة الإلهية ، ولا نجاة له فى غير هذا الطريق .

وكل هذه الآراء من أقوال كبار المفكرين إنما تهدم المادية باسم الفكر والمعرفة وتعتمد على الفارق بين جانب الإنسان العقلى وجانبه الجسدى لترجيح القول باعتماده فى تقدمه بعد اليوم على الناحية الفكرية منه ، أو على الناحية التى تأتى من تجمع المعلومات والانتفاع بها فى حياته العلمية .

ولكن الفلسفة المادية - فيما نرى - لن تهدم من ناحية التفكير وحده ، ولا من ناحية الدماغ المفكر دون النظر إلى مادة بدنه ومادة الكائنات الطبيعية من حوله ، بل تهدم الفلسفة المادية لا محالة من كل نظرة واقعية تنظرها إلى حقيقة المادة وحقيقة تركيبها مستقلة عن الفكر ، بل عن الدماغ وهو محمول على المادة من بعض نواحيه .

إن المادة نفسها ليس لها قوام أصيل يقاس بغير مقاييس الفكر المحض ، كما تقاس الفكرة عن الروح وعن عالم التجريد والمجردات .

فقد كان العلماء وغير العلماء يقيسون المادة بالشبر أو بالشعرة وبالقصبة أو القيراط وبالمتر أو جزء من ألف من المتر ، وكان هذا كله مما يوصف بالامتداد ويدخل فى العقل الإنسانى بقياس الامتداد فى الفضاء أو الامتداد فى الزمان ولكن هذا الامتداد من ناحيته الزمنية أو المكانية يزول اليوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمام المقاييس التى تقاس بها ذرات المادة وخلايا الحياة فى تركيباتها الجسدية ، ويوشك أن يعود العلم بالمقاييس جميعا إلى شىء لا امتداد له كالنقطة الهندسية التى يعرفها الرياضيون بأنها شىء لا طول له ولا عرض ولا عمق ولا اتساع ولا امتداد على الإجمال وأنها مع ذلك أساس جميع الأبعاد .

لقد وصلنا اليوم إلى القياس بوحدة الانجستروم Angstrom وهو قياس واحد على عشرة آلاف من الميكرون Micron .

وما الميكرون بالنسبة إلى المقاييس التى تفهم بالامتداد ؟ .

الميكرون هو جزء واحد من ألف ألف جزء من المتر الواحد .

فهناك إذن أشياء يبلغ من دقتها أن تقاس أو تحسب بحساب جزء من عشرة آلاف مليون من أجزاء المتر الواحد ...

فما الفرق فى التصور بين هذا الجزء وبين المعانى الذهنية التى تدرك بالتقدير الرياضى أو التقدير الفلسفى المجرد من كل مادة محسوسة ؟ إن هذا الفرق ينتهى بما نسميه « المادة » إلى نهاية لا تدرك بغير التقدير والتفكير بل يسهل تقدير الروح والتفكير فيها بمقياس المعانى الذهنية ويظل إدراكنا لوحدة الانجستروم صعبا عسيرا لاختلاطه اللاحق به من عالم المحسوسات .

ويقال أيضا فى الكلام عن تفجر الذرة إن هذه الشرارة تنقدح فى جزء من عدة آلاف جزء من الدقيقة ، وإنها تصل بالإشعاع إلى جزء من عدة آلاف جزء من السنتيمتر بسرعة الشعاع .

فكيف يدرك هذا الجزء بحساب الامتداد الزمنى أو حساب الامتداد فى الفضاء ؟ .

إن دقة واحدة تستنفد الثانية ، ونحن نقسم الثوانى إلى ثوالث فلا نتصور كيف تكون الدقة بعد انقسامها إلى ستين ثالثة فكيف نتصور الجزء من الآلاف الكثيرة بحساب هذا الامتداد .

وماذا بقى من الفارق بين حقيقة المادة وحقيقة الروح ؟ وماذا بقى من الفرق بين نهاية عالم الخفاء ونهاية عالم الشهود على يد التجارب العلمية ولا نقول على يد السبحات الصوفية أو التجليات الروحية ؟ .

على أن هذه الأجزاء المادية التى تحسب بالملايين لا تدرك بالبصر الإنسانى حين تتجمع تحت المنظار الكبير ، وإنما تدرك إذا عولجت بالأصباغ الكيميية ثم ظهرت لونا تلمحه العين ولم تظهر بغير هذه الصورة إلا مقدورة مفروضة بعلم الحساب .

وكذلك تدرك الناسلات وتدرك الصبغيات التى سميت بهذا الاسم لأن الصبغة هى الوسيلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوحيدة التى تقرب الملايين منها إلى عالم الإدراك أو عالم المحسوسات .

وإلى هنا يمكن أن يقال إن العالم المحسوس يشملها ما دامت الصبغة تظهر منها الملايين أو أضعاف الملايين .

ويصح هذا القول إذا كانت الصبغة تظهر لنا الخصائص التى تحتويها الناسلة الواحدة من جملة هذه الملايين .

والناسلة الواحدة لا تظهر منها خاصة واحدة للصبغة ولا للحساب ، لأن هذه الخاصة لا تنتقل دفعة واحدة من الخلية إلى مكانها المقدور فى تكوين جسم الإنسان ، بل تنتقل ثم تنقسم مرة ثم تنقسم ألوف المرات ، ثم تخرج منها فى كل مرة صورة بعد صورة بعد مئات الصور يتولد منها فى النهاية كل ما احتوته واشتملت عليه قبل هذه التقسيمات .

فالناسلة التى يتولد منها الجنين وتنشئ فى النهاية لون العين أو لون الشعر أو لون البشرة لا تنتقل بهذه الخاصة مباشرة أو على صورة واحدة ، ولكنها تخرج منها خاصة بعد خاصة بعد أخرى على الترتيب الذى لا يختلف فى حالة من الحالات ، وتمضى الناسلات بخواصها المختلفة فى حيزها الصغير فلا يختلط بينها عمل واحدة بعمل الأخرى ولا يتيسر للنظر ولا للصبغة ولا للحساب أن يفصل فى لمحة واحدة بين هذه الأحوال .

فإذا كانت الصبغة تدخل عشرات الملايين من هذه الجزئيات فى عالم الحس بالمنظار الكبير ، فأين من عالم الحس تلك الخاصة التى تفرقت فى كل جزء من هاتيك الجزئيات التى لا ترى بالصبغة ولا بغير الصبغة ؟

كل ما يلزمنا لإدراك المعانى المجردة يلزمنا هنا لإدراك الناسلة بخاصتها التى كمنت فيها وراء العين ووراء الحدس ووراء الحساب .

وعلى هذه الوتيرة تنتهى المادة على أيدى الماديين فى صميم علومهم التى عزلوها قديما عزل الأبد عن عالم المعنى وعالم الروح وعالم الخفاء .

ولقد صح عند الذين استخدموا المادة لنكران كل عالم غير العالم المحسوس ، أن القرن التاسع عشر كان عصر الكفر بما وراء الطبيعة أو بما وراء المادة وعصر الإيمان بالمادة دون سواها ودون ما وراءها ، واضح من ذلك أن القرن العشرين هو عصر الكفر بالمادة وعصر العودة إلى ما وراءها ، وعلى أساس المقررات المادية يجوز للباحث « الطبيعى » أن يقول : لعل القرن الحادى والعشرين سينفذ بالعقول والضمائر إلى عالم الروح من خلال الذرة على شعاع من نور ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مناهج الإسلام
لتقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

اهتم التشريع الإسلامي بالأسرة على أساس إدراكه العميق للمكانة الاجتماعية التي تحتلها في بناء الأمة.

وكان فيما سنه من القوانين ووضعه من الأحكام خاصا بها، محافظا على أصوله ومبادئه التشريعية العليا التي جعلت من الإسلام دين الفطرة الصالح لكل مجتمع على اختلاف الزمان والمكان.

وهذه المبادئ التي يقوم عليها التشريع الإسلامي عامة، والتي جاء تشريع الأسرة في نطاقها ترجع إلى ما يأتي:

١ - فهو يعمل على أن يحول بين المشكلة والمجتمع، ولا يترك في المجتمع ثغرات تدخل عليه منها المشكلات ثم يبدأ بعد ذلك في حلها وعلاجها.

وبذلك يعالج المشكلات في المنبع، ولا يتركها حتى تصل إلى المصب، بل يعالجها قبل أن تخلق لكيلا تخلق.

٢ - وهو يلتزم مسايرة الفطرة، فلا يعالج ما يعالجه إلا في ضوء الاعتراف بحقها، ولا يفكر أبدا في معاندتها ومقاومتها، وإن فكر وعمل على تهذيبها وتعديلها وتخفيف غلوائها في كثير من الأحيان.

٣ - وهو كذلك لا ينكر الواقع العملي، والسنن التي يقوم عليها الاجتماع، ولا يحاول أن تكون مثاليته صماء جافية لا تحس بما حولها، ولا تتحرك إلا في الاتجاه الذي اختارته لنفسها، كما أنه لا يدور كرها في دوامة هذا الواقع، ولا ينزل مرغما على حكمه وإن جار، ولكنه يعامله معاملة الراكب الحاذق المرن لفرس جامحة، إذ يقتعد صهوتها متمكنا منها ثم يمسك بلجامها، ويوجهها إلى الطريق الذي يبتغيه تاركا لها بعد ذلك مرحها وحيويتها واختيالها الطبيعي دون ما شطط منها، أو قصور منه.

فهو واقعي في مثاليته، مثالي في واقعيته، إذا ساغ هذا التعبير.

وهذان المبدآن الأخيران هما اللذان جعلا منه شريعة الوسط، التي تأبى الإفراط، وتتنزه عن التفريط، وتمشي في الطريق الذي يوصف بأنه «سواء السبيل» أو «الصراط المستقيم». وبذلك استحقت أن تكون هي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشريعة الشهيدة على الناس أى الحاكمة والفاصلة حين تختلف المناهج ، وتتعدد الشرع .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

* * *

على أساس هذه المبادئ العليا ، وضع التشريع الإسلامى مناهجه لتقوية الروابط الأسرية ، وفى ضوئها نبحث إن شاء الله تعالى هذه المناهج ، ونسأله التوفيق .

١ — إن الأسرة - فى أصل اللغة ، كما قال ابن منظور المصرى فى « لسان العرب » : هى الدرع الحصينة ، وهو معنى يرمز إلى القوة ، وكذلك الأسر فى الأصل هو بمعنى الشد والربط ، وقد سمى الحبل أو القيد أيضا بالإسار .

ولهذه المعانى التى تدل على القوة والتماسك والترابط سميت عشيرة الرجل وأقاربه الأدنون بالأسرة .

والأسرة عمادها الأول هو « الزوجية » ، وعن الزوجية يتفرع الأولاد ، وينبث فى المجتمع الرجال والنساء الذين تتكون منهم الأمة ، وهكذا كان أصل النوع الإنسانى : « خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » .

٢ — والروابط الأسرية ترجع إلى ما يأتى:

(ا) العلاقة بين الزوجين :

• مركز الرجل فى الأسرة .

• مركز المرأة فى الأسرة .

• حق كل من الزوجين على صاحبه .

(ب) العلاقة بين الأبوين وأولادهما :

• قيمة الأولاد وحقوقهم على الوالدين .

• فضل الوالدين وحقهما على أولادهما .

(جـ) العلاقة بين ذوى القربى :

• حقوق الأقارب فى البر وصلة الرحم .

• أولوية الأقارب فى حقوق التضامن الاجتماعى .

ولنأخذ فى تفصيل ما أجملناه بقدر ما يتسع له المقام :

(ا) العلاقة بين الزوجين :

الزواج رابطة مقدسة فى نظر الدين :

لا نعلم عقداً من العقود اهتم به الدين أكثر من اهتمامه بعقد الزواج :

فنحن نرى القرآن الكريم يلفت الأنظار إلى أن « الزوجية » آية من آيات الله الكونية : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يعلمون » ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فالآية الأولى تقرر أن الكون كله قائم على سنة التزاوج فيما نعلم وفيما لا نعلم ، والآية الثانية تجعل هذا التزاوج فيما يختص بالإنسان آية من آيات الله تعالى .

وكون التزاوج هو السنة التي يقوم عليها الكون في أنفسنا وفي غيرها مما نعلم ومما لا نعلم يوحي إلينا بخطر شأنه ، وبأن ننظر إليه نظرة جادة ، ونعتبره ركنا أساسيا في الحياة لا غنى عنه ، ولا ينبغي أن نرتكب ما يزلزله ، أو أن نستهين بأحد طرفيه ، وهما الذكر والأنثى .

وكونه آية من آيات الله يوحي أيضا بأن الله يريد أن ندرك ما يرتبط به من المعاني الكونية التي تجعله علامة واضحة على قدرة الله تعالى وحكمته . وقد ذكرت الآيات الكونية لفتا للأنظار إليها في آيات أخرى كثيرة من كتاب الله تعالى :

فمن ذلك قوله عز وجل :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » .

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله » .

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها » .

« ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » .

« ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره » .

كل ذلك يدل على أنه يعتبر الزواج ذا أهمية كبرى ، ودلالة على قدرة الله وحكمته ورحمته ، وشبيهة بما للآيات الكونية العظمى من دلالات .

هذا إلى ما يوحي به التعبير بقوله : « من أنفسكم » في هذه الآية و« خلق منها زوجها » في آية أخرى من ملاحظة التجانس والنوعية في الخلق ، حتى يتحقق لكل من الزوجين الأنس بصاحبه ، والتشابه المفضي إلى السعادة ، ثم ما يوحي به التعبير بقوله « لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » من أن الزواج هو أساس الاستقرار والطمأنينة ، التي يجدها المرء في سكنه الذي يأوي إليه ، أو في سكون نفسه حين يأمن ويهدأ ويشعر بالسعادة ، وهو مبعث المودة التي هي الحب المنبعث عن عاطفة صادقة ثابتة ، والرحمة التي هي انعطاف وميل يؤديان إلى الرفق والإحسان ، كل ذلك جعله الله في الزواج فكان به آية من آيات قدرة الله وحكمته ورحمته ، ولهذا أقسم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله تعالى بالمذكورة والأنوثة ، كما أقسم بالليل والنهار ، والشمس والقمر ، والفجر والغسق ، فقال جل شأنه : « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى » .

والقرآن الكريم يعبر عن رابطة الزوجية بعبارة قريبة من العبارة التي يعبر بها عن عهد الإيمان ، إذ يقول عن رابطة الزوجية « عقدة النكاح » في مثل قوله تعالى : « إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » . « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » ويقول عن عهد الإيمان « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

كما يعبر عن رابطة الزوجية بالميثاق الغليظ فيقول « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » بينما يعبر بهذه العبارة نفسها عن عهد الله الذي أخذه على أنبيائه الكرام ولا سيما الذين أرسلهم إلى الأمم في أشهر مراحل التاريخ البشري ، إذ يقول :

« وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا » .

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم ينظر إلى الزواج ، وينفت أنظار الناس إليه ، باعتباره عقداً مقدسا كبير الشأن ، وسنة كونية من السنن الدالة على قدرة الله ورحمته وبالغ حكمته .

فمن واجب المسلمين أن يعرفوا له ذلك ، وألا يتخذوا آيات الله في شأنه هزوا ، وألا يقصدوا منه إلا ما يحقق أمر الله ، ويقيم حدوده .

* * *

وقد شرع الإسلام مناهج لتقوية هذه الرابطة المقدسة وتحقيق ثمراتها على وجه يصلح به المجتمع ، وتسعد به الأسرة ، ولم تكن تشريعاته خاصة بعهد قيام الزوجية ، بل عامة لهذا العهد ، ولما قبله ولما بعده ، ولم يكن في هذه التشريعات مجافيا للطبيعة ، ولا متناسيا للواقع ، ولكنه كان في نطاق المبادئ التي صدرنا بها هذا البحث ، فكان هو تشريع الرحمة والمصلحة الوسطية والصراط المستقيم .

وإلى العدد المقبل ، إن شاء الله تعالى ، لنأخذ في بيان هذه المناهج ، والله المستعان ؟

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

نصرة الحق مكفولة من جانب الله تعالى

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون »

١ — كانت اليهود محاولات فى الضلال ، وإمعان فى ابتداع الأباطيل ، حتى أصبح اللون الذى يعرفون به أنهم خارجون على الدين . ومبدلون لكتاب الله ـ التوراة ـ وقاتلون للأنبياء ، وناكثون للعهود ، وساقطو المروءة والغيرة إلخ إلخ .

وفى الحق أن التاريخ يسجل عليهم أكثر وأكثر مما يدعون لأنفسهم من مآثر فى العلم وعمارة الدنيا ، ففضلهم فى الحياة لا يقاس بما اقترفوا من مآثم فى جانب الله ورسله ، ولا يذكر أمام ما تدفعهم إليه نزعاتهم من إفساد ، وما يبذرون من بذور الشقاق أينما كانوا .

وقد تحدث الله عنهم فى موضوعنا بأنهم افتروا على الله ، ونسبوا إليه بنوة العزير له « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، وما كان العزير إلا واحداً منهم ، تميز عليهم بعلمه ، ونشاطه فى إحياء شريعة موسى بينهم بعد أن كادت تذهب معالمها قبل عهده بالحياة .

٢ — ويشبه اليهود فى ذلك أهل الإنجيل ، فقد تورطوا جميعاً فى قولهم : « إن المسيح ابن الله » وقالت النصارى : المسيح ابن الله » وكذا فى قولهم « إن الله هو المسيح بن مريم » وقولهم « إن الله ثالث ثلاثة » .

وإن كان هذا الابتداع متشابها بين الأمتين فكل يسلك مسلكه فى لغطه ، وكل يكذب الآخر فيما هو عليه « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء . وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » ومع هذا التشابه ، والتنابذ فهم على طرف بعيد من أهل القرآن .

٣ — فإن أمة محمد لم تتجاوز معالم دينها فيما رسم الله ، وفيما يهضمه العقل الإنسانى الطليق من قيود العصبية . فالله سبحانه إله واحد ، منزه عن الولد ، وعن كل شبه يعلق بقدسيته ، أو يشوب عظمته .

ودين الله لدينا ولدى السابقين علينا بنجوة من إفك هؤلاء المؤتفكين .. وعزير والمسيح بريئان مما نسب إليهما .

والقرآن الكريم يكشف عن أغراض المبطلين التى يرمون إليها من هذا الابتداع الممعن فى الكفر بالله ، والممعن كذلك فى احتقارهم لعقليهم ، وحشوهم فى الدين ما تأباه العقلية الإنسانية ، ولا يتفق مع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تشريع الله ولو من طريق الشبهة العلمية في قليل ولا كثير .

إذ يحاولون رفع بشر من عباد الله إلى مقام الألوهية ، وهم في هذا ينزلون بمقام الألوهية إلى منزلة الإنسانية ، وتعالى الله عن ذلك علواً كثيراً » .

٤ ـ كشف القرآن عن غوايتهم من وجوه ـ أولها ـ قوله سبحانه « ذلك قولهم بأفواههم » يعني هذا اختلاق تقذف به أفواههم ، وليس مستمداً من كتاب ولا مروياً عن رسول ولا ناجماً عن بحث صحيح.

ومع أن هذا معتقدهم فقد اكتفى القرآن باعتباره قولا من الأفواه إشارة إلى احتقار هذا الاعتقاد وأنه لا يستحق أن يذكر ، أو يشار إليه ، وإنما هو مجرد كلام لا وزن له في ميزان الحق والصواب .

والوجه الثاني قوله تعالى « يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل » يعني أن هذا التهريج مسبوق بمثله من أمم كافرة . . فإن كان أهل الكتاب يعلمون عن غيرهم هذا فهم أمثالهم فيما يعاب عليهم من غباوة وجمود . . وإن لم يكونوا عالمين عمن سبقهم ذلك فقد عرفهم القرآن شيئاً لم يعلموه ، ونددَ عليهم كما نددَ على أسلافهم في تلك الضلالة العمياء .

والوجه الثالث قوله تعالى « قاتلهم الله أنى يؤفكون . . » فهذا دعاء باللعنة عليهم ، وعلى من سبقهم إلى الكفر ، وهو دعاء ممزوج بالتعجب والإنكار المزري بعقولهم جميعاً .

ومناط العجب أنهم يؤفكون : أي ينصرفون عن الحق إلى الباطل ، ويخوضون فيه كثيراً دون أن يزجرهم إنكار ، ولا دعاء عليهم ، ولا تهديد لهم .

وكشف القرآن عنهم ـ رابعا ـ بقوله تعالى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » يعني هذا الانحراف يراد به إطفاء النور الذي يقبلج في دعوة الله إلى الحق ـ على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ـ لا لسبب سوى الحقد على من أرسل إليهم من غير قومهم ، وبكتاب بعد كتبهم ، وبشريعة أكمل من شرائعهم في تجديد الحياة الدينية على منهج غير مدخول بتبديل ، وهو خالد خلود الدنيا إلى منتهاها ـ وذلك كان شأنهم مع الأنبياء من قومهم فليس جديداً منهم بعد .

والله تعالى يزيدهم نكالا ببيان أن هذا الدين نور الله المستمد من عنده ، بعد أن اعتبر تدينهم بما يقولونه مجرد اختلاق من أفواههم ، لا يعدو الكفر الصراح والضلال البعيد ... ويزيدهم نكالا كذلك بأن جهودهم في مقاومته فاشلة ، يؤكد أنه سبحانه سيتم نوره على ما يريد مهما يكن لهم من عناد وكراهية « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

٥ ـ ونحن نرى تعاقب الأجيال من أهل الكتاب ، ونرى تقدم العقلية بينهم ، ورواج الثقافة فيهم ، ومع هذا كله لا يزالون على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ماورثوا من تاليه البشر ، وانقسامهم على بعضهم فى شأن الأنبياء ، ورى اللجاج فاشياً من جانبهم ، والخصومة للإسلام شائعة منهم فى كل مسلك يسلكونه مع المسلمين .

فهل يفاد من ذلك أن الله مكن للباطل ، أو أنهم على حق ؛ وأنهم تحكموا فى بعض المسلمين لأن الله يقرهم على ماهم فيه ... ؟

إن الإسلام فى ذاته حق ، ولا حق غيره ، وإذا كانت الغلبة لأعدائه فلأسباب تتعلق بالناس ، لا بالدين ، وتجاوز المسلمين لمنهج دينهم يكون جريمة منهم ، والله يجزيهم بتسليط العدو عليهم ، ليؤدبهم على فعلتهم ، دون أن يكون ذلك قادحا فى الدين ، ولعله عقاب يشعر أن دين الله فى مقام العزة عنده ، وأنه يثأر ممن خرجوا عن حوزته ، ليعودوا إليه فى إخلاص ، وغيرة ، وذلك نمط حكيم فى معاملة الله للعباد فى دنياهم .

وقد مرت بالمسلمين فترات ذهبية كانوا فيها أعز شأنا وأكرم مقاماً ... فلما تريثوا فى نشاطهم ، وتعاضوا عن مراقبتهم لأنفسهم كان من عدل الله أن يمكن الغير منهم .

وأما الدين نفسه فلا يزال مشرقا ، وسيظل كذلك رغم ما يراد به من سوء ، ولا يمكن للباطل أن يغلبه مهما تضافرت الحيل ، وكثرت حوله الأباطيل .

والتجارب فى الحياة لا تقاس بآجالنا القصيرة ، فقد يكون الزمن طويلا فى حسابنا ولكنه قصير فى جانب الحياة الدنيا ... وعلى هذا جرت سنة الله قديماً وسنته لا تتخلف وقد قال تعالى فى ذلك « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

٦ — وفى هذه الآية تبرز لنا وللناس بشائر اليمن فى نصرة الحق وهزيمة الباطل من جديد . فقد بدأنا نقرأ كثيراً مما يكتبه علماء أهل الكتاب منكرين بعقولهم الرشيدة ما يساق لهم من تلفيق باسم الدين ، وينكرون ما يفترى به على الله ورسله ، ويأبون أن يكونوا على عقيدة لا تهضمها العقول إزاء ما يرون فى القرآن من نزاهة عن هذا كله .

كما رأينا أخيراً ذلك النبأ عن حركة جديدة فى روسيا ... نشطت هذه الحركة هناك ضد اللادينية المخيمة على الدولة الشيوعية .. فالدولة بسطت أجنحة قوة فى نطاق واسع من أرض الله ، وغمرها علمها وسلطانها أن يقول قائلها « إننا طفنا بالفضاء كله فلم نر الله هناك » ، هذه الدولة بدأت تتلقى مواجهة بالاعتراض على إباحيتها ، وتتلقى الطعنات فى لا دينيتها فى نفس الوقت الذى تفخر فيه بما وصلت إليه من علم يشرق على مشارق الدنيا .

ولعل هذا النبأ يقرب إلى أذهان اليائسين تحقيق وعد الله ، ووعد الله لا يتخلف مهما طالت الأيام .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

« قرآن كريم »

يستعمل « كتب » بمعنى حكم ، وقضى ، وأوجب ، فمعنى كتب الله الصيام فرضه وأوجبه .

والوقاية فرط الحفظ والصيانة ، ومنها أخذت كلمة « التقوى » لتدل على كل ما يراد به اتقاء الشر أو العقاب ، وابتغاء الخير أو الثواب .

المعنى:

يخاطب الله المؤمنين به وبملائكته وكتبه ورسله - وهم المسلمون - فيناديهم بما يثير فيهم الاستعداد لقبول مايأمرهم به ، والإقبال على أداء ما يدعوهم إليه ، وهو « يأيها الذين آمنوا » فإن ذلك يثير فيهم الشعور بأن إيمانهم به ، واطمئنانهم إلى حكمته ورحمته وشريعته يدفعهم إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ويخبرهم - جل شأنه - بأنه أوجب الصيام عليهم كما أوجبه على الذين من قبلهم فإن ثمرة الصيام التقوى ، وعساهم إذاصاموا ، وأخلصوا صيامهم لله أن يتوخوا إرضاء ربهم . ويفعلوا مايقيهم غضبه وعقابه ، ومعنى التقوى يسع كل قول وكل فعل متى كان يراد به اتقاء الشر . وابتغاء الخير ، بل يصدق على المعانى النفسية والوجدانية متى كان يراد بها ذلك . كالإيمان وما يتصل به من الذكر والشكر ، والخوف من العقاب والطمع فى الثواب ومن ثم وصف الله المتقين بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » ثم نوه بهذه السمات والصفات ، وأشار إلى الموصوفين بها حيث يقول « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

وإذا كانت ثمرة الصيام التقوى كما يقول سبحانه « لعلكم تتقون » وكانت ثمرة التقوى التمكن من الهدى ، والوصول إلى الفوز والفلاح كما يقول جل شأنه « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » فليس وراء هذين شيء تطمح إليه النفس السوية ، أو تتعلق به غوالى الآمال ، ومن ثم كانت التقوى خير زاد كما يفهم من قوله تعالى : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقونى يا أولى الألباب » وكانت خير لباس كما يفهم من قوله جل شأنه « ولباس التقوى ذلك خير »

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صلاح المجتمع بصلاح أفراده

للأستاذ علي الحسني الندوي

إن هذا التنافس الذي تتحدث به الصحف والذي قد يؤدي إلى حرب طاحنة — تستمر سنين طوالا تطحن الأمم — هو تنافس في الأغراض فقط لا تنافس بين الخير والشر، وإن هذا الصراع القائم بين الأمم الأوربية ليس معناه أن أمة منها تريد أن تسيطر على العالم لتقضي على هذه الأوضاع الفاسدة ولتخدم الإنسانية، وتنفذ قوانين الله وتحارب الفساد، وتساوي بين الناس وتقيم القسط والعدل وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة كما قال تعالى: « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ».

إنما هو تنافس على القيادة كل أمة تريد أن تملك الحكم لتنفذ شهواتها. إنما النزاع هو من يكون صاحب الأمر والنهي وتكون له قوة إرضاء الشهوات وخدمة المصالح الذاتية والحزبية.

أمريكا وحليفاتها مثلا — لم تكن تنازع المعسكر الشيوعي لتقيم القسط والحق، وكذلك لم يكن المعسكر الشيوعي في وقت من الأوقات لينازع الأحلاف الأوربية في سبيل إقامة العدل لأنه لم يكن حريصا على إقامة الدين والفضيلة، إنما يصارع ويحارب ليكون هو المعسكر الوحيد في العالم الذي يهيمن على وسائل البشرية؟ وليحتكر التجارة العالمية ليس لمصلحة البشرية، بل ليكون الذين يؤمنون بمبادئه وينضمون إليه سعداء على حساب الأمم والشعوب التي يسيطر عليها.

إن مرد هذه المصارعات كلها هو شهوة النفس وعبادتها ما لم تتغير هذه النفسية الشريرة الفاسدة المتعفنة فلا مطمع في صلاح العالم أو سعادته ورفاهه.

المهم أو الأهم أن يتغير الإنسان. إن كل شيء في هذا العالم خاضع للإنسان، والإنسان خاضع لنفسه وضميره وعقيدته فإذا كانت هذه صالحة كان الإنسان صالحا وإذا صلح الإنسان صلح العالم (ألا أن في الجسد مضغة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) .

لقد أصبح الناس مؤمنين - بحكم ما يكتب ويقال من أناس لم يتعمقوا فى العلم - بأن صلاح العالم هو فى وجود حكومة على أساس كذا وكذا ، أو فى تولى الرجل الفلانى أو الحزب الفلانى الحكم وما دروا أن المجتمع فاسد لفساد الضمائر والقلوب ، وما لم تصلح فلا يؤمل الصلاح ، هذا قول مجرب خبير لا قول إنسان منطو على نفسه ، قول رجل تهيأ له - بحمد الله - من الدراسة العميقة الشيء الكثير .

قد يدخل الرجل إلى غرفة مظلمة فلا يستطيع أن يجد طلبه إذا لم يدر الزر الكهربائى ، ولكن الرجل الخبير بمجرد دخوله الغرفة يعرف موضع الزر فيديره فيسرى النور فى التيار ويضيء جنبات الغرفة ويقضى الرجل حاجته - وهذا هو شأن الأنبياء عليهم السلام ومن سار على أثرهم - هذا الزر هو الإيمان، إذا انفتح انطلقت منه موجة النور لتضيء العالم كله .

إنى أرى بعض الرجال فى البلاد العربية والإسلامية وغيرها يبدون كبارا فى العقل والتفكير والتجربة ، ولكن تفكيرهم قاصر غير ناضج ، يتكلمون عن المشاكل حديث رجل لم يتعمق ولم يرسخ ، يتحدثون عن مشاكل السياسة والاجتماع ، ويعتقدون أنه إذا جاء الحزب الفلانى ذهبت المشكلة ، فإذا ما جاء الحزب واجهنا المشكلة نفسها بل ما هو أكبر منها ، وكثيراً ما نواجه مشاكل جديدة أخرى ، ثم نجرب حزبا آخر فإذا هو شر من الأول وصدق الشاعر إذ قال :

ألا إنها الأيام أبناء واحد
وهذى الليالى كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة
خلاف الذى مرت به السنوات

إلى متى تجرى هذه التجارب على الإنسان المسكين؟ وإلى متى نفحص ونشرح ثم نرجع من غير طائل ؟ ومن الخطأ الاهتمام بالمجموعات والمؤسسات والهيئات الاجتماعية والحكومات دون الاهتمام بالأفراد ، مع أن الأفراد هم أساس المجتمعات والحكومات والأحزاب والمؤسسات - نقول لهم : أيها السادة دونكم الأفراد ، فأصلحوهم وهيئوهم لهذا الهيكل الاجتماعى ، فسيقولون ما لنا والأفراد ، نحن فى عصر اجتماعى طابعه الاجتماع - فنقول لهم : آمنا بالاجتماع ولكن الأفراد اجتمعوا على أساس عقيدة واحدة، التقوا على غاية واحدة، فإذا لم يكن الأفراد أين يكون المجتمع؟ ولكنهم يقولون إن الأفراد يصلحون بصلاح المجتمع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن مثل هؤلاء الذين يهتمون بالمجموعات دون الأفراد مثل من يجمع أخشابا نخرة متآكلة مخرومة ، يريد أن يصنع منها سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة ، فإذا قال له رجل صاحب نظر: إن هذه الأخشاب لا تصلح لبناء سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة ، قال إن هذه الأخشاب لا قيمة لها ، إنما المهم السفينة ، فإذا تكونت السفينة فقدت الألواح شخصيتها، فلا يهمك إن كانت الأخشاب فاسدة منخورة .

إن الفاسد فاسد ، إذا اجتمع الفاسد مع الفاسد ينتج الصالح ؟

إن اللص لص ، ولكن إذا اجتمعت اللصوص أصبحت حارسة لليقين ؟؟

هذه هي عقلية أوربا - إن اللصوص لصوص في أفرادهم ولكنهم أمناء في مجموعهم ما هذا المنطق ؟

الذئب ذئب ولكن الذئاب إذا اجتمعت أصبحت راعية ؟

إن الجمرة تحرق اليد ، ولكنها إذا اجتمعت الجمرات أصبحت برداً وسلاماً ؟؟

هذا شيء مضحك ولكن أليس هذا هو الأساس الذي يعمل في المدرسة والحكومة والمحكمة ؟

من أين جاءت الحكومة والقضاة والجنود ؟ أليس أكثرهم فاسدين ودون المستوى الواجب فكيف تتحول هذه العصابات المجرمة إلى مجموعة صالحة رفيعة المستوى عالية في الأخلاق؟

العالم كله مع الأسف خاضع لهذا المنطق حتى في المستويات العلمية .

إن مديري البلديات والجامعات والمؤسسات العلمية والحكام لو كانوا في الزمن الأول لما استحقوا أقل من الطرد، بل لكانوا في السجون

لقد طغت هذه العقلية على الأفكار حتى أصبح الذي يثير مسألة الأفراد يتهم بالرجعية.

يا أصحاب القلوب المؤمنة أنتم المجتمع، على قسمات وجوهكم وضمائركم وعقولكم يرقد المستقبل الزاهر الذي نؤمله ، فهيئوا نفوسكم تهيئة روحية خلقية إيمانية ، هذا هو نداء الوقت وواجب الساعة وجهاد اليوم .

لقد وجدت الحديث عن العالم الإسلامي حديث كل بلد حللته وزرت فيه إخواننا وهو حديث كل مجلس حضرته . إن العالم الإسلامي حقيقة قائمة تسعى على قدميها لا ينكر فضله إلا جاهل أو أحمق .

أنا أؤمن به وشاهدته في الهند وباكستان وتركيا وسوريا ومصر ، وأنتم أيها الإخوان جزء من العالم الإسلامي . إذا كنتم تعتقدون أنه يعيش بغيركم وليس عليكم مسئولية فأنتم مخطئون أخي إنني كثيرا ممن يهتمون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يفكرون غير نفوسهم ، وهذا هو الواقع فعلا. أنا أفكر في العالم ولو أنني جزء منه فلأصلح هذا الجزء . ولكن أرى كثيرا من إخواني لا يفكرون في نفوسهم ويعتقدون أن العالم الإسلامي هو كل ما يغاير نفوسهم علينا أن نصلح نفوسنا وليعتقد كل منا أنه مسئول فإذا أصلحت هذه الأجزاء صلح العالم الإسلامي . إن مثلنا أيها الأخوان كمثل ملك أعلن أنه يريد حوضا مملوءا باللبن « الحليب » وأنه سيدفع الثمن لكل من يجلب الحليب فقال أحد اللبانين في نفسه . . لو أفرغ سطلا من ماء فإن هذا الماء لا يؤثر في الحليب الكثير ، فأفرغ سطل ماء بدلا من حليب ، وفكر آخر نفس التفكير ، وهكذا سرت الفكرة بين الجميع ، وجاء الملك في الصباح فوجد حوضا من ماء .

هذه قضيتنا ، إن كل فرد منا يقول إذا فسدت فماذا يضر العالم الإسلامي ؛ وبهذا أصبح كل العالم الإسلامي فاسدا ، لو فكرتم لرأيتم أن كل حديثكم عن غيركم .

انصفوا نفوسكم أيها الإخوان وبالكم وهذه القضايا التي لا تستطيعون معالجتها إن الاشتغال بالغير سهل ، ولكن الاشتغال بالنفس صعب ، والإنسان يتوخى السهولة ، ولذلك اندفع العالم الإسلامي كله إلى الاهتمام بغيره ، هذا تفكير يجب أن يعالج ، فكل بلد عربي جزء من العالم الإسلامي فيجب على كل منا أن يهيئ نفسه ليكون لبنة صالحة للبناء ، فكن لبنة مجاهدة مؤمنة صادقة ، طاهرة النفس ، واضحة التفكير ، قوية العاطفة ، فإذا كنا كذلك فصدقوني أننا نستطيع أن نغير تيار الفساد .

الأزمة أزمة رجال « فأين » الرجال ، وإنه كثيرا من الناس يحرصون على الحكومات ويعتقدون أنها هي المفتاح ولكنها يسير الحكومة الرجال ، فمن هم هؤلاء الرجال وكيف هم ؟ هذا هو داء العالم الإسلامي فهيئوا نفوسكم لمعركة المستقبل معركة الأخلاق والإخلاص والتضحية فإذا وجد رجل واحد يستطيع أن ينسى نفسه ومصلحته ومصلحة أسرته وأصدقائه وحزبه ويستهدف مصلحة بلده وأمته لاستطاع أن يحدث انقلابا .

علي الحسني الندوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أيام الإسلام الخالدة
يوم بدء الدعوة

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

تخليد ذكرى بعض الأيام أو الشهور أو السنين التى تحدث فيها أمور ذات شأن فى تاريخ أمة ما ، أمر محبب إلى النفوس ؛ لأنه يعيد إلى أذهان الناس صوراً عن موقف بطولة مثلا ، أو ذكرى لحظات رهيبة تقرر فيها مبدأ ترتب عليه تغيير مجرى الحياة العام ، أو انبعث فيها صوت نبه الغافل ، وأيقظ النائم ، وكان من أصدائه فك أغلال ، وتحرير ، وتقرير مصير . وفى ذلك وأمثاله ما يبعث عزائم الخلف ويرفع من معنوياتهم ، ويدفعهم إلى السير قدما فى معترك الحياة الصاخب . قد تكون الذكرى مؤلمة فتعيد إلى الأذهان صورة نكبة كانت قد حلت نتيجة لأخطاء بعض السلف ، فيأخذ الخلف منها عبرة ، ويتجنبون مزالق السوء التى لم تورث المخطئين والغافلين إلا الذلة وسوء الذكرى .

وطبيعى أن العبرة ليست فى نفس الفترة التى تحدد من يوم أو من شهر أو من سنة ، بل هى فيما صاحب تلك الفترة أيا كانت من أحداث وربطت بين ما فيها من عبر ، وبين الزمن الذى حدثت فيه .

وفى تاريخ قيام الدعوة الإسلامية أيام كثيرة كان لكل منها شأن خطير ، جعلها تخلد بين الأيام ، وتذكر على مر الأيام وكر السنين .

فقد عرف التاريخ الإسلامى يوم الهجرة الذى اختاره عمر بن الخطاب مبدأ للتاريخ الإسلامى ، ولا يخفى ما فى تسجيل حادث الهجرة على هذه الصورة الكريمة ، وربطه بتوقيت شئون الأمة الإسلامية ، ... لا يخفى ما فى ذلك من عبر يستلهمها المسلمون كلما هل هلال المحرم من كل عام .

وعرف التاريخ الإسلامى يوم بدر ، إذ كانت غزوة بدر الكبرى فى السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، وصار المسلمون يذكرون أمجد مواقف البطولة كلما حل السابع عشر من رمضان فى كل عام .

كذلك عرف التاريخ الإسلامى يوم فتح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مكة فى العشرين من رمضان ، وصار المسلمون يذكرون فى هذا اليوم من كل عام تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة من رجس الوثنية ، ونهاية عهد الشرك ... ثم أمجد مواقف التسامح وكرم الأخلاق .

وعرف التاريخ الإسلامى ليلة الإسراء والمعراج فى السابع والعشرين من رجب كل عام ... ثم يوم عرفة فى التاسع من ذى الحجة ، ثم أيام العيد الأكبر ومناسك الحج . والعيد الأصغر وفرحة ختام الصيام ... إلى غير ذلك من الأيام الحبيبة إلى نفوس المسلمين جميعاً ، لأنهم يجدون فى تكرارها كل عام سعادة وسروراً .

وهناك يوم من أيام الإسلام الخالدة ، جدير بأن تحرى ، ويحدد ، ويعرف ، وأن يحتفل به ؛ لأنه اليوم الذى بدأ فيه وضع الأساس الأول لهذه الدعوة الكبرى التى كانت رحمة للعالمين . وفصلت بين عهدين متناقضين : عهد الظلمات وعهد النور .

ذلك هو : الذى بدأ فيه نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم حراء ، يوم نادى جبريل عليه السلام محمداً أن : اقرأ .

متى كان هذا اليوم ؟ .

وإذا كان هو المقصود بليلة القدر ، فلماذا لا يكون احتفالنا بتلك الليلة على صورة تتفق وجلال تلك المناسبة ، لا على أنها ليلة تفتح فيها طاقة من السماء ، يدعو من يراها بما يشاء ؟ أو أنه من صلى فيها مائة ركعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ؟

فى تاريخ السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بلغ سن الأربعين ، حبب إليه الخلاء ، فكان يذهب إلى غار حراء يقضى فيه الأيام والليالى ذوات العدد ثم ينزع إلى أهله فيتزود ، ثم يعود إلى خلوته ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد فأرسلنى إلى أن قال : فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بها على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . . . ، إلى آخر الحديث .

ولم يرد فى كتب السيرة تحديد دقيق لهذا اليوم - الذى كان فيه أول نداء بآيات الكتاب الكريم - بالنسبة لعمر الرسول عليه الصلاة والسلام أو ما يشير إلى حادث آخر يمكن أن يربط به ويحدد على ضوئه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولو تأملنا الفترة التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه جبريل بأول نداء ، لوجدنا أنها بمثابة الإعداد الروحي لتقوية نفسه ، وتهيئة قلبه لتلقي ذلك النبأ العظيم ؛ لأن أمر الوحي ليس بالأمر اليسير ، ولا سيما في فترة من الزمن كان الناس يتناقلون فيها أخبار الجن ، والرؤى والغول ... حتى إنه قال لخديجة : لقد خفت على نفسي . ولقد ظهر أثر هذا الإعداد الروحي في ثبات الرسول الكريم عندما قالت له قريش : « وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » .

نعم . لقد ثبت الرسول الكريم ، ولم يتزعزع بمثل هذا القول ، ولا بغيره من مثل : « ساحر كذاب » . و « إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً » . و « إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر » ... بل كان يجيب بأمر ربه في ثبات ويقين : « قل : أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض » .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن إنزاله في أكثر من موضع :

قال تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ... »[1] .

وهذه الآية صريحة في أن نزول القرآن كان في يوم من أيام رمضان ، ولكنه لم يحدد وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين مضين »[1] . وأورد الإمام الزمخشري في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال :

أولها : أن المراد : ابتدئ فيه إنزال القرآن ، وكان ذلك في ليلة القدر .

وثانيها : أن المراد : أنزل جملة إلى سماء الدنيا ، ثم نزل إلى الأرض نجوما .

وثالثها : أن المراد : أنزل في شأنه ... أي رمضان — القرآن تعظيما لشهر الصوم وربما كان القول الأخير بعيدا ؛ لأنه يفيد أن نزول القرآن ليس بلازم أن يكون في شهر رمضان .

وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم »[2] وقد اختلفت الأقوال في هذه الليلة : هل المراد بها ليلة القدر أو نصف شعبان ؟ ولكن أكثر الأقوال على أنها ليلة القدر

---

(١) البقرة ١٨٥ .

(١) الحديث ١١٣ من الكنى للدولابي ، في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي . وهو مروي عن أحمد والطبراني .

(٢) سورة الدخان ٣ : ٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهو الأصوب لأن هناك سورة كاملة (١) بينت أن المراد بالليلة التي نزل فيها القرآن إنما هي ليلة القدر ، ولكن ينبغي ضرورة معرفة أمرين :

متى كانت ليلة القدر ؟ وما المقصود بنزول القرآن فيها ؟ .

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد ليلة القدر ، ولكنهم يكادون يجمعون على أنها في شهر رمضان ، وأنها كانت في السابع والعشرين منه .

وأما المقصود بنزول القرآن في هذه الليلة فقد ذهب فيه المفسرون إلى قولين :

أولهما وهو الأكثر أن المراد أن القرآن قد أنزل في هذه الليلة جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم أخذ بعد ذلك ينزل منجما على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد تم إنزاله جميعاً في ثلاث وعشرين سنة ، وهذا القول لا يفيد متى بدأ نزول أول آية أي متى بدأ التنجيم : هل في ليلة القدر عند ما نزل القرآن إلى السماء الدنيا أو بعدها .

وثاني القولين : أن المراد هو بدء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم أي أنها ليلة الابتداء الأول من جبريل عليه السلام . ونعتقد أن هذا القول أقرب إلى الواقع ؛ لأن الذي يعنى الناس إنما هو نزول القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام ، ويكون المراد بأنزلناه : ابتدأنا في إنزاله ، وإلى هذا ذهب الشعبي فقال : « المعنى : إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر » (٢) .

وهذا لا يمنع أن يكون المراد نزوله جملة واحدة إلى سماء الدنيا ثم بدء نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهل من الممكن تحديد « رمضان » الذي بدأ فيه نزول القرآن بالنسبة للهجرة ؟ .

لقد حدثنا التاريخ أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد هاجر إلى المدينة بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، وهو يومئذ ابن ثلاث وخمسين .

فهل يمكن على هذا أن يقال . إن بدء الوحي كان في السابع والعشرين من شهر رمضان قبل الهجرة بثلاثة عشر عاما ؟ .

وإذا أمكن ذلك فهل لنا أن نعيد النظر في أمر الاحتفال بليلة القدر على أنها ليلة حراء ؟ ليلة بدء الوحي ؟ .

لقد احتفل القرآن نفسه بهذه الليلة المباركة ووصفها بما هي جديرة به من تكريم ، فقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ؛ إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم » (١) وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من

(١) هي سورة القدر .

(١) تفسير الكشاف ص ٢٠٥ ج ٤ .

(٢) سورة الدخان ٣ ، ٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر » .

وربما لم يكن الغرض من ذكر « ألف شهر » تحديد تلك الفترة من الزمن بل هو لمجرد التكثير ، وعلى كل حال فإنها أفضل من « ألف شهر » إذ لم يقل إنها تساوي تلك المدة .

ولا شك أن تلك الليلة جديرة بأن تتفوق في فضلها على زمن طويل ، ولقد ورد أن النبي ذكر لأصحابه يوما أن رجلا من بني إسرائيل قد لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، فاستعظم المسلمون ذلك فأنزل الله « ليلة القدر خير من ألف شهر » وعلى هذا يكون . فضل هذه الليلة التي بدأ فيها نزول القرآن الذي يرسم للناس طرق الفلاح - ويرشدهم إلى سعادة الدارين أكثر من فضل هذا المجاهد ، وفي هذا ما فيه من توجيه النظر إلى عظم القرآن الكريم .

ولقد وجدت عند كثير من شعراء عصرنا الحديث وقفات طيبة عند هذا اليوم الكريم يوم بدء الوحي أكتفي بذكر بعضها :

ومن ذلك ما جاء في قصيدة الشاعر أحمد محفوظ :

آمن إلى جبل في الله يصعده
طال أشم ، منيع الظهر والقمم

يطوي النهار ويطوي الليل مبتهلا
قريبا لباريء هذا الكون والنسم
في هدأة من سكون لا يخالطها
إلا تسابيح قلب طاهر وفم

إلى أن قال :

وضمه ضمها جبريل في رقة
ليودع النفس سرا غير منعدم

ومن ذلك ما جاء في « ملحمة أمير الأنبياء » للشاعر عامر بحيري (*) فقد أفرد فصلا خاصا بعنوان : فوق جبل النور ، من ستين بيتا ، وصف فيها فترة التحنث التي سبقت الوحي ، وصور فيها تأملات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتفكره فيما يراه حوله من أمور لا يرتضيها العقل السليم ، ثم ما كان يحس به في قرارة نفسه من ضرورة التغيير ، وتحطيم هذه الأوثان .

ومما جاء في هذا الفصل قوله :

ونام محمد بالغار يوما
قد استوفى مجاهدة وصوما
فشاهد في الكرى حلما رهيبا
فيا لك في جميع الدهر حلما

(*) الشاعر عامر بحيري هو الآن رئيس قسم إحياء التراث الديني بوزارة الثقافة والإرشاد ، والملحمة المشار إليها من مائتين وألف بيت مقسمة عشرات محورات وهي في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رأى ملكا بيمناه كتاب
تقدم نحـــوه ، فدنا وأومأ
وقال ، وقد أشار إليه : « إقرأ »
فلم يظهر لذاك القول فهما
هنالك غطه غطا شديدا
وأرسله ، فكاد عليه يغمى
وقال له ، وقد خلاه : « إقرأ »
فجاوبه : وهل حصلت علما ؟
فعاد فغطه غطا جـــديدا
شديدا ، ثم أرســله فهما
وجدد قوله المأثور : « إقرأ »
فخاف الموت والأمر المعمى
وقال «وما الذى أقرأ» ؟ فكانت
سؤالا عنده المقدور تما
هناك تلا عليه الروح فصلا
من القرآن أول ما يتمى

ثم أخذ يصف نشاط الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ، وما كان من ذهابه إلى خديجة وقص ما رأى عليها وما دار بينهما من حوار ، ثم ما تلا ذلك من إعلانه أمر الدعوة . . . وبدء النضال إلخ . . .

ونلاحظ أن مثل هـــذا الموضوع يقيد الشاعر حتى ليكاد يكون مجرد ناظم لأنه مضطر إلى ذكر الأحداث كما رواها التاريخ ، وهى مهمة ليست باليسيرة .

وقد صور المرحوم أحمد شوقى فى نهج البردة يوم بدء الوحى فى أبرع صورة ، وكان فى حديثه شاعرا قبل أن يكون مؤرخا قال :

سائل حراء ، وروح القدس : هل علما
مصـــون سر عن الإدراك منكتم ؟
كم جيئة وذهاب شرفت بهما
بطحاء مـــكة فى الإصباح والضمم
ووحشة لابن عبد الله بينهما
أشهى من الأنس بالأحباب والحشم
يسار الوحى فيها قبـــل مهبطه
ومن يبشر بسيمى الخـــير يتسم

إلى أن قال ، وهو أروع ما قال شوقى :

ونودى : اقرأ ، تعالى الله قائلها
لم تتصل قبـــل من قيلت له بفم
هناك أذن للرحمن فامتلأت
أسماع مـــكة من قدسية النغم
أرأيت تصويرا أبدع من هذا ؟ ثم استمع إلى تصويره لقريش عند ما علموا بهذا النبأ العظيم .

فلا تسل عن قريش : كيف حيرتها
وكيف نفرتها فى السهل والعـــلم
تسألوا عن عظيم قد ألم بهم
رمى المشايخ والولدان باللمم

وفى « ظل البردة » للمرحوم الشاعر محمد عبد المطلب تصوير بديع كذلك لم يتقيد فيه الشاعر بعبارات كتب السيرة كما فعل عامر بحيرى . قال :

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من علماء الإسلام :

عالم مثالي يترفع

للأستاذ محمد رجب البيومي

كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانا وأعظم مفخرا
من كل بحر و الشريعة زاخر ... ويريكه الخلق العظيم فضفضا
شوقي

يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الأول للدولة العباسية ، وكان من الهيبة والخشية بمنزلة توحي الرعب وتبعث الفزع فيمن يخالطونه ويشاركونه الحكم من أمراء ووزراء وقواد . . . ولو نظرنا إلى تاريخه نظرة فاحصة لرأيناه - وإن ملك الدنيا ودانت له الرقاب - غير سعيد بأبهته وسلطانه فقد رأى الرجل من الأحداث المتناقضة المتضاربة منذ صباه النامي ، إلى أن لقي ربه ما أورثه القلق والحيرة واليأس ، فقد كان يظن إبان نشأته الأولى في حكم الأمويين أن ما تعانيه نفسه من فزع ، وما تتقاه عشيرته من مضض سيزول حتما بزوال الدولة الأموية المستبدة ، ولذلك جاهد وجالد ، وانتقل إلى شتى الأقاصي النائية ليبشر بيوم جديد تشرق فيه الشمس على العالم الإسلامي ساطعة منيرة

(بقية المنشور على صفحة ٧٨٢)

لما أظل الورى إن دعوته ... حق تبين أعلام النبوة في
وثار نور الهدى يسطو على الغمم ... ما قد رأى ، ثم لم يرتب ، ولم يهم
أوفى على قلبه داع أهاب به ... أوحى إليه كما أوحى إلى رسل
من جانب القدس : هذا نورنا فشم ... من قبله بالهدى والملة القيم
وحوله من قريش كل معتقم ... بالنور ، ناطق بالفرقان أرسله
في حمأة الكفر يرعى خلف معتقم ... الله الذي علم الإنسان بالقلم
فاستوحشت بذم نفس له أنست ... والله الموفق للصواب ؟
بوحشة البيد ، وارتاحت إلى الوجم
مستأنسا بجلال الله يشهده
في الغار بين خشوع البيد والألم

دكتور سعد الدين الجيزاوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من علماء الإسلام :

عالم مثالي يترفع

للأستاذ محمد رجب البيومي

كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانا وأعظم مفخرا
من كل بحر و الشريعة زاخر ... ويريكه الخلق العظيم فضفضا
شوقي

يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الأول للدولة العباسية ، وكان من الهيبة والخشية بمنزلة توحي الرعب وتبعث الفزع فيمن يخالطونه ويشاركونه الحكم من أمراء ووزراء وقواد . . . ولو نظرنا إلى تاريخه نظرة فاحصة لرأيناه - وإن ملك الدنيا ودانت له الرقاب - غير سعيد بأبهته وسلطانه فقد رأى الرجل من الأحداث المتناقضة المتضاربة منذ صباه النامي ، إلى أن لقي ربه ما أورثه القلق والحيرة واليأس ، فقد كان يظن إبان نشأته الأولى في حكم الأمويين أن ما تعانيه نفسه من فزع ، وما تتقاه عشيرته من مضض سيزول حتما بزوال الدولة الأموية المستبدة ، ولذلك جاهد وجالد ، وانتقل إلى شتى الأقاصي النائية ليبشر بيوم جديد تشرق فيه الشمس على العالم الإسلامي ساطعة منيرة

(بقية المنشور على صفحة ٧٨٢)

لما أظل الورى إن دعوته ... حق تبين أعلام النبوة في
وثار نور الهدى يسطو على الغمم ... ما قد رأى ، ثم لم يرتب ، ولم يهم
أوفى على قلبه داع أهاب به ... أوحى إليه كما أوحى إلى رسل
من جانب القدس : هذا نورنا فشم ... من قبله بالهدى والملة القيم
وحوله من قريش كل معتقم ... بالنور ، ناطق بالفرقان أرسله
في حمأة الكفر يرعى خلف معتقم ... الله الذي علم الإنسان بالقلم
فاستوحشت بذم نفس له أنست ... والله الموفق للصواب ؟
بوحشة البيد ، وارتاحت إلى الوجم
مستأنسا بجلال الله يشهده
في الغار بين خشوع البيد والألم

دكتور سعد الدين الجيزاوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم تغيرت الدنيا وتحقق العلم المكتسب وأصبح خبيئة يباع فيباع ، فهل هداك نقده قليلا من ثمنها تذكر ووجدها ثقيلة ؟ إنه لينظر فيجد نفسه مضطراً إلى أن ينقلب على أصدقاء الأمس ممن بنوا مجده ورفعوا خلافته فتسيل دماؤهم على شفرات سيوفه وتساقط رقابهم بضربات أنانيته وحذره !!.

ثم إنه لا يقتصر فى ذلك على أصدقائه وأعوانه ممن لا تربطه بهم أواصر الدم والنسب بل ينتقل إلى أبناء عمومته فيتخذهم خصوما أشد خطرا ، وأفزع أثرا من الأباعد الغرباء ، ويعمل فيهم جبروته فيقتال الأرواح ويسفك الدماء !! وليت شره اقتصر على بنى العمومة بل انتقل إلى بنى العباس أنفسهم فهو يقصى ولى عهده بتدبير ظالم ، ليمهد السبيل إلى نجله ، ثم يتتبع أنصاره وخلصاءه فلا يفلت من يده أحد ، ويظن الظنون فى لوايا وزرائه ونيات قواده فيعصف فى الغد بصديق الأمس ، ويحدث من الارتياب والقلق فى نفوس حاشيته ما يجعل الوزير المطاع يترقب يومه فى حذر وإشفاق . . . بل هو يبعث أعوان خلصائه ومعارفه عمالا مطلا فيحدهم شأة الكلاب جاه ونفوذ ، وعشاق أموال وقصور ، فليس فيهم من يخلص له النصيحة بنفس صادقة وسريرة طاهرة ، وإنه ليرى فى وجوههم عيون الثعالب يديرونها ذات الشمال وذات اليمين ، وهو بعد مضطر إلى مصانعتهم والتغاضى عن بعض ما يأتون ليكونوا أعوان شدته ، ونصراء كريهته !! ليت شعرى أيستقيم له فى هذا العباب المضطرب هدوء وائق ، أو اطمئنان مريح . لقد أخذ يستعيد تاريخ حياته ، ويفكر فى بعض من يعرفهم من ذوى النفوس الخيرة ليكونوا مستشاريه ونصحاءه فلم يكد يعثر على أحد . ثم لمع فى ذهنه فجأة خيال صديقه القديم العالم العابد الزاهد عمرو ابن عبيد ، فرأى فيه مثلا للصراحة المخلصة والنزاهة الخالصة من المآرب والهوى ، والرجولة المترفعة عن الرغبات والميول ، فبعث إليه من يستدعيه مكرما مبجلا ! وإنه ليأمل أن يجد بعض الراحة معه حين يجلس لحظات مع نفس ملائكية لا تفكر فى غير نوازع الحق والخير والجمال .

لم يكن عمرو بن عبيد بالخامل الذكر أو المجهول القدر فقد كان عالم البصرة ورأس متكلميها وله جدل يفحم الخصم ، ولسان يفلق الصخر ... وإن اختلف أعداؤه معه فى آرائه الاعتزالية وتمسكه القدرى ورأيه فى العدل والحرية فهم متفقون جميعا - إلا من ندر - على طهارة نفسه ونزاهة ضميره ، ومتانة خلقه ! وإن أستاذه الحسن البصرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ليعبر عن شعور طرفيه حين يقول عن تلميذه الذي كان يفوح منها عبير المحبة والتقدير وقد خبره في حلقات الدرس ، وراكتشف سلوكه في معاملة الأعداء والخصوم فلم يقل عنه في ثقة وإعجاب :

« عمرو ! وما عمرو ! رجل كأن الملائكة أدبته ، وكأن الأنبياء ربته ، إن تم بأمر قعد به وإن قعد لأمر تام به ، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له ، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه ، ولا باطنا أشبه بظاهر منه » .

هذه التزكية المشرفة من إمام خطير الرأي والمكانة والثقافة في عصره كالحسن البصري . لا تكفي لدفع لجاجة بعض خصومه في الرأي فاندفعوا وراء معقوديهم الشخصية إلى مهاجمة دينه وعقيدته ، وإذا كان الرجل قد أفحمهم بالحجة والعقل ، ورمى تفكيرهم بالوضع والافتراء ، وأول ما يعتمدون عليه من الآيات والأحاديث والنصوص ، فقد رموا منه بداهية دهياء ، إنه قد رزق من سلامة القول وفصاحة العبارة ما ملك أزمة العامة والخاصة .

فليس لخصومه معه في جميع هذه النواحي سبيل إلى المجابهة والعناد . وقد غلت الحقود المريضة ببعضهم فاندفعوا يسبونه سبابا جارحا يبرأ منه الخلق الأصيل حتى لقد جاء إليه بعض تلاميذه ذات صباح فقال له : يا أبا عثمان إني لأرحمك مما يقول الناس فيك فقال يا ابن أخي ، أحمتني أقول فيهم شيئاً ؟ فقال : لا ، فإنهم لأرحم !!

هذا الرد الوجيز البليغ يكفي على قصره أن يكون مفتاحا لشخصية قائله ، فإنه ليكشف لك النقاب عن مشاعره وأحاسيسه لترى بذاته الداخلية أفقا رحيباً من التسامح والعفة والنقاء : وهذا بعض ما جذب المنصور إليه فبعث يستدعيه !!

لقد فكر عمرو بن عبيد في دعوة المنصور إذ بلغته ، وأخذ يسائل نفسه ماذا يروم من هذا الرجل وقد اعتزلت قصره وبلده ، وما فكرت في زيارته منذ ولي أمور الناس مع أنه كان من أصدقائي الأقربين أيام شبابه في الحكم الأموي ، فكان ينزل إلى مسكني فيعرف زوجتي وأولادي وأقربائي ويرى بنفسه ما آتي وما أدع من الأمور !! لقد مضت السنون الطويلة دون أن أخطر على باله في مضمار عظمته المرهوبة وسلطانه العريض ! يعلم الله أني أفر من هؤلاء المتسلطين فرار الصحيح من الأجرب ، وأعرف أن في التقرب إليهم مشاركة إيجابية فيما يقترفون من المآثم إن لم يجابهوا بالنصيحة الحاسمة والمعارضة الصريحة كما أمر الإسلام ثم ماذا أصنع الآن؟ أأرفض الدعوة أم أجيبها ؟ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا ما تردد فى نفس عمرو ! غير أنه لم يلبث أن قطع كل تردد ، وصمم على زيارة أبى جعفر لا ليلاطفه ويخادعه بل ليقول كلمة الحق فيما يأتى من الأشياء وهو بعد كما يعلم المنصور لا يخشى فى الله لومة لائم ! بل يقذف بالحق على الضلال ...

فكر أبو عثمان أثناء طريقه فيما سيواجه به أبا جعفر من أشياء ، فهو فى ميزانه النزيه قد حاد عن طريق الخلافة الراشدة فيما قام به من تجبر وإرهاب إذ جعل كل همه أن يثبت قوائم عرشه فتم ذلك على أشلاء الضحايا ومع رنات الثكالى والنادبات ، ولم يعتبر بما أصاب الدولة الأموية من انهيار حين سلك مسلكها الوبيء ، بل لم يعتبر بما حكاه القرآن عن إرم وعاد وفرعون ذى الأوتاد ممن طغوا فى البلاد ، ولابد أن يواجه بذلك ليرتدع عن غيه ولم يهتم عمرو بعاقبة . فحسبه أن أدى أمانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى دنياه ، ثم إن الخليفة من ناحية ثانية قد نكث ببيعة ولى العهد وأجبره على التنازل عن حقه لولده المهدى !! وولاية العهد عن طريق الوراثة فى منطق عمرو وفى رأى الإسلام الصحيح مفسدة تضر بالدولة وتقدم الفشل الكسول ليحتل مكان الحازم الإدارى الصبور ! فليواجه أبا جعفر بذلك ليكون على بصيرة بما تحت قدمه من بركان ،

أما حاشيته المتملقة فلا بد أن يناله نصيب من اللوم والتفريط ، فقد كانت عون الباطل على رسالته وما برحت تميل مع السلطان حيث يميل ، لتضمن الجاه الزائف وتختلس فى قطاعة الرئاسة ماتصل إليه الأيدى من قصور وضياع وأموال ! وتلك ثالثة الأثافى فى منطق العالم الصابر الزاهد العيوف ! !

وحان موعد اللقاء فما أن علم أبو جعفر بوصول عمرو حتى أسرع فى استدعائه وتخطى إلى حضرة الخلافة مئات الوجهاء من الأعيان والقواد والعلماء ممن قعدوا يلتمسون الإذن ويتظرون على أحر من الجمر أن يشملهم الخليفة برعايته فيسرع فى قبول المثول ، وقد علم الخليفة من سيلى من العلماء المخلصين ؟ فوطن نفسه على الاستكانة والامتثال وحسبه أن يسمع صوت الحق النزيه بريئا من الأغراض والشبهات ، وأدركته حصافته فرأى أن ينتقل من حجرة الخلافة ذات الأرائك المذهبة والنمارق المزركشة إلى حجرة متواضعة فرشت بالحصير كيلا يعلن الرجل احتجاجه قبل السلام !! وقد هش للقاء صاحبه وعانقه وقبله ، ثم رفع إليه عينه وهو يقول فى انكسار : عظنى يا أبا عثمان !

فنظر عمرو إلى الخليفة نظرة تنطق بجميع ما يضمر من سخط وإنكار ثم جللته سكينة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وضيئة جعلت وجهه طاقة من نور واندفع يقرأ بعد البسملة قول الله :

« ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد » ! وكرر الآية الأخيرة في تحد جرىء عنيد ! ففهم أمير المؤمنين ما يعني أبو عثمان ، وملكته رعشة مرنحة فتساقطت من عينيه الدموع !! .

فلم ينقطع الرجل عن قوله ، وصاح : « إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك ، وإني لأحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة يا أمير المؤمنين !! » .

وكان سليمان بن مجالد كبير حاشية المنصور يسمع ويرى فاستفظع ما طرأ على الخليفة من حزن واضطراب وصاح بأبي عثمان رفقا بأمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم ، ! فرفع عمرو رأسه وقال له من أنت ؟ فقال أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ، قال لا ، وما أبالي ألا أعرفه ! فأجاب المنصور هذا أخوك سليمان بن مجالد ! فضحك عمرو متهكما وقال هـذا أخو الشيطان ! ويلك يا ابن مجالد ! خـزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين من يريد نصيحته ! يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم ، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب ، فاتق الله ، فإنك ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئا !! .

أخذ الحاضرون من رجال الحاشية بصراحة أبي عثمان ! وعلموا أن الرجل قد هتك بصائرهم المدخولة بما قال ، وعقدت ألسنتهم فتدافعوا يتلاحظون بنظرات ضارعة منكسرة ، وتطلعوا إلى الخليفة في حذر فسمعوه يقول : يا أبا عثمان أعني بأصحابك فاستعين بهم دون هؤلاء ، فرد الرجل في قوة : أظهر الحق يتبعك أهله ! .

يا لها من ساعة حرجة فرج فيها العالم الناصح عن نفسه بعض ما يعتلج بها من شجون ! لقد ذكر رأيه صريحا في جبروت الحاكم وطغيان الحاشية ، وبقي أن يعلن رأيه في المهدي ولي العهد الجديد ! ! فنظر بين الحاضرين إلى شاب مترف عليه دلائل الإمارة والجاه ، وتوقع باستشفافه الملهم أن يكون الشاب ولي العهد ، فرفع رأسه ليسأل المنصور من هذا الفتى يا أبا جعفر !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فرد الخليفة هذا ابن محمد وهو المهدى ، فقال المهدى للمؤمنين ، لاستهما فرصة سانحة وقال : والله لقد سميتماه بما استحقه بعمل ، وألبسته لوسما ما هو من لبوس الأبرار ، ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه !! .

تضايق الخليفة من صراحة الرجل وأراد أن يتخلص من لقائه فسأله فى تصنع : هل من حاجة ؟ فقال نعم ، فتعجل أبو جعفر يسأل وما هى ؟ فقال أبو عثمان ألا تبعث إلى حتى آتيك ! قال إذن لا نلتقى . قال عن حاجتى سألتنى ، ونهض قائما فودعه الخليفة ، ومكث حائراً لا يدرى ما يصنع فكأنه تقيد فى مجلسه ثم جعل يفكر فى منطق هذا البطل العظيم ، وكيف صدقه القول حين كذب عليه الناس وتذكر بكل مرارة فاقته وحرمانه وكيف ضن معهما بكرامته أن يأخذ رهما أو دينارا مما بعض حقه فى بيت المال ، وتدافعت فى مخيلة الخليفة صور المتملقين والمادحين ممن يلتمسون الكسب الكثير وراء نصيحة خادعة ، أو مشورة وهو هو نة وكم شاهد فى مدى حياته الشاب من هؤلاء يتوجهون إليه ببريق الذهب يخطف أبصارهم فما يزالون يسألون ويلحفون !! إنه ليكشف دخائل هؤلاء جميعا فيرى نفسه - وهو الخليفة - فريسة يتطلع إليها الصائدون بحبائل مستترة تدب خفية إلى خزائنه ووظائفه فتفوح منها رائحة الأثرة والاستلاب !! وما يزال صدره يجيش بأمثال هذه المعانى حتى تجبره على التعبير عنها فى نغم منظوم فيجد لسانه يغنى بهذه الشطرات البليغة :

كلكم طالب صيد كلكم يمشى رويد
غير عمرو بن عبيد

فأى عالم ذلك الذى رنح أوتار الخليفة حتى دفعه - وهو غير شاعر - إلى مدحه بشطرات من الشعر كانت فى حقيقتها متنفسا سريعا لمشاعره المتلاطمة ، ذلكم هو أبو عثمان عمرو بن عبيد !!

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

قيل فى العلم :

أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث التحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أدب مقارن :

عمورية وواترلو
بين أبي تمام وڤيكتور هيجو

للأستاذ العوضي الوكيل

قصيدتان من أدب الحرب ، إحداهما شرقية والأخرى غربية ، لشاعرين فى الذؤابة من شعراء العربية والفرنسية ، هما أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى وفيكتور ماري هيجو .

أما أبو تمام ، فهو حبيب بن أوس الطائى ، شامى المولد ، انحدر إلى مصر صبياً وفيها تأدب ، وحفظ الشعر قصيده ورجزه ، وعالج القريض ، ثم تحول إلى بغداد واتصل بالبلاط العباسى ، زمن المعتصم وغيره ، وتوفى سنة ٢٣١ هجرية .

وأما هيجو فهو فيكتور ماري هيجو ، ولد سنة ١٨٠٢ ميلادية فى مدينة بيزانسون التى تقع إلى الجنوب الشرقى من باريس ، وفى طفولته زار مع أبيه عدة بلاد أوربية . وفى سنة ١٨١٩ نال إحدى الجوائز الأدبية فى الشعر من أكاديمية تولوز . وفى سنة ١٨٠٨م انتخب نائباً فى الجمعية التأسيسية الفرنسية وأدركته المنية فى ٢٢ من مايو سنة ١٨٨٥ م فشيعته فرنسا إلى مقره الأخير تشييعاً وطنياً رائعاً .

وقصيدة أبى تمام تكاد تبلغ خمسين بيتاً ، وهو يسجل فيها انتصار المعتصم على الروم فى موقعة عمورية ، مادحاً إياه بالبطولة والشجاعة ، وقد استهلها بمقدمة ترتبط بقصة ، ذلك أن المنجمين كانوا قد حذروا المعتصم فتحها فى الأوان الذى عزم فيه على هذا الفتح ، وقالوا إنا نجد فى كتبنا أنها لا تفتح إلا فى وقت نضج التين والعنب ، ولكن المعتصم لم يسمع قول هؤلاء المنجمين ، وسار بجيشه إليها ، فأتم الله عليه نعمته ، وتمكن من فتحها ، والاستهلال يرتبط بتلك القصة ، وفى عشرة أبيات من القصيد « البسيط » ، يبين الشاعر فضل السيف ، ويسخر سخرية لاذعة من المنجمين وعلمهم ، لا من العلم بعامة ، فليس مثل أبى تمام من يجهل فضل العلم ، فيضعه فى مقام الموازنة مع السيف ، ولكنه علم المنجمين ، ذلك العلم الذى يستقيه المنجمون من الشهب السبعة ، ونزولها فى أبراجها بين صفر الأصفار أو رجب ، والمنجمون يتحدثون باسم النجوم والأبراج ، وهى نفسها غافلة لا تدرى ما يدور فى أفلاكها وأبراجها . وفى الأبيات الخمسة التالية يذكر الشاعر عظمة الموقعة ، وأنها لعظمتها تسمو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هـ أن تقضها الخطب أو يعورها
الشعر ، وأن الله حقق بها للمسلمين أمانيهم .

وفيما بعد ذلك يصف الشاعر تحصينها وامتناعها على الفاتحين والغزاة ، ثم انتصار العرب ، ذلك الانتصار الذى كانت السنون والأحقاب تدخره للمعتصم ؛ يقول أبو تمام :

وبرزة[1] الوجه قد أعيت رياضتها
كسرى وصدت صدوداً عن أبى كرب
من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد
شابت نواصى الليالى وهى لم تشبِ
بكر ، فما افترعتها كف حادثة
ولا ترقت إليها همةُ النُوَبِ
حتى إذا محض الله السنين لها
مَحْضَ البخيلة كانت زبدة الحقَبِ

ثم يمضى أبو تمام فيدخل المعركة مع الداخلين ، ويصف بريشته الواعية ما حل بالمدينة من الدمار والخراب ، وما خر تحت أنقاضها من فوارس وأبطال .

كم بين حيطانها من فارس بطل
قانى الذوائب من آنى دم سرب
لقد تركت أمير المؤمنين بها
للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشله[2] وسطها صبحٌ من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

ويلتفت أبو تمام إلى ذلك الدمار والخراب التفاتة عربية ، فهو منتصر وفى عينيه يلوح هذا الدمار والخراب جميلا باهراً ، محبوباً كأنه ديار الأحبة المعمورة يطوف بها المحبون فى إعجاب :

ما ربع ميـة معمورا يطيف به
غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود وقد أدمين من خجل
أشهى إلى ناظرى من خدها التربِ
سماجة[1] غنيت منا العيون بها
عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسن منقلب تبدو عواقبه
جاءت بشاشته عن سوء منقلب

فإذا فرغ الشاعر من تصوير هذا الشعور الغريب مضى إلى المعتصم ، ليوفيه حقه من التمجيد والمدح لما ناله من انتصار مؤزر ، ولا ينسى أن يذكر أن المعتصم نفر إليها حين نقلوا إليه أن امرأة تستغيث به فيها وتقول « وامعتصماه » ويذكر كيف انهزم أمامه أعاظم قادة الأعداء ، ثم يهتف به قائلا :

خليفة الله جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والإسلام والحسب

---

(١) جيلة . (٢) يدفعه .

(١) قبح .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب

إن كان بين صروف الدهر من رحم
موصولة أو ذمام غير منقضب

فبين أيامك اللائى نصرت بها
وبين أيام « بدر » أقرب النسب

أما قصيدة فيكتور هيجو، فإن موضوعها يدور حول وقعة واترلو الشهيرة التى هزم فيها نابليون بونابرت أمام الانجليز وحلفائهم، ونفى بعدها إلى جزيرة سنت هيلانة.

وكان لنابليون حرس امبراطورى يفتخر به، ويعتقد أنه لا شيء فى الوجود يستطيع أن يعترض طريقه، فأراد الله أن يخفف من غلواء كبريائه وغروره بحرسه فأراه هذا الحرس فى وقعة واترلو وهو يذوب - كتعبير هيجو - ذوبان الشمعة قاربتها النار. لقد رأى نابليون بعينيه جنده الأقوياء الأشداء يسقطون فى الميدان صرعى فرادى وجماعات.

وقد استهل هيجو القصيدة، بوصف مراودة الصراع بعد أن حل المساء وبعد يوم طويل من القتال العنيف، والضرب الذى زلزل منه السهل والجبل، وغبار المعركة ينتشر فى أجوائها، ونابليون يمسك بمنظار الميدان، ويتتبع حركات المعركة بينه وبين أعدائه، وولنجتون، ذلك القائد العنيد، يتراجع قليلا أمام جنود نابليون ويوشك أن يصبح محصوراً فى غابة قريبة.

ويقلق نابليون لأنه لم ير استماتة من أعدائه فى الكفاح كتلك الاستماتة، ولأن النصر السريع لم يواته كالعادة، ولأن الحرب تدور فى حقد وموجدة فى جو ملأه تراب المعركة، وزمام المعركة فى يد المقادير:

أتى المساء ووجه الأفق معتكر
وأوشكت ظلمات الليل تنسدل[1]
والصراع قتام ثم منتشر
والضرب زلزل منه السهل والجلل
والنصر أوشك أن يدنو إلى يده
وأن يصح له فى حربه الأمل
أدهى عدو به محصور بغايته
قد شد أطنابه من حوله الفشل
يرى بمنظاره ما لا يسر به
ويرقب الجند فى الساحات تقتتل
دارت رحى الحرب فى حقد وموجدة
والأفق بالشر المبثوث مشتمل

ويظهر « بلوخر » القائد الحليف لولنجتون من بعيد، فيشتد أمل الحليفين فى الانتصار على خصمهما الكبير، وتصير أرض المعركة

[١] الشعر المنسوب إلى هيجو هنا من ترجمة صاحب المقال ونظمه.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كالجحيم العارية . وتتمزق الأعلام وتختلط بالأشلاء ، ويخر تارع الطبل على نافخ البوق ، وأزهى الملابس والقلانس يلطخه وحل الأرض بالطين . ويتهاوى الجنود كما يتهاوى الأوراق ويميلون كما تميل السنابل .

روح القتال تغيرت وجهاتها
والأرض تحسبها جحيما عاوياً

وكأن كل كتيبة طود ، غدا
من هول ما يرى به متداعياً

كم قارع للطبل خر ، ودونه
أزهى القلانس ما غدون زواهياً

مالوا بميل السنبلات تواضعاً
وتجدلوا فرط الجراح داوياً

والامبراطور العظيم تراه فى
قلق ، وقد أمسى حبوساً عانياً

تطوى صحاف الحرب بين يدى فتى
يا طالما نشر الصحاف حواليا

ولا يجد نابليون مفراً من أن يدخل حرسه الخاص المعركة ، ويتقدم الحرس ذو التاريخ المجيد فى المعارك :

لهم فى « ريفولى » ذكرة عبقرية
وفى فرد لبياندروى النصر عنهم

ويتحطم الحرس ، ويذوب :

صفوف من الفولاذ ، لا الجند ، حطمت
فما بينها إلا طعين مجندل

وذابوا كما ذابت لدى النار شمعة
وكل امرئ رهن بيوم يؤجل

وهيجو فى قصيدته ، يقص ، ويسترسل ولا يقدم للقصيدة بما يجعل أن الحرب كانت للانتقام أو للثأر أو شىء من ذلك كما فعل أبو تمام ، ولم يعن هيجو بأن يسبغ على المنتصرين أوصاف الشجاعة والاقتدار فى المعامع ، لأنه مهزوم ولعله أراد أن يبرر هزيمة ابن جلدته ، بعد أن أوقع به القائدان المتحالفان الرومى والانجليزى ، ولم يستطع كذلك أن يرسم لنا - كما فعل وصيفه العربى ما حل بالمنهزمين من التدمير والتحطيم ، بل إنه لم يذكر لنا - كما ذكر أبو تمام - نتائج هذه المعركة الهامة ، وكل ما عنى به تصوير دخول الحرس الامبراطورى المعركة ، وتصوير هلاكه وهزيمته تحت نيران أعدائه .

إن وصف المدينة المغار عليها ، التى أصابها التدمير والتخريب ، بلسان المنتصر المزهو بانتصاره ، وبالصورة التى صورها بها أبو تمام هيهات أن نجد له مثيلا فى أى أدب من الآداب العالمية ؟

العوضى الوكيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اجتهاد أبي حنيفة وموقفه من الحديث

للأستاذ محمود الشريف

مع ظهور الإسلام تقدم الفكر وارتقت الحياة العقلية ونهضت الحضارة الإسلامية، وبلغت ذروتها في العصر العباسي فأخذت زخرفها وتكاملت، ونشطت الترجمة ونقل إلى اللغة العربية كثير من ذخائر الفرس واليونان والهند.

وفي هذا العصر ظهرت نهضة أصيلة لم تقم على علوم أجنبية ولم ترتكز على الترجمة، هي النهضة التشريعية التي انبثقت من فقه أبي حنيفة ونبعت من حلقته العلمية بمسجد الكوفة. وقد عاش الإمام أبو حنيفة النعمان ابن ثابت قرابة سبعين سنة منذ مولده بالكوفة سنة ٨٠ هـ إلى وفاته ببغداد سنة ١٥٠هـ. شاهد خلالها أحداث الدولتين: الأموية والعباسية، وقد كان متين الخلق قوى الشخصية لا تلين له قناة في الحق، ورعاً عظيم الخشية لله، طلب منه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يتولى القضاء فرفض، فعوقب بالضرب والسجن، ثم دعاه الخليفة مرة ثانية من السجن وعرض عليه ما عرضه أول مرة فقال أبو حنيفة له: لا أصلح للقضاء. فقال له: كذبت !! فرد أبو حنيفة: قد حكم عليّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء، لأنه ينسب إليّ الكذب، فإن كنت كاذباً فلا أصلح، وإن صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح، فردوه إلى السجن.

وكما رفض القضاء بين يدي أبي جعفر رفضه بين يدي يزيد بن عمرو بن هبيرة عامل مروان على العراق في دولة بني أمية، وضربه ابن هبيرة بالسياط ثم خلى سبيله، وكانت أمه إلى جواره تقول له: «يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه» فأجابها «يا أمتاه لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكنني أردت أن يعلم الله أني صنت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة»، وظل في حبسه حتى مات بعيداً عن تحقيق أغراض السلطان الذي قال فيه عندما كان يوصي تلميذه «أبا يوسف»: كن من السلطان كما أنت من النار تنتفع بها وتباعد عنها ولا تدن منها فإنك تحترق.

ومن أبرز صفاته: قوة الحجة وبراعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاستدلال قالوا عنه لو أراد أن يقيم الدليل على أن هذه السارية (الاسطوانة) ذهب لفعل ، وكان مع هذا كله إذا جمع المال تسابقت كفاه فى توزيعه على الفقراء وذوى الحاجة ...

كان تاجراً صناعته الفكر . . ومفكراً اشتغل بالتجارة ، بل كان من أكبر تجار الكوفة فى عصره ، ومن خلال هذه الحرفة تكشفت أخلاقه وتقواه ، فلم تلهه تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وعرف بالأمانة فى تجارته ومعاملاته .. كان لا يغش ولا يخدع ولا يبيع شيئاً به عيب إلا بعد أن يبين للمشترى ذلك العيب . بعث بمتاع (بضاعة) إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه فى التجارة وأعلمه أن فى ثوب منه عيباً وأمره أن يبينه للمشترين فباع حفص المتاع ونسى أن يبين العيب واستوفى الثمن كاملا لهذا الثوب المعيب فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه البحث عن المشترى ولكنه لم يهتد إلى المشترى فساء ذلك أبا حنيفة وانفصل من شريكه وتصدق بثمن الثوب كله حتى لا يدخل فى ذمته ومماله شىء فيه شبهة .

تطلعت نفسه منذ صغره إلى المعرفة الحقة ورغب فى العلم والاستزادة من معينه فاتجه إلى دراسة الفقه الإسلامى واتصل بكثير من أعلام الفقهاء فى العراق ، كحماد بن سليمان الكوفى ، و « ابراهيم النخعى » وقد تتلمذ على يد حماد وقال عنه ، كما جاء فى الجزء الثالث من تاريخ بغداد (صحبته عشر سنين ثم نازعتنى نفسى الطلب للرياسة فأردت أن أعتزله وأجلس فى حلقة لنفسى ، فخرجت يوماً بالعشى وعزمى أن أفعل ، فلما دخلت المسجد ورأيته لم تطب نفسى أن أعتزله فجئت وجلست معه فجاءه فى تلك الليلة نعى قريب له قد مات بالبصرة وترك مالا وليس له وارث غيره ، فأمرنى أن أجلس مكانه فما هو إلا أن خرج حتى وردت على مسائل لم أسمعها منه فكنت أجيب وأكتب جوابى ، فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحواً من ستين مسألة فوافقنى فى أربعين منها وخالفنى فى عشرين فآليت على نفسى ألا أفارقه حتى يموت ، فلم أفارقه حتى مات) .

ولما مات أستاذه حماد سنة ١١٩ هـ رأى أصحابه وتلاميذه أن خير خليفة يملأ مكانه فى الفتيا والدرس والتعليم هو أبو حنيفة فأجابهم إلى ماطلبوه منه . وذاع صيته وارتفع شأنه وصار مجلسه العلمى فى المسجد مثابة لمختلف الطبقات من حكام وأمراء وقواد . وتتلمذ عليه أئمة جاءوا من بعده مثل « أبى يوسف » و « زفر بن الهزيل » . وعن حلقة أبى حنيفة يقول الأستاذ عبد الحليم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجندى فى كتابه « أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح » : لم تكن حلقة أبى حنيفة كسائر الحلقات ، بل كانت تأتى كل يوم بجديد يتجلى فيها طابع التطهر فى الجسم وفى العقل معاً ، فلا يستعملون الماء إذا استعمله سواهم ، ومن أجل ذلك اتخذ أتباع أبى حنيفة للوضوء حياضاً ذات صنابير فنسبت هذه الصنابير إليه « الحنفيات » لأن استعمالها للوضوء يمنع استعمال الماء مرة أخرى والماء المستعمل غير طهور عند أبى حنيفة ؛ فالحنفية التى تفتحها صباح مساء هى الذكرى المتجددة لهذه الحلقة المتأنقة فى طهارتها » . وقد أسس النعمان مذهبا فقهياً أخذ أحكامه أولا من كتاب الله ومن الأحاديث التى صحت عنده من سنة رسول الله عليه السلام ، ثم من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم فإذا لم يجد فى كل ما تقدم حكما اجتهد فيه برأيه واستعمل عقله لإيجاد حكم غير موجود فى هذه المصادر التشريعية السالفة قال ابن عبدالبر صاحب كتاب الانتقاء ، قال أبو حنيفة عن أساس مذهبه فى استنباط الأحكام : آخذ بكتاب الله ، فما لم أجد فبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فما لم أجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحابه ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم فإذا انتهى الأمر إلى ابراهيم النخعى أو ابن سيرين أو غيرهم فهؤلاء قوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا ، ومن هذا تتضح لنا الأصول والأسس التى قام عليها مذهبه وهى : القرآن والسنة وإجماع الصحابة ثم القياس أى الرأى والاجتهاد فكان أبو حنيفة يقيس المسألة على أخرى ايردها إلى أصل من أصول الكتاب أو السنة أو اتفاق الأئمة ، فيعمل فكره ويحكم عقله .

سئل أبو حنيفة : إذا قلت قولا وكتاب الله يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى لكتاب الله . قيل : فإذا كان خبر رسول الله عليه السلام يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى لخبر رسول الله . قيل : فإذا كان قول الصحابى يخالف قولك : قال : أترك قولى لقول الصحابى قيل : فان كان قول التابعى يخالف قولك ؟ قال : إذا كان التابعى رجلا فأنا رجل ، وكان يقول : هذا رأيى فمن جاءنى بأحسن منه قبلناه ، ولا غرو فهو رائد من رواد الفكر الناضج والاجتهاد المستنير أراد أن يأخذ الدين عن أصوله الصحيحة ويقيم مذهبه على أحاديث ثابتة صحيحة سليمة فكان يفحص الأحاديث ولا يعمل بواحد منها إلا إذا ثبت عنده أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه . ومذهبه مملوء بالمسائل والأحكام التى تعتمد على أحاديث رسول الله وصحابته فهو لم يترك الأحاديث النبوية كما يشاع عنه ، إنما اعتمد على ما ثبتت صحتها عنده .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقول نعيم بن عمرو سمعت أبا حنيفة يقول: « عجباً للناس يقولون إنني أفتي بالرأي وما آتي إلا بما أثر عن النبي » وقد ورد ذلك في كتاب المناقب للمكي الجزء الأول.

وقال يحيى بن آدم، وكان من كبار فقهاء المحدثين بالعراق، « زعم بعض الطاعنين أن أباحنيفة قال بالقياس ـ الرأي ـ وترك الحديث وهذا كذب وافتراء عليه، فإن كتبه وكتب أصحابه مملوءة من المسائل التي تركوا العمل فيها بالقياس وأخذوا بالأثر الوارد فيها » ثم ذكر يحيى بعد قوله هذا بعض هذه المسائل.

وكان أبو حنيفة عالماً بالحديث حجة فيه، يقول أبو يوسف أكبر أصحابه « ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواضع ما فيه من أبي حنيفة وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني ».

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه عن أبي حنيفة « ليس لباحث منصف أن يرمي أباحنيفة بأنه كان يترك عامداً بعض ما صح عنده من الحديث والآثار ليأخذ بالرأي والقياس، حاشاه أن يكون فعل شيئاً من ذلك وإلا لما كان مؤمناً حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عنه، بله أن يكون اماماً من أئمة الشريعة الإسلامية الخالدين. غاية ما في الأمر أنه كان بصيراً بالأحاديث والآثار وكان له أصول وقواعد في « فقه الحديث » إن صح هذا التعبير، وكان يرجع إليها فيما يأخذ ويدع ».

ويقول المرحوم أحمد أمين في كتابه « ضحى الإسلام » عن مسلك أبي حنيفة في الحديث « كان له مسلك خاص، وهو التشدد في قبول الحديث والتحري عنه وعن رجاله حتى يصح وكان لا يقبل الخبر عنه رسول الله عليه وسلم الا إذا رواه جماعة عن جماعة، أو كان خبراً اتفق فقهاء الأمصار على العمل به أورى واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في جمع منهم فلم يخالفه أحد ».

ويقول الأستاذ عبد الحليم الجندي في كتابه السالف « أما أحاديث الآحاد التي يرويها واحد عن الرسول أو اثنان أو جمع لم يبلغ حد التواتر عن واحد عن الرسول. وما أكثرها. فلا يطمئن اليها أبو حنيفة ».

إذن هي الحرية العقلية التي اعتمد عليها أبو حنيفة فيما اعتمد، وكانت مبدأ من أهم مبادئه، أحدثت ثورة فكرية قوية وبعثت حركة عقلية أنتجت في عصر أبي حنيفة كما يقول المرحوم أحمد أمين، رقيا عظيما واستخرجت أحكاماً ونظريات هي خير نتاج العصور الإسلامية ».

محمود الشريف

مراقب الكتاب بوزارة التعليم العالي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الآلـــة والأداة

للأستاذ محمد بهجت الأثري

كل كائن حي ، يدخل عالم الحياة طفلا ، ثم يتدرج إلى الشباب فالكهولة فالشيخوخة التي تسلم إلى الفناء ... إلا كائناً واحداً كان استثناء من القاعدة ، ذلك هو هذه اللغة العربية .

فإنها دخلت عالم الحياة طفلة كما تدخلها الأحياء كافة ثم درجت في مراحلها التاريخية حتى اكتملت قوتها ، فوقفت لا تزيد عند شباب دائم لا يشيب ، بل يشب شبابا ، ويتجدد على هرم الزمن ، متحيدا في علوه صعدا على نظام الارتقاء . ذلك بما استكن في طبيعة تكوينها من القوة التي تعطيها الحياة ابدائمة من باطنها الحي وتحفظ عليها شباب السن مع استبقائها متميزة في نفسها .

ولدت هذه اللغة الكريمة العظيمة في زمن قديم لا يعرف أوله . واجتازت مراحل تطورها الطبيعي التاريخي ، حتى شارفت الجاهلية الأخيرة مكتملة النضج تتصدر عروقها فتوة وقوة وحياة ، متميزة باستقلال الشأن واستقلاله بصيرورتها عمود القومية ولسان مفاخرها ومآثرها في الوجود .

ثم نزل بها التنزيل ، فتكون عمود الدعوة العظمى ، ولسان الشريعة والعقيدة والحضارة والفكر ، وانساحت مع العظماء الفاتحين العرب في جنبات الأرض شرقا وغربا ، وامتدت معهم امتداد المحيط الأعظم لا تدرك شواطئه . فجرت على يبس الصعيد هنا وهناك ماء وظلا وجنى ، واستسلمت لسحر بيانها الأمشاج ، يتغنى بها من ليسوا أهلها واستجابت لكل نداء ، وتلونت بكل إناء ، وكان لها على كل لسان مذاق .

وبعد أن وسعت كتاب الله لفظا وغاية ، آية آية ، ووفت بمطالب الإسلام العظمى في الدعوة والتبشير والفتح ، جرت مع السياسة والإدارة أشواطا بعيدة واستلهمتها الحضارة والنفس الإنسانية كما استلهمها الدين عقيدة وشريعة ونظاما . فأمدتهما بما طمحتا إليه من غاية . وما أدركها في طريقها الطويل فناء ، ونهضت بمنطق أرسطو ، وعبرت فأحسنت التعبير عن فلسفة الإغريق وثقافات الصين والهند وفارس ، وانداحت دائرتها للعلوم والفنون والآداب التي عرفتها عصور العرب الذهبية وكانت تربو على ثلثمائة علما ، بينها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كثير مما لا يهتدى إليه أهل المدن الحديث إلا بعد أن نضج تمدنهم فى القرن التاسع عشر الميلادى ، كالسياسة المدنية والشرعية وتدبير المنزل والاقتصاد السياسى والعمران والاجتماع وفنون الحرب وآلاتها ونحو ذلك من مبتكرات العقل التى جالت فيها أقلام القوم وأتت منها بالبدائع والروائع .

وكما عذبت فى فم ابن البادية وانسجمت مع نوازعه وأفكاره وطبيعة بداوته ، وأبانت فأجادت الإبانة عن مقاصده ورغباته وأهوائه ... عذبت كذلك فى فم الحضرى المثقف الذى ربى فى أحضان الترف والنعيم ، وأسلست قيادها لمطالب معيشته ونوازعه النفسية وخطراته الفكرية والشعورية وحاجاته العمرانية والمدنية ، وتلونت بألوان حياته فى جده وهزله ، ومدت له فى كل شأن من أسبابها ما شاء ، وما خانته فى أرب من آرابه .

حتى إذا انحسر سلطان العرب عن هنا ومن هنا ، وتراجع تمدن العرب الإسلامى أمام طوفان الغزاة - المغول والصليبيين والأسبان - انحسر سلطانها من الشرق والغرب وسال سيل العجمة فى الأوطان العربية ، وهجمت الألفاظ الأعجمية الدخيلة على الألفاظ العربية الأصيلة فى الدواوين فأبعدتها منها جملة ، وزاحمت لغة التخاطب فى المنازل والأسواق والمجتمعات . فاحتلت آلاف من مواضعاتها مكان المواضعات العربية فى التجارة والصناعة والزراعة ونحوها من شئون الحياة .

وأعان على ذلك شيوع الجهل والأمية فى الناس ، وخمود جذوة القومية العربية ، وفتور الحماسة للغة العربية ، بما رزأت به الدول الأعجمية الباغية تلك المجتمعات : من سد منافذ المعرفة بوجوه أجيالها الناشئة ، وتغليب سلطان لغاتها على سلطان اللغة العربية تغليبا حصرها فى دائرة ضيقة بين أسوار عالية تحجب عنها الأفق الذى تطمح ببصرها إليه .

حتى إذا تنفس فجر هذا العصر ، وبدأت الأمة العربية تتنسم نسيم الحرية ، وتحاول أن تسترجع الذاهب من سلطانها السياسى والقومى والاجتماعى .. كانت المدنية العصرية قد دخلت الأقطار العربية على حظوظ متفاوتة من القوة والضعف بعلومها وفنونها وصناعاتها ومخترعاتها وضروب أثاثها ورياشها وآنيتها وصنوف مطاعمها ومشاربها وطفقت تفرض على اللغة العربية أسماءها الدخيلة التى تميزها أفواجا إثر أفواج ، كما تفرض نفسها على الحياة العربية بكل مقوماتها ومفاهيمها ومسمياتها وأعيان آلاتها وأدواتها ومختلف مظاهر الحضارة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هنا وقفت اللغة العربية أمام حالة جديدة خطيرة من غزو اللغات الأوربية الحديثة بعد غزو اللغات الشرقية القديمة . تؤذنها بشر مستطير أثيم واحتلال لغوى أجنبي مقيم ، وتقتضيها الاستعصام بقواها الطبيعية لدحر هذا الغزو وهزيمته .

وبدأت فى غمرة الموقف تتـــأمل تأمل المستبصر فى العواقب . ما الذى تصنعه : هل تأذن لهذه الألفاظ الأعجمية الدخيلة أن يسيل سيلها وتغرقها بصيغها وأشكالها ولغاتها بل وطاناتها المتعددة عن طواعية واستسلام ؟ أو تقبلها كلها أو بعضها بعد إخضاعها لأصول التعريب كما فعلت إبان تاريخها المجيد عندما اتصلت بشعوب الأرض اتصال الند بالند أو اتصال الغالب بالمغلوب فأخذت قليلا وأعطت كثيرا ، وما فرطت من مقومات شخصيتها الأصلية بشىء ؟ أو تضطلع بما تطلبه الحياة منها من ألفاظ عربية خالصة تؤدى المعانى الأجنبية بالنقل وبالاشتقاق من صميم مادتها الأصيلة ، وهى بها فارهة وغنية أكبر الغنى؟ وفى هذا نشب الخلاف بين اللغويين وجماعات من الدارسين والباحثين فذهب كل فريق مذهبا ينبع من طبيعة دراسته وتلقيه ووعيه الخاص ، ثم لم يلبث أن خفت حدته وطفق يزول رويداً رويداً كلما تطورت الحياة العقلية والعلمية وازداد الشعور القومى ، حتى سيطر الرأى الذى يحقق سلطان اللغة العربية وقدرتها على الاستقلال بنفسها فى التعبير عن الحاجات والأفكار وعن شئون الحياة جليلها ودقيقها وعن مطالب العلوم والفنون والصناعات ، مستغنية بثروتها عن الاستعارة من اللغات ، إلا ما تقضى به الضرورة فى بعض الحالات .

على أنه ينبغى أن نذكر فى صراحة تامة أن المدى أمام اللغة العربية فى هذه الأشياء ما يزال بعيداً وكلما قرب بعد ، ذلك لأن الحضارة تزداد فى كل يوم تقدماً وانبساطاً واتساعا وتعقد بكثرة ما يتطور أو يتجدد من شئونها ولاسيما شئون الفنون والصناعات والمخترعات ، وذلك كله يقتضى من علماء اللغة أن يدأبوا ويواصلوا الدأب وأن يضطلعوا دائما فى غير تلبث ولا وناء بمجهود عنيف مستمر يتكافأ مع حركة الإنتـــاج المتدفق وحوافزه السريعة لا تستأنى ولا تعرف البطء ، لأن الحياة العصرية مدفوعة بالحركة والسرعة والنشاط الذى لا يفتر ومن وفى عن الاندفاع معها خلفته وراءها فيظل فى الساقة أو وراء الساقة منقطعا .

وأن أول ما يقتضى من علماء اللغة المبادرة إلى التعبير عنه وتسميته تسميات عربية دقيقة هو ما يدور بين الناس من أسباب العيش ووسائله وما يكون اتصاله بحياتهم أقربه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من غيره ، وما لا ينفصلون عن تناوله واستعماله لحظة من اللحظات من أجهزة وآلات وأدوات كهربية وبخارية يمارسونها في المصانع أو يرتفقون بها في المنازل والمناذق والمطاعم وهي وما إليها من صنوف الرياش والأثاث والماعون من الكثرة والتنوع والتعقيد والشيوع بالمكان الذي لا يوصف ومعظمها يتطلب تسميات عربية فصيحة مأنوسة تسوغها الأذواق .

ولشد ما يستشعر الإنسان الضيق والحرج حين يستعمل هذه الأشياء فيتعذر عليه الوقوع على أسماء عربية لها ، أو يقع لبعضها على أسماء عامية ، أو معربة ومنها ما أعابه أشنع التحريف فأفسد معناه كالذي سمعته ذات يوم من عامل في مصنع يعالج أداة عطبت في سيارة فسألته عن اسمها ، فرأيته يتردد . ثم قال بعد لأي بإذاعة العامي البري ء : اسمها — أكرمك الله — « نذل » وهو لا يعلم أن أصلها الانكليزي Needle معناه الإبرة . ولم يخطر بباله أن يفكر فيما يقال لهذه الأداة التي تشبه الإبرة « نذل » بحيث لجأ إلى التأدب مع مخاطبه وإكرامه عن ذكرها له حين اضطر إلى إسماعه إياها استجابة لسؤاله ، ومثل هذا كثير

والمشكلة القائمة تحل بوسيلتين :

الوسيلة الأولى : هي أن يستحيا القديم، ويلائم بينه وبين الحاضر من غير قسر ولا إعنات فتستعمل الألفاظ العربية التي نسيت في معانيها الأصلية ، وفيما يشبه معانيها الأصلية أو يكون لها بها صلة غير المشابهة .

ولا ريب في أن التوسع في أوضاع اللغة القومية حتى تفره وتغني بنفسها أبقى على حياتها وأضمن لدوام شبابها وتجدده من السماح للدخيل باقتحامها واحتلال مكانها كما يود « ناس » أن يكون .

إن دواوين اللغة العربية تفيض بأسماء الآلات والأدوات والأثاث والرياش والماعون وألفاظ الشئون العامة التي تشتد حاجة الناس إليها . وقد استخرجت من كنوزها ما استطعت ، وجعلته على طرف الثمام من متناوليه ، ليستعملوه في التعبير عن المعاني الجديدة وفي إطلاقه على المسميات المستحدثة على النحو الذي أشرت إليه وهو سبيل مسلوك في اللغة العربية منذ القديم .

والوسيلة الثانية : هي وسيلة الاشتقاق الذي هو في اللغة العربية أشبه بـ « المولد » generator في الصناعات الآلية ، ما يفتأ يولد لها الطاقة بعد الطاقة ويمدها بالقوة والقدرة على الحركة والعمل ما تحرك . فكما أن هذا هو شأن « المولد » في الصناعات الآلية ، فكذلك الاشتقاق في اللغة العربية يمدها ما امتد بأهلها البقاء على وجه الزمن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويساعدها على نموها وتطورها دائما وعلى إسعاف الحياة بما تطلب منها من ألفاظ

وسبيل هـذه الوسيلة سبيل لا حب معروف ، قد عبدته اللغة العربية بفطرتها المستقيمة ، ونوعت الآلات التى تبلغ براكبها غايته البعيدة فى سهولة ويسر ... لكنه تحيفه الخالمون وجاروا عليه فضيقوه وألقوا فيه الحسك والشوك ، وقصروا سلوكه على آلة معقدة مغلقة مثقلة بالقيود البطيئة الحركة كراحلة صديق الشاعر القاهرى الظريف « البهاء زهير » :

تمشى فتحسبها العيو ن على الطريق مشكله
مقدار خطواتها الطوي لة حين تسرع أثقله
وتخال مدبرة إذا ما أقبلت مستعجله
تهتز وهى مكانها فكأنما هى زلزله

وأعنى بهذه الآلة ، قاعدة (اسم الآلة) كما وردت فى كتب النحاة المتأخرين ، وما أريد بما أصف من حالها غير الجد الذى يمكننا من النهوض بأداء الأمانة .

على أن بحث اسم الآلة هـذا فى جملته وأساس تناوله ، لم يتوسع فيه النحاة من من قدماء ومحدثين ما توسعوا فى غيره من مباحث النحو واللغة ؛ لأن الحياة القديمة لم تكن تدعو لبحثه وتلح على تعمقه ، فأوجز الأوائل فيه الكلام إيجازا شديدا ، ونقله الأواخر عن نهجه فى لغة العرب فقيدوا مطلقه وحرموا مباحه وحجروا به واسعا .

أما وقد تجددت حياتنا على نحو يتطلب منا الاستبحار فى كل شىء ومن ذلك اللغة ، فلا مناص لنا من أن نعيد النظر فى قاعدة (اسم الآلة) هذه ، وأن نبحثها بحثا جديداً متعمقا يوضح غموضها ويكشف معالم ميدانها الفسيح وينتهى بها إلى غايتها من الانتفاع بها فى توسيع مادة اللغة فى جانب من أهم جوانبها بالقياس إلى الحياة الحاضرة .

* * *

بحثت هذه القاعدة فى كتب النحو على طريقتين مختلفتين ، سارت بها كل منهما على منهج بحثها فى سائر أبواب النحو . أولاهما ما أسميه بالطريقة العربية ؛ لأنها تقوم على الاستقراء اللغوى ومراعاة الاستعمالات العربية الأصيلة فتقعد ولا تعقد . والأخرى ما أسميه بالطريقة الأعجمية . لأنها تسير على منهج من التعليل المنطقى قلما تلتفت معه إلى الاستقراء اللغوى ، وتفرض شروطا تحرم أنواعا من مباح الاستعمالات العربية ، فتقعد وتعقد .

(ا) فأما الطريقة العربية ، فقد تناولتها من ناحية أبنية بعض الصيغ الاشتقاقية التى تلحق أولها ميم مكسورة للتفريق بينها وبين صيغ أسماء المكان والمصدر التى تكون على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مثالها وتفتح ميمها ، إذ كانت العرب تفرق بين دلالات الصيغ المتشابهة بالحركات وغيرها ، فتقول مثلا « مقص » للشيء الذي يقص به و« مقص » للمصدر والموضع الذي يكون فيه القص ، لم نذهب إلى أبعد من ذلك ولا إلى أكثر مما يستدعيه البحث التفصيلي .

فقال سيبويه من أئمة نحاة البصرة الأوائل في (الكتاب) . وأوجز : « باب ما عالجت به : أما المقص فالذي يقص به ، والمقص المكان والمصدر . وكل شيء يعالج به فهو مكسور الأول كانت فيه تاء التأنيث أو لم تكن ، وذلك قولك : محلب ومنجل ومكسحه ومسلة والمصفى والمخرز والمخيط . وقد يجيء على مفعال ، نحو : مقراض ومفتاح ومصباح وقالوا المفتح كما قالوا المخرز وقالوا المسرجة كما قالوا المكسحة » .

وقال الكسائي من أئمة الكوفيين في (كتاب ما تلحن فيه العوام) : « وما كان من الآلات مما يوضع ويرفع ، مما في أوله ميم . فاكسر الميم أبدا على مفعل ومفعلة تقول : هذا مشمل ومثقب ومقود ومنجل ومبرد ومقنعة ومصدغة ومجمرة ومسرجة ومشربة ومرفقة ومخدة ومحسة ومظلة . فهذا كله مكسور الأول أبدا ، سوى منخل ومسعط ومدهن ومدق ومكحلة ، فإن هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم » .

وقال ثعلب في « الفصيح » وابن السكيت في (إصلاح المنطق) : « كل اسم في أوله ميم زائدة على مفعل ومفعلة ، مما ينقل أو يعمل به . فهو مكسور الأول ، نحو : مطرقة ومروحة ومرآة ومئزر ومحلب للذي يحلب فيه ومخيط ومقطع ، إلا أحرفا جئن نوادر بالضم في الميم والعين ، وهن : مدهن ومنخل ومسعط ومدق ومكحلة ومنصل وهو السيف » ذلك هو منحى الأوائل في المسألة ، وهو يتلخص في أمرين :

(١) أن القصد هو بحث بناء مفعل ومفعلة ، وضبط حركة الميم التي تلحقهما بالكسر لما ينقل أو يعمل به من الأسماء . وبالفتح للمكان والمصدر ، إذ كانت العوام تلحن في ذلك فتفتح ميم مفعل ومفعلة مما ينقل أو يعمل به ، وإنما هي بالكسر وليس القصد أن يحصر اشتقاق اسم الآلة بهذه الصيغ الثلاث حسب ، فإن ذلك لا دلالة عليه في هذه النقول .

(٢) عبر سيبويه عن الآلة لا بلفظها بل بملحوظها وهو قوله « ما يعالج به » . وأتى الكسائي بصريح لفظها مجموعا (الآلات) غير أن مفهومها عنده هو « ما يوضع ويرفع » فهل يفيد هذا التعبير ما أفاده تعبير سيبويه ، أو هو يفيد معنى (الأداة) كما أفهمها منه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبين الآلة والأداة فرق لا شبهة فيه سأفصلة في موضعه من هذا البحث ، وقول ثعلب وابن السكيت : وما ينقل أو يعمل به ، نص على هذا التفريق . فكأن ثعلبا وابن السكيت قد استدركا بهذا الملحظ الجديد على قاعدة سيبويه الساذجة ما نقصها ودلا به أيضاً على ما فاته من المواءمة بين المعنى العلاجي والتمثيل له ، لأن من أمثلته « المحلب » الذي يحلب فيه ، وهو وعاء يكون فيه الشيء ولا يعالج به كما يعالج المقص مثلا ، وشتان ما هما ، فذلك أداة وهذا آلة . وهذا الملحظ هو في الوقت نفسه تصحيح لكلام الكسائي أيضاً .

هذا ، وقد تردد لفظ الآلة في كلام الفراء المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في التفريق أيضاً بين دلالتي حركة ميم مفعل ومفعلة بالكسر والفتح ، نقله ابن قتيبة في « أدب الكاتب السلفية ٤٣٣ » فقال : « قال الفراء : يقال مرقاة ومرقاة ، والفتح أكثر ، وكذلك مسقاة ومسقاة من جعلهما (آلة تستعمل) كسر ، مثل مغرفة ومقدحة ومصدغة ومن جعلهما موضعا للارتقاء والسقي نصب » عنى فتح الميم فيهما .

وذكر إصطلاح (اسم الآلة) علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في شرحه كتاب سيبويه مدرجاً بعد قول سيبويه « باب ما عالجت به » .

ثم جعله جار الله الزمخشري وقد يكون غيره سبقه إليه ، عنوان الباب في (المفصل) .

(ب) — وأما طريقة الأعجمية ، فقد تناولت القاعدة على منهج بحثها بالتعليل المنطقي وفرض الشروط التي تحرم المباح من الاستعمالات العربية ، ووضعت لها تعاريف على أنحاء تتقارب في أشياء وتتباعد في أخرى .

ولعلي لا أبعد عن الصواب إذا زعمت أن الزمخشري هو واضع أساس الطريقة الأعجمية لاسم الآلة ، وإن كان تعريفه له وهم لأول وهلة أنه بسبيل من نهج الأوائل إن لم يكن غيره سبقه إلى ذلك ونص تعريفه : اسم الآلة » : هو اسم ما يعالج به الشيء وينقل ، ويجيء على صيغة مفعل ومفعلة ومفعال » وشطر التعريف الأول منقول من الطريقة العربية من ثعلب وابن السكيت مع فارق بين الواو في نصه أو في نصهما كما رواه السيوطي . ولكن شطره الآخر قد عدل به عن طريقة الأوائل في تناول الباب من جهة التفريق بين دلالة حركة ميم مفعل ومفعلة بالكسر والفتح إلى حصر الاشتقاق بهذه الصيغ الثلاث (التي أخذها من سيبويه ، ولم ينبه كما نبه سيبويه على قلة مفعال فجعلها كلها على مستوى واحد من الشيوع) دون غيرها من صيغ الآلة الاشتقاقية المتعددة في اللغة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العربية ، وهذا القيد الذي يحرم ذلك هو من صميم القيود التي فرضها الطريقة الأعجمية ، ولم يقل به الأقدمون .

ثم جاء الخالفون فأضافوا إليه قيودا أخرى ، وصاغوا قاعدتهم صياغات متنوعة وان عليها الاختلاف والاضطراب . وهي كثيرة لست بسبيل نقلها إلى هذا المكان وإنما حسبي منها نقل ما يستجمع أصولهم فيها لأدل على فسادها بالقياس إلى الاستعمالات اللغوية عند العرب .

قال صاحب روح الشروح على (المقصود): « أما اسم الآلة فاسم مشتق من يفعل لما يعالج به الفاعل المفعول ، ولذا لا يبنى إلا من الفعل الثلاثي المتعدي » .

وقال الزنجاني في صاحب « العزي » : « وأما اسم الآلة . وهو ما يعالج به الفاعل المفعول لوصول الأثر إليه . فيجيء على مثال مفعل ومفعلة ومفعال . كمحلب ومكسحة ومفتاح » .

قال السعد التفتازاني : « وقد علم من تعريف الآلة أنها انما تكون للأفعال العلاجية ، ولا تكون للأفعال اللازمة ، إذ لا علاج لها » .

وقال الشيخ زكريا في (شرح الشافية) : « الآلة للفعل الثلاثي ، وهي اسم لما يستعان به في الفعل المشتقة هي منه ، تجيء على مفعل ومفعال ومفعلة بكسر أولها ، والأصل في الآلة مفعال ، والآخران منقوصان منه ، كالمحلب والمفتاح والمكسحة لما يستعان به في الحلب والفتح والكسح » .

وقال صاحب الهمع ٢/١٦٨ : « بناء الآلة مطرد على مفعل بكسر الميم وفتح العين ومفعال ومفعلة كذلك كمئفر ومجدع ومفتاح ومنقاش ومكسحة والمفعل بضمتين ، والمفعل بفتحتين ، والفعال بالكسر : يحفظ ولا يقاس عليه ، كمنخل ومسعط ومدهن وآرث آلة تأريث النار أي إضرامها وسراد ما يسرد به أي يخرز » .

وقال بعض الشراح : « المقابلة لا تقتضي »

وقال نظام الدين النيسابوري : « وهذه الأوزان ، أي مفعال ومفعل ومفعلة قياسية لا من حيث أنه يجوز أن يشتق كل منها من أي فعل اتفق وان لم يسمع ، بل من حيث أن كلا منها إن كان قد ورد السماع به في فعل معين أمكن أن يطلق هو على ما يمكن أن يستعان به في ذلك الفعل ، كالمفتاح ، فإن كل ما يمكن أن يفتح به البيت يسمى مفتاحا وإن لم تكن الآلة المعروفة بذلك » .

محمد بهجة الأثري

(البقية في العدد القادم)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزهـــر والتطـــور

للأستاذ محمود الشرقاوى

خاتمة المقـــال

« الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة » .

هكذا حدد قانون « تطوير الأزهر »(١) مهمة هذا المعهد العظيم ورسالته ، أو بعض هذه المهمة والرسالة .

أما المهمة الأولى : « حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره » ، فهى عمل طالما تمنى المخلصون للأزهر والإسلام أن يقوم به .

وقد رأينا من ذلك فى السنة الماضية بعض نشاط لوزارة الأوقاف ولكنه كان مشوبا بشىء من الخطأ والخطر تحدثنا عنه يومئذ(٢) .

أصدرت الوزارة عن مجلسها الإسلامى الأعلى بعض أجزاء من « موطأ مالك » برواية محمد بن الحسن الشيبانى ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز بادى .

وفى مثل ذلك الوقت قررت كلية الحقوق فى جامعة القاهرة ، بتوصية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، أن تطبع كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطى مع حواشيه .

وهذه الكتب وأشباهها كلها من الخير ، أو من الطبيعى ، أن تحقق وتصدر عن الأزهر . وقد أناط قانونه الجديد هذه المهمة به ، ولنعتقد أنه سيمكن منها على وجه كاف منتج كريم .

أما المهمة الثانية فى هذه المادة من قانون « تطوير الأزهر » التى تنيط به حمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب والعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ، فذلك مما يستطيع الأزهر أن يؤديه للعالم وللإسلام عن طريق مبعوثيه وعن طريق رسائل تكتب بفهم وإدراك ، مع

(١) المادة : ٢ من القانون ، الباب الأول فى الأحكام العامة .

(٢) انظر مقالنا : « حول تقويم الفكر الدينى » مجلة آخر ساعة فى ٤ أكتوبر ١٩٦١ « العدد ١٤٠٦ » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العلم العقه ثم يمكن أن ينشر ويفيد بين سكان [illegible] يفيا لا يمكن أن ينشر بين المثقفين من أهل أوربا وأمريكا . وقد يضر نشره بفهم ، بل هو في اعتقادي ، يحقق الإضرار . هذا ما أقصده وأنا أذكر : « الفهم والإدراك ، قبل العلم والعقه . فالوضع هنا مما يحتاج إلى ذكاء وفهم ودراسة لمعليات هذه الشعوب وثقافاتها ومشاكلها وتاريخها وشئونها الحاضرة وأوضاع المجتمعات فيها ، يحتاج إلى شيء كثير من ذلك ، وقد يحتاج إلى اقل منه من « العلم والعقه » .

ومن الشئون التي تتصل بذلك أوثق الإتصال ، ترجمة معاني القرآن ونشرها باللغات الأوربية . واللغة الانجليزية بخاصة وقد كان لأمر هذه الترجمة صحيح وعجيب قبل ثلاثين سنة لم يسفر عن شيء . ثم تجدد ذلك قبل سنوات قريبة كان صوت المقلدين فيه أشد علواً وعتواً من رأى المفكرين العاقلين المدركين . وأعتقد أن هذا الأمر يمكن ان يحسم بأن يقوم لأزهر المتطور بمراجعة ترجمة شهد المختصون من العلماء العاقلين وأهل اللغة بصحتها وسلامتها ، مثل ترجمة السيد محمد علي الهندي مثلا . هذه الترجمة — وقد شهد لها كثير من أهل العلم والدراية والفهم للقرآن وهم في الوقت نفسه أهل بصر وذوق في اللغة الانجليزية — يمكن أن يراجعها أمثال هؤلاء العاقلين البصراء من رجال الأزهر ورجال الثقافة الإسلامية ، ثم يعلقون عليها بما يوضح أو يفسر أو يصحح ويعتمدها الأزهر ترجمة يجيزها ويقرها وينشرها في العالم كله لمن يقرءون الانجليزية .

هذا هو جانب الإيجاب في هذه المهمة : إظهار حقيقة الإسلام وحمل الأمانة فيه ، وهناك ، في هذه المهمة ، جانب سلبي لا يقل أثراً ولا خطراً عن هذا الجانب الإيجابي .

فهناك من الكتب الإسلامية — أو التي تصالح الناس على نسبتها الإسلام — ما هو معارض لجوهر الإسلام مدابر له أو ما هو معوق لنهضة المسلمين مفسد لعقيدتهم . وما دام القانون قد احتفظ للأزهر بحق المراجعة والاعتراض وطلب المصادرة لما يطبع وينشر فيجب أن تراجع هذه الكتب على ضوء ما فيها من الضرر والشر والمجافاة لصحيح العقيدة ، لا على ضوء الاعتبارات العامة وشعور الجماهير واعتبار الرعاية للواقع والمألوف المرضي من الناس ، أو من عامة الناس . لأننا لو راعينا هذه الأمور لما تطور الأزهر وما تحررت الآراء الخاطئة في الشريعة وما تغير شيء مما ألفه الناس وارتضوه ودرجوا عليه .

بين يدي وأنا أكتب هذا المقال كتاب من الكتب « الإسلامية » القديمة ذات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذبح والرسوخ ، وأنا أقرأ في هـذا الكتاب ، كما قرأه مئات الألوف من المسلمين وغيرهم من قبلي فأجده يقول - في كرامة شيخ من الشيوخ - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج قد بلغ سدرة المنتهى ومعه جبريل ، فتخلف هذا عن رسول الله ثم قال : يا محمد لو دنوت أنملة لاحترقت فأرسل الله روح الشيخ . . . . إلى ذلك المقام — الذي توقف عنده ملاك الله جبريل — ووضع الشيخ موضع البراق حتى ركب النبي عليه السلام على رقبته . أي رقبة الشيخ . وأمسك عنان الشيخ بيده وسار حتى صار قاب قوسين أو أدنى ، وعند ذلك قال النبي عليه السلام للشيخ : يا ولدي وحدقة عيني ، قدمي هذه على رقبتك ، وقدماك على رقاب كل أولياء الله تعالى .

وأجده يقول إنه ، أي الشيخ ، وهو في المهد رضيع ، كان يمنع نفسه عن ثدي أمه في رمضان من الفجر إلى الغروب . لأنه صائم . . . !

وكذلك يقول إن من ذكر اسم الشيخ على غير وضوء فارق رأسه جسده فيموت ! ولكن أهل بغداد طلبوا من الشيخ الشفاعة والرحمة في ذلك فشفعهم ورفع ذلك عن أهل العناد .

وأجد في هذا الكتاب أن هذا الشيخ كان يحيي الموتى بإذنه . . . ! ، فتوجه إلى القبر وقال قم « بإذني » فانشق القبر وقام الميت حياً معنياً ، كما كان في حياته مغنياً .

وكذلك أجد فيه أن الله تعالى خاطب الشيخ وفوض له أن يفعل ما يريد بالأولياء فيقبل منهم من يشاء ويرد من يشاء . . . ! والكتاب كله من هذا الطراز . وقد قرأته وقرأه قبلي ، كما قلت قبل قليل ، مئات الألوف من الناس على مدى قرون كثيرة ، وما تزال ألوف وألوف تقرؤه قبل تطوير الأزهر ومع تطويره وبعد تطويره ما دام لم يتخذ حياله وحيال أمثاله شأناً حاسماً يبرئ دين الله من هذا الذي هو شرك كله وشر كله على المسلمين والناس جميعاً

ولا يقولن قائل إن هذا اللون من « الثقافة الإسلامية » قد أدبر شأنه وضعف أثره فهذا الكتاب الذي عرضت طرفاً مما فيه ألف قبل قرون عن شيخ مات في القرن السابع الهجري ، قبل أكثر من ثمانية قرون . ثم يطبع في عصرنا هذا فيكتب ناشره تحذيراً لكل « من تجاري على طبعه » بغير إذن . وما ذلك إلا لما يعلمه ويوقنه من إقبال الناس عليه ورغبتهم فيه بل لهفتهم عليه . وبعض المسلمين أو كثير منهم يقرأ ما في هذا الكتاب وأمثاله أو يرويه ويقصه معتقداً أو موقناً أنه يقدم لنفسه بذلك إلى الله عبادة وقربى .

بل إني أجد كتاباً آخر ألفه في عصرنا الحديث هذا « عالم » لا يزال حياً وهو يتحدث في كتابه هذا عن الجن والسحر والتسلط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعزيمة، وعن الخواصين والترابيع والطيارين والقرناء. ويذكر فى ذلك « الأثير » والعلم الحديث ، ويذكر ، إلى جانب ذلك ، زواج الجن وتناسلهم والإصهار بينهم وبين بنى آدم ... ! ويذكر أن عصى موسى تقدمت ، إلى فرعون ، بعد أن صارت حية ، تريد ابتلاعه وفتحت فاها فكانت سعته ثمانون ذراعا .

فهذه « الثقافة الإسلامية » ما زالت باقية عميقة الجذور ، وما زالت الكتب والمؤلفات فيها توضع وتنشر يقوم على تأليفها وطبعها « علماء » تخرجوا فى الأزهر وتعلموا فى فرنسا حتى نالوا منها « شهادة » . وعلى الأزهر المتطور أن يجد له سبيلا إلى تبرئة الإسلام من مثل ذلك وإلى الحيلولة بين هذه « الثقافة » الإسلامية أن تسمم عقولهم وتفسد عقيدتهم وتحول بينهم وبين ثقافة العصر وحياة الناس فيه

والسبيل إلى ذلك عندى أن يؤلف الأزهر المتطور لجنة من أصحاب الفكر الدينى الفاهمين المستنيرين فتراجع هذه الكتب وأمثالها وما يرسل إليها من الشكاوى فيها ثم تضع قائمة بما ترى ضرره وخطره منها . ويصدر قانون من الدولة بتحريم الطبع لأى كتاب منها بغير إذن هذه اللجنة ، واللجنة لا تأذن .

بذلك نتفادى مصادمة الشعور العام وعدم الإمكان فى مصادرة هذه الكتب ونحول فى المستقبل القريب بينها وبين سلامة العقيدة وسلامة العقل وسلامة الحياة جميعا . ومثل هذه الكتب هو الذى يجب أن يصادر ، لا غيره .

وأعتقد أنى أطلت [١] فى أمر هذه الكتب وصلتها بالأزهر والتطور . ولكننى أعتقد أيضا أن القارىء يرى معى خطرها وضررها وأنها تستحق منى هذا القدر من الإطالة ، ومنه هذا القدر من الصبر .

وهناك لون من الثقافة ليس إسلاميا ولكنه ضرورى لرجل الفكر الدينى الذى نرجوه من الأزهر المتطور ، ذلك هو دراسة النهضة الأوربية المعروفة بحركة « الإحياء » وما سبقها من النهضات ، أو الثورات المسيحية . وحركات « القلق الفكرى » أو الاحتجاج — حركة لوثر وكلفن — وأثر الفكر الإسلامى وحرية العقيدة الإسلامية فى ذلك . والصراع بين العلم والدين فى العصور الوسطى . هذه وأمثالها ألوان من الثقافة ليست إسلامية ولكن دراستها بفهم واستيعاب وتوسع ، مما يجب أن نجده عند رجل الفكر الدينى ، ولا يكون رجل دين مثقف ، ولا بيئة دينية ذات أثر وخطر إلا إذا درس ودرست تلك بعناية وفهم ، وكانت هذه المشاغل والمشاكل من

[١] انظر أمثلة أخرى لهذا النوع من « الثقافة الإسلامية » فى مقالنا : « الثورة الرابعة ضرورة محتومة » ، عدد جمادى الآخرة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر ، نوفمبر ١٩٦١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هموم فكره وإفكار أهلها وثقافة عقله وعقولهم .

ونرجو من « الأزهر المتطور » أن يترك السلبية ويخرج من الانعزالية في الثقافة العامة وشئون الفكر والحياة الروحية التي تضطرب في العالم كله .

وسأضرب لذلك الأمثال من الماضي لنفيد منها ونعتبر بها للمستقبل . ففي السنة الماضية كان حادث من أهم الأحداث التي يجب أن يهتم بها ويسجلها ويتابعها رجال الفكر الديني المستنير — من كل دين — وهو اجتماع المؤتمر المسكوني للكنيسة الكاثوليكية في روما . وكان أعظم وأضخم اجتماع من نوعه في تاريخ هذه الكنيسة . اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف من الرؤساء والبطاركة والأساقفة والكرادلة يمثلون خمسا وثمانين دولة ، وبحث فيه هؤلاء شئونا بالغة الأهمية في موقف الأديان — وبخاصة المسيحية طبعا — حيال الخصومات الحادة الشريرة التي تتعرض لها العقيدة في العالم كله من الشيوعية والإلحادية معا ، وما يمكن — أو يجب — أن يتخذه القائمون على العقيدة لحمايتها من تلك الغوائل والمخاطر والشرور والخصومات التي تريد أن تجتثها من أصولها وتبيدها وتمحو أثرها من ضمائر الناس وقلوبهم ، وما أعتقد أن الأزهر والفكر الديني في وطننا العربي تابع هذا الحدث الهام أو سجله أو اهتم به مع أن الخطر ، أو الأخطار التي تواجه الأديان جميعا أخطار مشتركة . وقد رأينا ذلك في بعض كتبنا [١] وفي تلك السنة نفسها نجد السيد ظفر الله خان ، وزير خارجية باكستان السابق ورئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، يفتتح اكتتابا لجمع مبالغ كبيرة وخمسة ملايين دولار ، تخصص لبناء « أمم متحدة روحية » في واشنطن تشترك فيها الديانات الست العالمية الكبرى ، التي تعتنقها أكبر مجموعة من البشر .

ويستطيع الأزهر ، أو كان يستطيع ، أن يعرف كل شيء عن هذه الجامعة وهذا الحدث الهام وهذا المال الكثير من سفارتنا في أمريكا .

وقبل ذلك قدمت إلى بلادنا بعثة أثرية عالمية أقامت في « دير سانت كاترين » بسيناء تفتش عن الوثائق وتنبش على الكتب والمخطوطات وتجمع التاريخ ، وفيه قدر كبير من التاريخ الإسلامي والعربي لتراجع وتدرس وتكتب وتؤلف وتنسق ، واشترك معها بعض جامعاتنا المدنية ، وقد راجعت وبحثت وصورت ونسخت وأخذت قليلا أو كثيرا من الوثائق والصور .

وقبل هذا وذاك نشرت جريدة انجليزية دينية ، وأذاعت ما نشرته وكالة الأنباء تعبر

---

[١] الفصل الأخير : « محنة العقيدة » من كتابنا : « تقويم الفكر الديني » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن رأي الفاتيكان ، نشرت تلك وأذاعت هذه مقالا تدعو فيه العالم المسيحي لأن يتنبه إلى قوة الإسلام ، وأن يفيد من ذلك في حرب خصوم العقيدة الذين يهاجمونها بلا رحمة ، تقصد الشيوعية .

والشيء الجديد في ذلك هو هذا الاعتراف بقوة الإسلام والحرص على التعاون مع رجاله في صد الشيوعية [١] وأي الهيئات تقصد بهذا الحديث سوى الأزهر ، قبل غيره ، وأي هذه الهيئات الإسلامية أجدر بالانتباه والإفادة من الأزهر .

ولست أقصد بإفادة الأزهر واهتمامه بذلك تلك الإفادة العاطفية التي تقوم على إظهار السرور باعتراف العالم المسيحي أو الفاتيكان بما في الإسلام من قوة والسعي للتحالف معه ضد قوى الشر . فالإسلام له هذه القوة وأعظم منها سواء اعترف الغير له بذلك أم لم يعترف ، بل أقصد ذلك الاهتمام القائم على الإدراك والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور والمتابعة للأحداث الهامة التي تجري والحرص على المشاركة فيها والإيجابية حيالها .

* * *

ونستطيع أن نقول أشياء أخرى في « الأزهر والتطور » وما ينتظر منه أو يجب عليه في ذلك ، ولكن الذي نحرص على قوله في الختام هو هذا الكلام الموجز القصير :

إذا استطاع الفكر الديني في « الأزهر المتطور » أن يصل الدين بدنيا الناس في العالم المعاصر وأن يربط الشريعة بالحياة القائمة ، ولا يضيق صدر أصحابه فيفرطوا ويجمدوا ويحاربوا في غير ميدان أو تكون حربهم للصديق والعدو مما - كما سجل عليهم « قانون التطوير » وتحدث عنهم بذلك الناس من قبل - واستطاع أن يؤمن بأن بعض رسالته هو « تبييض » هذا « الورق الأصفر » وعرضه على الناس عرضا يفهمه الناس ويرضى عنه الناس كما يرضى عنه الحق والعقل ولم يسارع أصحاب هذا الفكر وسهرولوا ويتابعوا متأثرين بالدوافع والعوامل والمؤثرات ، أو ما يظن من ذلك . فيفقدوا سمتهم وطابعهم ووقارهم وخصائص ثقافتهم وإعلامهم برسالتهم ، إذا استطاع الفكر الديني في « الأزهر المتطور » أن يدرك ذلك وأن يقوم عليه في مستقبله القريب . فقد حق لنا أن نسعد وأن يسعد المسلمون أيضا ، لما ينالهم عند ذلك وينال دينهم وحياتهم من خير كثير .

محمود الشرقاوي

---

[١] تحدثنا عن ذلك في مقالنا : « تعالوا نجاهد هما معا » عدد شهر شعبان ١٣٨١ ، يناير ١٩٦٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٤ —

ومن الضرائب في الإسلام « الجزية » ، وهي — كما في لسان العرب — ما يؤخذ من أهل الذمة ، وهي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة ، وقد سميت « جزية » لأنها مشتقة من الجزاء ، فهي جزاء من الذمي يدفعه إلى الدولة المسلمة في مقابل تحقيقها الأمن له .

ومناسبة تشريعها أن الرسول عليه الصلاة والسلام علم في السنة التاسعة للهجرة أن الروم بقيادة هرقل يريدون مهاجمة المسلمين ، فأمر بالخروج إليهم في غزوة تبوك في شهر رجب ، ثم صالح القوم على الجزية ، وجاء « يوحنا ابن رؤبة » النصراني صاحب « أيلة » وصالح النبي على أن جعل له على كل رجل في أرضه ديناراً في السنة ، فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار (١) .

والجزية ضريبة موضوعة على الرؤوس — كما يقول الماوردي (٢) — وهي تؤخذ مع بقاء الكفر ، وتسقط بالدخول في الإسلام ، بخلاف الخراج الذي يؤخذ مع الكفر والإسلام ، لأنه متعلق بالأرض الخراجية .

والجزية لغير المسلم تقابل الزكاة للمسلم ، ولذلك لا يصح إطلاقها على الزكاة ، ويغضب المسلم إذا قيل عما يدفعه إنه زكاة ؛ وفي عدد ٢٥ يونيه سنة ١٩٢٥ من مجلة « الشورى » كتب أمير البيان المرحوم شكيب أرسلان مقالا أشار فيه إلى هذه الناحية ، وكان مما قاله قوله : « إن لفظ الجزية كلمة شرعية ، ولها مكان معلوم في الشرع ، فلا تقال لما يأخذه الإمام من المسلمين ، لا ، بل ثقلت على العرب جميعا في صدر الإسلام ، فالذين لم يكونوا أسلموا منهم مثل نصارى بني تغلب مثلا عند ما ضربها عليهم سيدنا عمر أجابوا بأنهم لا يؤدون جزية

قيل : فلما أنذرهم بالبطش بهم أو يدفعوها قالوا : إنا نؤديها ، ولكن لا على أنها جزية ، بل على أنها إتاوة . قال : فأجابهم سيدنا عمر رضي الله عنه : هاتوها وسموها ما شئتم .

فأنت ترى أن الجزية ثقيلة اللفظ (يعني على المسلم) ، وأن استعمالها ألغي من عهد بعيد ، ولا نزال نقرأ في الجرائد المصرية : الجزية الجزية ، للمال الذي كانت مصر تؤديه للدولة العثمانية ، وهو استعمال بغير

(١) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٦٦ .
(٢) الأحكام السلطانية ، ص ١٣٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عله ، لأن الخليفة لا يأخذ الجزية من أمته ، وكان الأولى أن يقال : خراج مصر ، أو بالأقل : إتاوة مصر .

والأتراك كانوا يقولون (مصر ويركوسى) أى خراج مصر ، ولفظة : (ويركو) من فعل (ويرمك) أى أعطى ، فكان (الويركو) هو ما يعطى ، وفى اصطلاح الدولة هو المال المقطوع المضروب على الأملاك الصرفة ، وله دوائر تجبيه[1] ، وكانت مصر باعتبار أنها عثمانية تدفع هذا الخراج كما تدفعه سائر البلاد العثمانية ، فما معنى تسميته بالجزية » ؟ .

وقد علق شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا على مقال الأمير شكيب فى عدد ١٦ يوليه ١٩٢٥ من « الشورى » فقال : « ولقد كان للشعب العربى مكانه فى صدر الإسلام ، فأبى بعض الذين حقت عليهم الجزية أن يقبلوا التعبير بها ، واختاروا لفظ (الإتاوة) على ما شرحه الأمير شكيب ، بيض الله وجهه وأعلى رأسه » .

والجزية فى مقدارها على ثلاث درجات ، فلمقدارها حد أعلى ، وحد وسط ، وحد أسفل ، تبعا لغنى المأخوذ منه أو توسط حاله أو فقره ، وهذا يدل على توافر عنصر « الملاءمة » فى الجزية كما شرعها الإسلام . وعلى وجود روح « التيسير » فى أخذها ودفعها ، ولذلك يقول الماوردى : « اختلف الفقهاء فى قدر الجزية ، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما ، وأوساط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما ، وفقراء يؤخذ منهم اثنا عشر درهما ، فجعلها مقدرة الأقل والأكثر ، ومنع من اجتهاد الولاة فيها ، وقال مالك : لا يقدر أقلها ولا أكثرها ، وهى موكولة إلى اجتهاد الولاة فى الطرفين ، وذهب الشافعى إلى أنها مقدرة الأقل بدينار ، لا يجوز الاقتصار على أقل منه ، وعنده غير مقدرة الأكثر يرجع فيه إلى اجتهاد الولاة ، ويجتهد رأيه فى التسوية بين جميعهم . أو التفضيل بحسب أحوالهم »[1] .

والجزية لا تؤخذ من النساء ولا من الصبيان ، وإنما تؤخذ من الرجال الأحرار القادرين فقط ، ومذهب الإمام الشافعى أنها لا تقبل إلا من أهل الكتاب ، ومن المجوس سواء أكانوا عربا أم عجما ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . واستدل أيضا بأن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من المجوس بالبحرين .

(١) الأحكام السلطانية ص ١٢٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويرى الإمامان مالك والأوزاعى أن الجزية تؤخذ من كل كافر ، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم ، وسواء أكان عربيا أم غير عربى ، ويؤيد هذا الرأى أخذ النبى الجزية من مجوس البحرين ، مع أنهم يعبدون النار فهم كفار .

ويشترط فى دافع الجزية الذى توافر له الأمان شروط هى أن لا يذكر القرآن الكريم بطعن أو تحريف ، وأن لا يذكر الرسول بتكذيب أو ازدراء ، وأن لا يذكر دين الإسلام بذم أو قدح ، وأن لا يهتك عرضا لمسلمة أو يتزوجها ، وأن لا يفتن مسلما عن دينه ، ولا يتعرض لماله أو دينه ، وأن لا يعين أهل الحرب [1] . وهذه الشروط فى جملتها ترمى بمعنى الحرص على حماية المجتمع الإسلامى من عوامل الفتنة والاضطراب ، والتذكير لدافع الجزية بحق الدولة عليه ، لأنها ترعاه فيجب ألا يسعى فى هدمها أو الفساد فيها .

ومقابل الجزية هو الحفظ والمنعة ، وكفالة حرية العقيدة والعبادة ، وقد كتب خالد بن الوليد عهداً لصلوبا بن نسطونا وقومه جاء فيه :

« إنى عاهدتكم على الجزية والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم [2] » .

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ١٦ .

ولقد حدث أن صالح أبو عبيدة بن الجراح بعض مدن الشام على الجزية فى مقابل المنعة ، ثم عجز عن منعتهم ، فكتب إلى كل وال ممن خلفه على هذه المدن يأمره بأن يرد على أهلها ما جبى منهم من الجزية والخراج ، وأن يقولوا لهم : « إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم » .

فلما قالوا ذلك لهم ، وردوا عليهم الأموال التى جبوها منهم قالوا : « ردكم الله علينا ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ، وأخذوا كل شىء بقى لنا حتى لا يدعوا شيئا [1] » .

ويصح أن يشارك أهل الذمة فى الدفاع عن الدولة ، ولا يكون عليهم فى هذه الحالة جزية إذا اتفقوا مع المسلمين على ذلك ، « وإذا كانت الجزية فى مقابل المنعة فإن المسلمين رضوا فى بعض الوقائع أن يعفوا أهل الذمة من الجزية ، حين تعهد اليهم هؤلاء أن ينهضوا معهم بواجب الدفاع ، كما حدث حين غزا حبيب بن مسلمة الفهرى أهل (الجرجومة) شمالى سورية فطلبوا الصلح على أن يكونوا

(١) الخراج لأبى يوسف ، ص ١٣٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعوانا للمسلمين ، وعيونا ومسالح فى جبل الملكام ، فقبل منهم ذلك .

وأيضا حين توجه عبد الرحمن بن ربيعة إلى ناحية (الباب) جهة قزوين عرض عليه عامل الفرس شهربراز الصلح على أن لا يؤدى الجزية قائلا : إنى بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة ويدى مع أيديكم ، وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون .

فلما رفع ذلك إلى سراقة بن عمرو الذى كان قائد الجند قبل ، وصار سنة ، وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه ، فالجزية إنما كانت إذن بمثابة ضريبة مالية ، للمساهمة فى واجب الدفاع ، نظير ضريبة الدم التى كان يدفعها المسلم فى حومة القتال للدفاع عن الدولة كلها .[1]

وتشمل المنعة هنا كفالة حرية العقيدة وحرية العبادة ؛ وقد روى الطبرى مثلا الكتاب الذى كتبه النعمان بن مقرن لأهل فارس بشأن الجزية وقد جاء فيه : « أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم ، ولا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ، ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى من وليهم ، على كل حالم فى ماله ونفسه ، على قدر طاقته » .[2]

ولو امتنع أهل الذمة عن دفع الجزية كان ذلك بمثابة النقض لعهدهم ، وقد ذكر الماوردى أنه « إذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم ، ولا غنم أموالهم ، ولا سبى ذراريهم ، ما لم يقاتلوا ، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا مأمنهم من أدنى بلاد الشرك ، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها » .[3]

وأظن أن ما سبق من حديث عن الجزية يرينا بوضوح مبلغ التيسير الذى وفره الإسلام فى تشريعها ، كما يرينا وجه الحكمة فى تشريعها ، فهى ليست طغيانا ولا انتهابا ولا استبدادا ، ولكنها ضريبة واجبة تؤخذ من القادرين عليها فى مقابل ما تنفقه الدولة من أموال وجهود لحفظ الأمن فى الداخل ، ولصد العدوان من الخارج

* * *

ومن الضرائب فى الإسلام « الخراج » ، والخراج فى لغة العرب اسم للكراء والغلة ، وهو شرعا جزء يؤخذ عن الأرض كالأجرة أو الكراء ، وإنما يسمى خراجا لأنه يتعلق بخراج الأرض أى غلتها ، وغلة الأرض تسمى خراجا ، ومن المادة جاء قول الله تبارك وتعالى فى سورة « المؤمنون » : « أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير ، وهو خير الرازقين » .

[1] كتاب الخراج فى الدولة الإسلامية ، للدكتور الريس ، ص ١٥٦ .

[2] تاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ٢٤٥ .

[3] الأحكام السلطانية ، ص ١٣٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمراد بالخرج فى الآية الكريمة الأجر أو النفع ، والمراد بالخرج فيما رزق الله فى الدنيا ، أو أجر الله فى الآخرة ، وهناك من يفرق بين الخرج والخراج بأن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض .

وقد ذكر الزمخشرى فى مادة « خرج » من أساس البلاغة أن الخراج ما يأخذه السلطان وأنه يقال للجزية الخراج ، فيقال : أدى خراج أرضه ، وأدى أهل الذمة خراج رءوسهم [١] .

وفى « لسان العرب » أن الخرج والخراج واحد ، وهو شىء يخرجه القوم فى السنة من مالهم بقدر معلوم .

والأرض فى هذا المقام أربعة أنواع ، فأحدها ما أحياه المسلمون فهو أرض عشرية لا يوضع عليها خراج ، لأنها من باب إحياء الموات ، وثانيها ما أسلم عليه أصحابه فهم أحق به ، وتصير أرضا عشرية عند الشافعى ، وقال أبو حنيفة إن الإمام مخير بين أن يجعلها خراجا أو عشرا ، وثالثها ما ملكه المسلمون من محاربيهم المشركين بالقوة والقهر ، فيكون غنيمة للمسلمين ، ورابعها ما صالح المسلمون عليه غير المسلمين ، وهذه هى أرض الخراج وقد ينزل أصحاب الأرض الخراجية عنها للمسلمين ، فتصير وقفا لهم ، ويكون الخراج المضروب عليها أجرة [٢] .

ويقدر الخراج المضروب على الأرض بما تحتمله ، وقد روى أن عمر بن الخطاب حين وضع الخراج على سواد العراق ضرب فى بعض نواحيه على كل جريب - وهو ثلث فدان مصرى تقريبا - قفيزا ودرهما ، والقفيز وزنة ثمانية أرطال وثمنه ثلاثة دراهم بوزن المثقال [٣] .

وينبغى أخذ الخراج دون « حيف بمالك ولا إجحاف بزارع » كما يقول الماوردى ؛ كما يراعى فى كل أرض ما تحتمله ، فالأرض التى تروى بلا جهد ليست كالتى تروى بجهد ، والأرض الخصبة القوية ليست كالأرض الضعيفة الرديئة ، وهكذا ، والواجب اعتبار « اختلاف الأرضين ، واختلاف الزروع ، واختلاف السقى ، ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها ، فيقصد العدل فيها فيما بين أهلها وبين أهل الفىء ، من غير زيادة تجحف بأهل الخراج ، ولا نقصان يضير بأهل الفىء ، نظراً للفريقين ... ... وجاز أن يكون خراج كل ناحية مخالفاً لخراج غيرها ، ولا يستقصى فى وضع الخراج

[١] أساس البلاغة ج ١ ص ٢٢٢ .

[١] انظر الأحكام السلطانية ص ١٣١

[٢] انظر المصدر السابق ، ص ١٣٢ وانظر الخراج فى الدولة الإسلامية ، ص ٢٦٢ - ٢٧٩ ففيه تفصيل وتحليل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

غاية ما يحتمله ، وليجعل فيه لأرباب الأرض بقية يعمرون بها النوائب والحوائج .

حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك ابن مروان يستأذنه فى أخذ الفضل من أموال السواد ، فمنعه من ذلك ، وكتب إليه : « لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك ، وأبق لهم لحوما يعقدون بها شحوما » (١) .

ومن هذا يتضح أن الإسلام حين شرع الخراج لم يشرعه إرهاقا ولا ظلما . وإنما راعى الطاقة والاحتمال ، ودعا إلى اليسر والرحمة ، وجعل هذا الخراج فى مقابل التمتع بثمرات الأرض فى ظل الأمن العام الذى تحققه الدولة ، وبفضل ما تهيئه من وسائل الارتفاق كمد الطرق وشق الأنهار وتوفير الآلات وغير ذلك من المنافع والخدمات .

وهناك بين الجزية والخراج وجوه اتفاق ووجوه افتراق ، فأما وجوه الاتفاق فهى أن كلا منهما يؤخذ من غير المسلم ، وأنهما من أموال الفىء ويصرفان فى أهل الفىء ، وأنهما يجبان بحلول الحول ولا يستحقان قبل مروره .

وأما وجوه الافتراق فهى أن الجزية منصوص عليها فى القرآن الكريم وأن الخراج اجتهاد ، وأن الجزية مقدر أقلها بالشرع ، وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، وأما الخراج فتقدير أقله وأكثره بالاجتهاد . وأن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بالإسلام ، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام (١) .

* * *

ومن الضرائب فى الإسلام « العشور » .

والعشور هى الرسوم التى تؤخذ على أموال أهل الحرب وأهل الذمة الذين يمرون بها على ديار الإسلام ، وتؤخذ أيضا على عروض تجارتهم ، وعلى الأموال والتجارة التى تدخل دار الإسلام أو تخرج منها ، وهى تقابل اليوم الضرائب الجمركية ، وقد جاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف عن العشور :

« يؤخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر ، من كل ما مر به على العاشر - وهو المحصل - وكان للتجارة ، وبلغ قيمة ذلك مائتى درهم فصاعدا ، أخذ منه العشر ، وإن كانت قيمة ذلك أقل من مائتى درهم لم يؤخذ منه شىء ، وكذلك إذا بلغت القيمة عشرين مثقالا أخذ منها العشر ، فإن كانت قيمة ذلك أقل لم يؤخذ منها شىء ، وإن أضاف بعض المرات إلى بعض وكانت قيمة ذلك ألفاً فلا شىء فيه ، ولا يضاف بعض ذلك إلى بعض .

[١] الأحكام السلطانية ، ص ١٣٣ و ١٣٤

[١] الأحكام السلطانية ، ص ١٢٦

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذا مر عليه بمائتى درهم مضروبة ، أو عشرين مثقالا تبرا ، أو مائتى درهم تبرا ، أو عشرين مثقالا مضروبة أخذ من ذلك ربع العشر من المسلم ، ونصف العشر من الذمى ، والعشر من الحربى ، ثم لا يؤخذ منها شىء إلى مثل ذلك الوقت من الحول ، وإن مر بها غير مرة » (١) .

وهناك تفصيل لا بأس به ، وهو أنه إذا كان المال المأخوذ عليه هو نفس المال الذى تكرر مروره فلا يؤخذ عليه شىء ، وإن كان المال قد تغير ولم يتغير المال به يؤخذ عليه . ويقول أبو عبيد فى كتاب « الأموال » :

« فأما أهل الحرب فكلهم يقول : إذا انصرف إلى بلاده ثم عاد بماله ذلك أو بمال سواه : أن عليه العشر كلما مر ، لأنه إذا دخل دار الحرب بطلت عنه أحكام المسلمين ، فإذا عاد إلى دار الإسلام كان مستأنفا للحكم ، كالذى لم يدخلها قط ، لا فرق بينهما » (٢) .

وهناك أكثر من شاهد على عدم تكرار الضريبة ، فقد حدث أن عاملا لعمر كرر أخذ الضريبة على فرس من ذمى ، فشكا الذمى إلى عمر فكتب عمر إلى الوالى : « من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قابل » . وكان هذا سببا فى إسلام الذمى .

ويروى أن عمر قال للذمى : « ليس له عليك فى مالك فى السنة إلا مرة » .

وكذلك كتب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يقول لواليه : « وإذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير . ثم دعها فلا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم إلى مثلها من الحول » (١) .

وفيما يتعلق بتكامل القيمة التى يجب فيها العشر وعدم تكاملها نجد أيضا هذا النص : « وإن كانت قيمة ذلك أقل من مائتى درهم لم يؤخذ منه شىء ، وإن اختلف عليه بذلك مراراً وكل ذلك لا يساوى مائتى درهم ، ولو أضاف بعض المرات إلى بعض فكانت قيمة ذلك إذا جمع تبلغ ألفاً فلا زكاة فيه أيضا ، ولا ينبغى أن يضاف بعض المرار إلى بعض » (٢) .

وقال يحيى بن آدم : « إذا دخل الحربى أرض الإسلام فإنه يؤخذ منه العشر ، فإن رجع بماله قبل الحول لم يؤخذ منه شىء فى الحول بعد المرة الأولى ، وإن أقام بأرض

(١) الخراج لأبى يوسف ، ص ١٣٢ و ١٣٣
(٢) الأموال ، ص ٥٢٩

(١) الخراج لأبى يوسف ، ص ١٣٦ و ١٣٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام حولا فإنه يعرض عليه : إما أن يرجع إلى أرضه . وإما أن يوضع عليه الجزية على رأسه ويكون ذمياً ، لا يقبل منه إلا ذلك » .

ولقد كتب زياد بن حدير إلى عمر فى أناس من أهل الحرب يدخلون أرض الإسلام فيقيمون ، فرد عليه عمر يقول : « إن أقاموا ستة أشهر فخذ منهم العشر ، وإن أقاموا سنة فخذ منهم نصف العشر » (١) .

ولكن الإمام مالك يشدد القول هنا ، إذ يرى أنه إذا مر الذمى بالمال والتجارة أخذنا منه نصف العشر ، وإن لم يبلغ مائتين ، ويؤخذ منه كلما مر ، وإن مر بماله فى السنة مراراً ، وإن ادعى أن عليه ديناً لم يقبل قوله (٢) .

هذا فى المال الذى يدخل دار الإسلام أو يخرج منها ، وأما الأموال أو التجارة فى الداخل ومن المسلمين فليس عليها شئ ، يقول الماوردى :

« وأما أعشار الأموال المتنقلة فى دار الإسلام من بلد إلى بلد فمحرمة ، لا يبيحها شرع ، ولا يسوغها اجتهاد ، ولا هى من سياسات العدل ، ولا قضايا النصفة » (٣) .

(١) الخراج لابن آدم ، ص ١٧٢ .
(٢) الأموال لأبى عبيد ، ص ٥٣٠ .
(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٨ .

وأول من وضع العشور فى الإسلام هو عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه ، ويقول أبو يوسف فى ذلك : « فإن عمر بن الخطاب وضع العشور ، فلا بأس بأخذها إذا لم يتعد فيها على الناس ، ويؤخذ بأكثر مما يجب عليهم » (١) .

وروى أن أهل « منبج » - وكانوا أهل حرب - كتبوا إلى عمر بن الخطاب يقولون « دعنا ندخل أرضك تجاراً وتعشرنا » فشاور عمر أصحاب النبى فى ذلك فأشاروا به ، فكان أول من عشر فى الإسلام ، ولقد سأل مالك بن أنس محمد بن شهاب الزهرى : لم أخذ عمر العشر من أهل الذمة ؟ . فقال : كان يؤخذ منهم فى الجاهلية فأقرهم عمر على ذلك . ولكن هذه الرواية غير مسلمة ، والأولى أن نقول مع أبى عبيد بن سلام : « وإنما فعل عمر فى العشر ما فعل لما أعلمك من مصالحته إياهم عليه ، ولم يكن شرط عليهم منه شيئاً ، وكذلك دهر أبى بكر ، وإنما فتحت بلاد العجم فى زمن عمر ، فلهذا كان الذى كان (٢) » .

ومن السهل علينا أن نلمح ما فى تشريع العشور من عدالة وحكمة ، فهو أولا قد نشأ عن المصالحة كما رأينا ، فغير المسلمين هم الذين

(١) الخراج لأبى يوسف ، ص ١٢٤ .
(٢) الأموال لابن سلام ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عرضوا على المسلمين أن يمروا بالأموال والتجارة مقابل نصيب يدفعونه ، وهو ثانيا تقتضيه المعاملة بالمثل ، لأن غير المسلمين يأخذون نصيبا من أموال المسلمين إذا دخلوا ديار غير المسلمين ، وهو ثالثا يجعل العشور فى مقابل ماتقوم به الدولة الآخذة من توفير المصالح العامة ، وتمهيد الطرق ، وحفظ الثغور وغير ذلك .

ويمكن أن نعتبر من الضرائب فى الإسلام الخمس الذى يؤخذ فى المعادن المكتشفة ، وفى الركاز وهو المال أو المعدن المدفون قديما فى الأرض وقد قال الحديث: « وفى الركاز الخمس » . ولعل هذا من باب قياسه على الغنيمة ، وبعضهم قاسه على الزرع وقال: فيه الزكاة . ولكن ابن سلام رجح قياسه على الغنيمة قائلا : « وكذلك هو عندى فى النظر أن يكون بالمغنم أشبه منه الزرع ، لأنه وإن كان يتكلف فيه الإنفاق والتغرير بالنفس فكذلك مجاهدة العدو ، بل الجهاد أشد وأعظم خطرا ، وقد جعل الله فى الغنيمة منهم الخمس ، فأدنى ما يجب فى المعدن أن يكون مثل ما ينال من العدو ، ومع هذا أن حكم الزرع مخالف لحكم الذهب والفضة ، لأن الزرع إنما تجب عليه الزكاة مرة واحدة حين يحصد ، ثم لا يكون فيه بعد ذلك شىء وإن مكث عند صاحبه سنين ، وإن الذهب والفضة لا زكاة فيهما عند الفائدة حتى يحول عليهما الحول ، فتجب حينئذ فيهما الزكاة ، ثم لا تزال الزكاة جارية عليهما فى كل عام ، فأرى حكمهما قد اختلف فى الأصل واختلف فى الفرع .

وأبين من هذا فيما يختلفان فيه أن الواجب فى الزرع من الزكاة العشر أو نصف العشر ، والواجب فى الذهب والفضة من الزكاة ربع العشر . فهذا اختلاف متفاوت شديد »[1].

وهذا الخمس يضم إلى المال العام لقضاء مصالح الأمة ؟

أحمد الشرباصى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

قال الحسن البصرى : إن الله جعل الصوم مضماراً لعباده ، ليستبقوا إلى طاعته فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ، ومسىء بإساءته ، عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع بنى إسرائيل :

النزعة العنصرية والصهيونية

للأستاذ عبد الرحيم فوده

إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، وكلمة إسرا معناها عبد أو صفوة ، وإيل معناها الله ، فإسرائيل هو عبد الله أو صفوته ، ولم يذكر يعقوب بهذا الاسم مقطوعا عن الإضافة إلى بنيه إلا فى آية واحدة من القرآن الكريم هى قوله تعالى : « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، وقد ذكر الله يعقوب مع أبيه إسحق وجده إبراهيم فقال: « واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » ، ويفهم من ذلك أنه عليه السلام كان ذا قوة وعمل صالح ، وبصيرة نيرة ، وتذكر لما فى الدار الآخرة ، وأنه كان من الذين اصطفاهم الله ومن الأطهار الأخيار الذين فازوا برضاه .

أما بنو إسرائيل ، فقد كانوا فى مبدأ أمرهم اثنى عشر رجلا ، كما يفهم من قول يوسف عليه السلام لأبيه « يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين. قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين » فقد ظهر أن الأحد عشر كوكبا هم أخوته ، وأن الشمس والقمر هما أبواه ، وقد كان من أمر هؤلاء مع أخيهم ما خافه أبوه وأبوهم « إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين ، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين » ثم ألقوا أخاهم فى غيابة الجب « وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل » ثم صار أمرهم إلى ما صار إليه مع يوسف ، فانكشف لهم أمره ، وألقوا إليه أمرهم وقالوا « تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصى هذا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ». فعادوا ورجعوا بأهلهم أجمعين ، وكان ما كان « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ».

لقد هاجروا إلى مصر مع أبيهم ليعيشوا فى ظل أخيهم بعد أن جعل أمينا على خزائنها ومكن الله له فى الأرض « يتبوأ منها حيث يشاء » ثم عملوا من بعده فى خدمة الغزاة من أعداء البلاد التى أكرمتهم وآوتهم .

رحل الغزاة عن أرض مصر ، فبقى هؤلاء فيها حتى تفاقم شرهم وانكشف أمرهم وظهر أنهم جواسيس فى عهد رعمسيس .

أنجاهم الله من آل فرعون ومن الغرق بقيادة موسى عليه السلام فلم يلبثوا حين وجدوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، أن قالوا لموسى « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ».

أمدهم الله فى صحراء سينا بطعام المن - وهو كالصمغ حلو الطعم سهل الهضم - والسلوى - وهو طائر السمانى - فقالوا لموسى عليه السلام « لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ».

تركهم موسى وذهب لتلقى التوراة فعادوا فى غيبته إلى الوثنية « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ».

اختار منهم موسى عليه السلام سبعين رجلا ليقدموا توبتهم أمام الله . فلما رأوه يخاطب ربه تمردوا عليه وقالوا « يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » فأخذتهم الرجفة وقال موسى يدعو ربه « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ».

رفضوا أن يقبلوا التوراة ولم يذعنوا لها إلا حين رفع الله الجبل فوقهم حتى صار « كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ».

أمرهم موسى بأن يدخلوا الأرض المقدسة فقالوا « يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . قال رب إنى لا أملك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القـــوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القـوم الفاسقين».

آل أمرهم بعد وفاة موسى وهارون إلى فتاه يوشع ابن نون فسار بهم إلى الأرض المقدسة بعد انقضاء المدة التى كتب الله عليهم أن يقضوها تائهين ، ودخل بهم القرية التى أمرهم الله أن يدخلوها ويستغفروه حين يدخلون بابها خاشعين خاضعين ، فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ، وعاقبهم الله بالوباء كما يفهم من قوله « فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » .

اشتبكوا مع جـــيرانهم الكنعانيين والمديانيين والفلسطينيين والآراميين فى نزاع دائم وحروب متصلة فلم يدعهم أولئك وهؤلاء يطمئنون فى الأرض التى نزلوها واحتلوها ثم دارت عليهم الدائرة فى أسدود بالقرب من غزة . وأخـذ منهم التابوت ووضع فى معبد « داجون » فجمعوا شتات فلولهم المنهزمة . واستجمعوا شجاعتهم المتوهمة وقالوا « لنبى لهم ابعث لنـا ملـكا نقاتل فى سبيل الله . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . قالوا وما لنـا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين » .

كان النبى الذى لجأوا إليه يدعى صمويل والملك الذى عين عليهم يدعى « شـــاول أوطالوت» . «فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلاقليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» .

لم ينتصر جيش طالوت على جيش جالوت كما يذكر المفسرون والتاريخ ـ فقد رووا أن الجيشين التحما فى عدة معارك فلم يرجح فيها جانب على جانب ، فبرز جالوت يتصدى ويتحدى ونادى طالوت ليخرج إلى مبارزته على أن يكون للقاتل مملكة المقتول ، فتهيب طالوت لقاءه . ولم يجرؤ على مواجهته . ونادى فى عسكره من قتل منكم جالوت زوجته ابنتى وجعلته شريكا لى فى ملكى . فلم يجرؤ واحد منهم كذلك على لقاء جالوت ثم حدثت المعجزة . فقد ذهب شاب صغير إلى اخوته وهم يحاربون مع طالوت . وسمع بما وقع من جالوت : فتقدم إلى طالوت وطلب منه أن يأذن له بمبارزة هذا الجبار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى يتحداه ، ولما أذن له وقدم له ما يحتاج إليه من فرس وسلاح ودرع لم يقبل وقال : إن لم ينصرنى الله فلن يغنى عنى هذا السلاح شيئا : ثم أخذ مقلاعه وتوجه إلى جالوت ، ولما أبصره جالوت أدخل الله فى قلبه الرعب منه . على ما كان يتمتع به من بأس وقوة . فقال له : أتقتلنى بالمقلاع كما تقاتل الكلاب ؟ قال داوود نعم : وقذفه بحجر أصاب جبهته ، ثم وثب عليه وانتزع منه السلاح وجز به رأسه وبذلك كانت الهزيمة وكان ما يحكيه الله بقوله : فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » .

والمتأمل فى قول الله « وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » ، وقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبى معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر فى السرد » . وقوله : « واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ... وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » . المتأمل فى هذا وغيره يدرك أن هذا الملك الذى أظل بنى إسرائيل : كان ملك داود لا ملك بنى إسرائيل .

وكان بمعجزات وخوارق سماوية ، لا بجهود العصابات الإسرائيلية .

وكان ثمرة نبوة مؤيدة من السماء ، لا ثمرة لهذه الشجرة التى تعرف باسم بنى إسرائيل .

وقد عظم أمر هذا الملك فى عهد سليمان عليه السلام . وكان ذلك استجابة من الله لدعائه إذ قال : « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب » بدليل قول الله بعد ذلك : « فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » . وبدليل قول الله فى موضع آخر : ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور » .

وقد انهار هذا الملك بعد موت سليمان ، وعاد بنو إسرائيل إلى ذل الأسر والتشرد ، فعدا عليهم بختنصر وساقهم أسرى إلى بابل ، ثم عادوا إلى فلسطين ليقعوا فى قبضة اليونان ثم فى قبضة الرومان .

وكان طبيعيا ـ لو كان الأمر عندهم منطق حق وطبيعة سليمة ـ أن يرحبوا بالإسلام ، ويؤمنوا بنبيه عليه السلام ، لأنه جاء مصدقا لما معهم ، ولأنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، ويتوعدونهم بأنهم سيحاربونهم مع نبي آخر الزمان الذي أظلهم أوانه ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وقد حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم كما حاولوا قتل عيسى ، وقتلوا كثيراً من الأنبياء بغير حق وكانوا كما يقول الله لهم « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

الملامح العامة :

هذه الأحداث والمواقف تعطينا صورة عن بني إسرائيل . وتكشف لنا الملامح العامة لطبيعيتهم ومنهج حياتهم ، وسلوكهم ، وهي إلى ذلك تشف عن خبث الطوية ، وسوء النية ، والغدر ، والمكر ، فإذا كان أصلهم إسرائيل . من الأطهار الأخيار الذين اصطفاهم الله ، فإنهم بالنسبة إليه كما يقول الله « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » ومن ثم كان خطابه لهم بجملة « يا بني إسرائيل » تأنيبا لهم وتثريبا عليهم ولا شك أن منهم الأخيار ولكنهم قليل بالنسبة إلى الأشرار كما يفهم من قوله تعالى « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ولا شك أنه كان منهم أئمة كما يفهم من قول الله « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » ولا شك أن الله أنعم عليهم وآتاهم مالم يؤت أحداً من العالمين ولكنهم لم يقابلوا النعمة بما ينبغي لها من شكر ، بل كان منهم الغدر والكفر كما أشرنا فيما ذكرنا ، ومن ثم كانت عناية القرآن بأمرهم وبأخبارهم ، ليكشف للناس طوياهم وسوء نواياهم حتى يحذروهم فلا يقعوا في شباكهم وشراكهم فإنهم كما يقول الله « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض » وكما يقول « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين »

النزعة العنصرية :

والنزعة العنصرية سمة لازمة لبني إسرائيل ، وقد بقيت طابعهم الغالب على حياتهم حتى بعد أن أصبحوا أجناساً كثيرة كما يذكر الدكتور محمد عوض في كتابه الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، إذ يقول : والذين يزعمون أن اليهود جميعاً من سلالة إسرائيل قلما يقفون لحظة واحدة لكي يذكروا أنه لو أن هذا الوهم صحيح لكان اليهود في جميع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنحاء العالم متشابهين فى السحنة والمنظر والتقاطيع . لأن قانون الوراثة يقضى حتما بأن الفروع تشبه الأصل وتتشابه فيما بينها تشابها شديداً ، ولو نظرنا إلى اليهود فى مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر، ورأينا بينهم السمر ذوى الشعر المجعد فى هضبة الحبشة ، والسود فى جنوب الهند ، والصفر المغول فى الصين ، ورأينا بينهم الطوال القامة . والقصار ذوى الرءوس الطويلة والعريضة . ويوشك ألا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجده بين الجماعات اليهودية فى مختلف القارات وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها من سلالة جنسية واحدة .

ولكن النزعة العنصرية جعلت من شريعة الله التى جاء بها موسى شريعة يهودية وجعلت من الأجناس المختلفة التى اعتنقت هذه الشريعة جنسا واحداً يهوديا ، وربطت مشاعر اليهود على اختلاف ألوانهم ومواطنهم بصهيون - وهو تل من التلال التى كانت تقوم عليها مدينة القدس وهيكل سليمان - فكان من ذلك . الصهيونية .

والنزعة العنصرية قد تكون فطرية أو ميولا طبيعية ووطنية ، ولكنها إذا انحرفت إلى الشعور بالغرور والكبر وما ينشأ عنه من ظلم وجور كانت مصدر شر وفساد كبير ، وأول مثل لذلك موقف إبليس مع آدم ، فقد أبى أن يسجد له مع الملائكة امتثالا لأمر الله ، ثم كان جوابه حين سأله ربه « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » هو قوله « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

ويظهر أن إبليس لم ينجح مع قوم كما نجح مع بنى إسرائيل ، ومن ثم جاء الحديث إليهم عقب الحديث عنه وعن موقفه مع آدم ومع ربه فى مطلع سورة البقرة ، لأن الحسد طبيعته فيهم كما كان منه ، ولأن الكيد والمكر والأنانية والنزعة العنصرية - وهى صفات وثمرات شيطانية - ، تبدوا فيهم كما بدت منه .

وسنعرض لذلك بتفصيل قليل ؟ .

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أعلام المسلمين فى الهند :

مولانا أبو الكلام أزاد

للأستاذ عبد المنعم النمر

— ٣ —

وعدت فى مقالى السابق أن أقدم نماذج من مرافعة مولانا أزاد أمام القضاة الإنجليز الذين يحاكمونه بتهمة إثارة الشعب ضد الحكومة ومقاطعتها ، وكان قد أمضى فى المعتقل أربع سنين أيام الحرب الأولى وأفرج عنه فى يناير سنة ١٩٢٠ ثم لم يلبث أن اعتقلته الحكومة فى ديسمبر سنة ١٩٢١ ووجهت إليه التهمة السابقة وكانت حركة العصيان المدنى على أشدها وسيق إلى المحاكمة . وأمام القضاة الإنجليز وقف وألقى أروع مرافعة عرفها التاريخ .. ويشهد الله أننى منذ اطلعت على هذه المرافعة وأنا مأخوذ بقوتها وروعتها . . ذلك أننى لم أطلع - فيما اطلعت عليه من أقوال الزعماء المسلمين وغير المسلمين ممن وقفوا موقف مولانا أزاد - لم أطلع على ما يماثلها من قريب أو بعيد ، وقد بلغ من إعجابى بها أننى حرصت على أن أطلع عليها ما استطعت من أصدقائى وأنا أحس ارتياحا وسرورا لاطلاعهم عليها ومشاركتهم لى فى الإعجاب بها ..

ومن أجل هذا وجدت صعوبة شديدة وحرجا كثيرا وأنا أحاول اختيار نماذج من هذه المرافعة لأقدمها هنا تحقيقا لوعدى فكل موضوع فيها بل وكل سطر يعتبر نموذجا رائعا يسرنى أن تقرأه وتحس ما أحسه من إعجاب وسرور . . وهى تقع فى نحو أربع وأربعين صفحة عادية ، فماذا أختار منها وماذا أدع حتى أرضى بعض رغبتى ؟ . وهل أقدم لك المقال المحدد الصفحات من نماذج أنقلها ؟ وماذا يكون لى إذن من مجهود ؟ وكان هذا هو الحرج .. ولكنى واثق على كل حال أنك بعد أن تنتهى من قراءة هذه النماذج ستعيش فى جو الإعجاب بها وتنسى أننى شغلتك بنقول نقلتها إليك ، بل إن الشوق سيستبد بك إلى طلب المزيد منها أو الاطلاع عليها كاملة ، وأستطيع أن أقدم لك من الآن وعدا بالاطلاع عليها كاملة فى الكتاب الذى سأطبعه قريبا عن المسلمين فى الهند فى ظل الاستعمار البريطانى وجهودهم فى حركة التحرير . . ولقد طالت المقدمة فهيا بنا إلى الموضوع . . بدأ مولانا أزاد مرافعته فقال :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« أيها القضاة ، إنى كنت عازما على ألا أقدم للمحكمة بيانا ما لأنها مكان لا رجاء لنا فيه ، ولا طلب منه ، ولا شكوى إليه ، وإنما هى كمنعرج الطريق إلى المنزل لا بد من قطعه للسابل ، ولذا نقف فيه وقفة على كره منا ، وإلا لدخلنا السجن توا ، ونطوى بعض الصفحات فنجده يقول للمحكمة بعد أن سرد تاريخ المحاكمات والذين وقفوا فى قفص الاتهام من الأبرار والفجار يقول :

« وإنى إذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأرانى قد شرفت بالوقوف فيه ، ويسبح روحى بحمد الله ويلهج لسانى بشكره من غير قصد منى ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، إذ أحسبنى فى هذا القفص محمودا للملوك والسلاطين العظام ، فأين لهم فى قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التى يرقص لها قلبى فى صدرى. ويا ليت الإنسان الغافل العاكف على هواه يشعر بنفحة منها ، وإنى أقول حقا إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثول فى هذا المكان ، ولنذروا النذور من أجله .

ولا يترك وقتا يمر بعد هذا الكلام حتى يقدم الدليل عليه ... الدليل الأقوى على إدانته بعد أن غاب عن ذهن الحكومة التى تحاكمه فيقول :

« إنى كنت عازما على السكوت فى المحكمة ، ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم لإثبات جريمتى ، الخطبتين اللتين ألقيتا فى بعض مجامع « كلكتا » ، وهما لا يحتويان على جميع الأمور التى ما زلت أكررها فى جميع خطبى ورسائلى ومقالاتى التى تعدو الحصر ، والتى إن قدمت لها كانت أنفع لمقصدها ، علمت أنها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المستند الذى يعتبر فى مثل هذه الأيام كافيا لإنزال العقاب ، مع شدة رغبتها وحرصها على سجنى ، ولذلك غيرت مقصدى وقلت إن العلة التى كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له ، فأردت أن أثبت بلسانى الأمر الذى لم تستطع الحكومة إثباته مع علمها به ، وشدة رغبتها فى إثباته ، وإنى أعلم أن قوانين المحاكم لا توجبه على ، ولا تضطرنى إلى الاعتراف به من تلقاء نفسى ، ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية ، وهو الذى يسوقنى إلى ما سأقوله ، إذ ليس من الحق أن نذر شيئا مستورا لأن الخصم لا يستطيع إثباته » .

ويستمر فى مرافعته فيقول :

ليس ببدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جناية فى عهد الاستبداد ، وأن يكون محاربو وجوده الباطل جناة وأئمة وأهلا للعقاب الشديد . وما دام الأمر كذلك فإنى أعلن على مسمع من الحكومة والمحكمة بأننى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكابا واقترفتها اقترافا ، وأنني من أولئك الجناة الذين بذروا هذه الجناية في قلوب أمتهم ، ووقفوا حياتهم على سقيها وتنميتها وتثميرها » .

ثم يمضي في صراحته وجرأته المنقطعة النظير فيقول : -

نعم إني قلت «إن الحكومة الحاضرة ظالمة» وإن لم أقل هذا فماذا أقول ياترى ، وأيم الله إني لأعجب كيف يطلب مني أن أسمي شيئا بغير اسمه ، وأن ادعو الأسود بالأبيض ؟ إني مادمت أعتقد أن هذه الحكومة من أولها إلى آخرها شر على شر فكيف أدعوها وأقول دومي ولا تصلحي ؟ » .

وأمام قضاته الانجليز يقف معتدا بدينه وإيمانه ويلقي عليهم درسا عن نظرية الإسلام الذي يدين به إلى الاستبداد فيقول : -

إني مسلم ، ولأني مسلم وجب علي أن أندد بالاستبداد وقبحه ، وأشهر مساويه ، وليعلم أن الإسلام لايعترف بالحكومة الشخصية ، وإنما جاء ليرد إلى النوع الإنساني حريته المغصوبة التي كان قد اغتصبها الملوك المستبدون الذين كانوا يعتقدون أن الحقوق للقوة والتسلط والقهر والغلبة ، ولكن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن إن الحق ليس في القوة ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق وأنه ليس لأحد من البشر أن يستعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم ، وبين أن الناس كلهم متساوون في الإنسانية ، متساوون في الحقوق إن الإسلام أعلن حقوق الإنسان قبل ثورة فرنسا بأحد عشر قرنا وليس مجرد إعلان بل وضع نظاما عمليا للديموقراطية الحقة بالغا في الكمال منتهاه » .

إن الإسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة إسلامية لم تتشكل برأي الأمة وانتخابها ، فماذا يكون موقفهم - إذن - من هذا الحكم « البيروقراطي » الأجنبي ، وهب أن تقوم الآن في الهند حكومة إسلامية على نظام شخصي أو تكون مستبدة فإن الإسلام يوجب على أن أسميها أيضا ظالمة وجائرة ، وأسعى لإسقاطها وإزالتها كما أفعل الآن .

« ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ، ولا يسمي الظلم ظلما ، مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الإسلامية ، فإن كنتم لاترون لأنفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظليم إن أظلم لأن معنى كلتا المطالبتين واحد ، إن التصديق بالحق وإعلانه عنصر ضروري الأمة الإسلامية ، فإن فصل عنها فقد أكبر ما تمتاز به ، ويمضي في مرافعته العظيمة من سمو وتقديس للحرية وتضحيات من المسلمين في سبيلها فيقول : -

« إن المسلم يتحتم عليه ألا يتقنع في إعلان الحق ، ولا يبالي في أداء فرضه بمصيبة وابتلاء ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بل يصدع به حيثما كان ولولاقى دونه الحمام . وتصير هذه الفريضة أوكد وأوجب عندما يسود الظلم والجور ويمنع الناس من إعلان الحق بالعنف والشدة ، إن التوحيد أساس الإسلام وقطب رحاه وهو يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكونان إلا لله الواحد وأن من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل غيره أهلا للخوف والطاعة وهذا مالا يجتمع مع التوحيد أبداً ، .

« إن الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى التضحية والبساله والجرأة والاستهانة بالموت فى سبيل الحق وقد ابيضت عن الدهر ولم تر مثل هذه الضحايا الكثيرة العظيمة التى قدمتها الأمة الإسلامية فى كل دور من من أدوار حياتها فى سبيل إعلاء كلمة الحق ، وتراجم علمائها ومشايخها وسادتها تنبئ عن هذه الضحايا » .

« ألا فلتعلم الحكومة قانون (١٢٤) من العقوبات الهندية ولا يردعه عن دينه وأداء فريضته ، إذ أكبر عقاب فى هذا القانون حبس المرء طول حياته ، والمسلم يرحب به ويتمناه إن كان لا بد منه فى سبيل الحق » .

ويمضى الرجل العظيم فى مرافعته فيرد لهم تاريخ المسلمين الأول فى ظل الحرية ، وتاريخهم فى ظل الملوك والولاة المستبدين من بنى أمية والعباسيين وكيف كان العلماء والعوام يجابهون الظالمين بظلمهم ولا يخافون الحاكم ولا نائبه ويتقبلون الموت فى سبيل الجهر بكلمة الحق عند هؤلاء السلاطين المسلمين ، ومر من هذا التاريخ أمثلة رائعة ثم قال : ـ

فإذا كنا نحن المسلمين نعامل حكومتنا الإسلامية هذه المعاملة حينما تكون ظالمة فماذا يرجوه منا عمال هذه الحكومة الأجنبية ؟ وهل تكون الحكومة الانجليزية الهندية المتسلطة علينا بالقوة أكرم علينا من الحكومات الإسلامية التى تعتبر طاعتها واجبة علينا شرعا ودينا ؟ ، وهل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنج « حاكم الهند » أعز علينا من خلافة عبد الملك بن مروان ونيابة الحجاج بن يوسف الثقفى ؟ ولو غضضنا الطرف عن الفرق الشرعى العظيم بين الحكومة الأجنبية غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية الإسلامية وأنزلناهما منزلة واحدة ، أفلا نقول فى حكومات « جيمسفورد » وريدنج [1] ماقلناه فى حكومات الحجاج وخالد القسرى من قبل؟ قد قلنا يومذاك : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا ، وهذا هو الذى نقوله لكم اليوم، ولا نزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول نحن من الوجود » ويستمر فى جرأة المؤمن الواثق بربه يبين لهم ما كان يجب على المسلمين

١ ـ كان كل منهما حاكما عاما للهند .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يفعلوه تجاههم ، وكيف أنهم كانوا متساهلين مع أعدائهم فيقول : -

« إن الشريعة الإسلامية رسمت للمسلمين خطتين إذا ظلموا : خطة ضد استبداد الحكومة الإسلامية ، وخطة ضد استبداد الحكومة الأجنبية . فالأولى تنحصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . أما الثانية فليست إلا السيف والحرب العوان وضرب الرقاب . . . ولقد كان يجب على المسلمين في الهند الآن أن يتخذوا الخطة الثانية فيحاربوا الحكومة الإنكليزية بالسلاح ويتفانوا في جهادهم ، لكنهم آثروا الأولى . . وأعلنوا أنهم يقاطعونها ولا يتعاونون معها ، أي أنهم يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الإسلامية الجائرة . . فهلا كان يجب عليها أن تفكر في صنيعتهم وتسامحهم معها ؟ . فحسبهم أنهم يعاملونها كمعاملتهم لحكوماتهم الإسلامية .

« وإني هنا أقول حقا إنه لا يؤلمني أبداً أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي ، وإنها لا تحاكمني إلا لتزجني في السجن إذ أن هذا أمر لا بد منه ، وإنما الذي يؤلمني فيفتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما ، فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون ١٣٤ يعاقب عليه ! ! . .

« ولست أنكر أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب المخزي وتسلط الأجانب عليهم ؛ لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الإسلامية وكسبوا جميع رذائل العبودية حتى أصبحوا بحالتهم هذه أكبر فتنة للإسلام ... ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية التعاليم الإسلامية البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم ، والتي توجب عليهم أن يحيوا أحراراً أو يموتوا كراما وليس بينهما سبيل .

ثم يلخص موقفه من الحكومة في هذه الكلمات القليلة : « إن اعترافاتي في هذا الباب جلية وصريحة وإني أعتبر الحكومة الحاضرة المستبدة حكومة غير شرعية ، وعدما محضاً في عين الحق والقانون ومئات الملايين من أبناء البلاد » .

ثم يصف هذه الحكومة كما يراها الملايين فيقول : « لقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة وهمتها في لبس الصدق بالإفك غير ، كليلة ولسانها في تكذيب الحقائق غير عي ولا متلعثم » .

ثم يعبر مرة ثانية وثالثة ورابعة عن رأيه في هذه الحكومة فيقول « يا ليت شعري إن لم أقل لهذه الحكومة ، إنك ظالمة فإما أن تتوبي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو تزولى » . فماذا أقوله ؟ أفأكذب وأقول لها ، لا بل إنك عادلة فلا تتوبى ولا تزولى ؟ لعمر الله إن هذا لن يكون أبدا ... وهل يستحق الظلم أن يبدل اسمه أو يسمى بغير اسمه لأنه يملك القوة والسجون والمشانق ؟ كلا بل أقول كما قال رائد إيطاليا وبطل حريتها « مازينى » : « قرة عينى فى هذه الجناية » .

ويسير البطل المسلم الهندى فى طريقه إلى القمة حتى يثبت أقدامه عليها ، ومن قمته هذه يقول لقضاته الانجليز : ـ

« إن كانت محتويات هاتين الخطبتين اللتين أحاكم من أجلهما لا تلائم الحكومة وترانى أستحق العقاب لأجلهما تحت قانون ١٢٤ فلم لا تعاقبنى على جميع خطبى وهى كلها مثلها بل أشد وطأة على الاستبداد منهما ، بل إنى مضطر هنا إلى التصريح أمامكم بأنى ارتكبت هذه الجناية مراراً يستحيل عدها بل ماعملت فى السنتين الماضيتين غير هذه الجناية » وهما السنتان اللتان خرج فيهما من السجن ...

« لقد قلت فى هاتين الخطبتين : إن الحرية لا ينبت نبتها ولا تستوى على سوقها إلا إذا سقيت بماء الظلم والقهر . وها هى ذى الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها » .

ثم وجه كلامه فى آخر مرافعته إلى الشهود والنائب العام من أبناء وطنه ولم يكذبهم ولكنه وبخهم لمساعدتهم للحكومة المستبدة وقال : « إننى أدعو لجميع هؤلاء بدعوة نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم لقومه : اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

وبعد ذلك وجه كلامه إلى القاضى فكان أروع من كل ما قال :

وأنت أيها القاضى ماذا عساى أن أقول لك إن أقول لك؟ إن أقول إلا ماقاله المؤمنون قبلى فى مثل موقفى هذا ، فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إن الحكومة ما دامت فاسدة فلا رجاء فى صلاح عمالها . . إنى أختم مرافعتى بكلمات لفقيد إيطاليا وشهيد الحق « فاردينو بروتو » الذى كان يقف مثلى أمام المحاكم فقال « عاقبونى بأكثر ما يمكنكم أن تعاقبونى به ، أيها القاضى ... لقد طال الحديث وآن أوان الوداع وإن مايدور بيننا الآن سيسجله التاريخ ويعتبر به المعتبرون ... فهلم بنا نفرغ من هذا العمل الذى سيكون عبرة وتذكرة للآيتين ، فالمؤرخ ينتظرنا ، والمستقبل يترقب فراغنا ، لنسرع فى المجىء إليك ، ولتسرع أنت فى القضاء علينا ، وإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب لمحكمة أخرى ، وتلك المحكمة محكمة قانون الله والحق ، الزمان يقضى فيها ويكون قضاء حكما وحكمه نافذا » .

أخى . . ما أروع ما نقلته لك وما أروع ما تركته كذلك وضاق به نطاق المقال

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هدى القرآن فى إصلاح الفرد والمجتمع

للأستاذ منشاوى عبود

إذا تطلع القادة الراشدون إلى منهج إصلاحى سديد يقوم الأفراد ويجعل منهم لبنات قوية صالحة فى بناء مجد الأمة ويكون مجتمعا مثاليا فاضلا فإن أيسر السبل وأقومها لبلوغ تلك الغاية الكريمة مدارسة القرآن الكريم والاستمساك بهديه القيم إذ هو المنهل العذب الذى يروى ظمأ القلوب ، ويوفر لها ما تصبو إليه من حكمة وسداد ، والنور المبين الذى يشرق على العقول فيعصمها من الأفكار الطائشة والمذاهب الهدامة ، ويعمرها بالهداية والعرفان ، ويدفع أصحابها إلى الصراط المستقيم .

والسلوك القويم . ويوجههم إلى الإنصاف بأكمل الحالات وأفضل الخلال وأصلح الأعمال مشجعا لهم على ذلك بما ينتظرهم من أجر وفير وعطاء جزيل : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا (١) » .

(١) سورة الإسراء .

(بقية المنشور على ص ٨٣١)

ما أروع ما قاله هذا الزعيم المجاهد المسلم الذى أعاد لنا فى العصر الحديث أمجاد أمثال له فى تاريخنا القديم جهروا بالحق ولم يخشوا إلا الله . . وما أحوجنا وأحوج المسلمين وبخاصة شبابهم - موضع الأمل والرجاء فيهم - أن يقرءوا مثل هذا ويحفظوه ويعوه ويكون لهم غذاء وتعبئة روحية ينطلقون بها فى مضمار الحياة يحطمون أغلال الظلم ويدكون أسوار الاستبداد وينطلقون بأممهم من حياة الظلام والظلم إلى النور . . إلى الحرية . . إلى الحياة الإنسانية إلى الحياة الإسلامية . . ما أحلاها . وما أسعد الذين يعرفونها ويقدرونها ويعيشون لها وفى ظلها أحرارا شرفاء كراما أعزاء . .

(الحديث موصول)

عبد المنعم النمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما من شأن من الشئون يتعلق بالفرد أو المجتمع إلا ويهدى القرآن فيه إلى ما كان أعظم نهجا وأوفر رشداً ، وأزكى عاقبة ، وأهدى سبيلا .

ففى العقيدة يهدى للتى هى أقوم بتطهير النفوس من دنس الشرك ، ورجس الوثنية ويخلصها من الخضوع لغير بارئها الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأوجد فأبدع .

وفى الخضوع لله وحده تكريم للإنسان وتقدير لآدميته ، وسمو بإنسانيته ، وتشريف له بجعل إذعانه مختصا بمصدر الوجود والإنعام .

ولا يخفى ما لهذه العقيدة الرشيدة من أثر جليل فى احتفاظ المؤمن بعزته وكرامته ومراقبته لربه فى جميع الأحوال والتصرفات ، ومن راقب ربه فلن تطوف بذهنه خواطر السوء ، ولا تلج إلى قلبه نزعات الشر ، وحرص على التزود من القول السديد والعمل المجيد .

على أن القرآن لم يكره الناس على هذه العقيدة إكراها بل هدى فى الدعوة إليها أيضا بالتى هى أقوم فلفت الأنظار إلى ما أودع من الدلائل فى الأنفس والآفاق وما تشهد به الفطر الصافية والألباب الواعية « وفى أنفسكم أفلا تبصرون [1] » ، « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت [1] » ، « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين [2] » ، إلى غير ذلك من الآيات التى تهدى المسترشد وتزيده تبصرة وذكرى وإيمانا بربه وإنابة إليه وثقة به وتوكلا عليه .

والقرآن يهدى للتى هى أقوم فى العبادات فيأمرك بأدائها خاشعا لربك . مستحضرا فى نفسك أن تعبده كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وهل يسمع المؤمن قول العليم الحكيم صاحب القهر والسلطان « إن الله كان عليكم رقيبا » [3] وقوله « ألم يعلم بأن الله يرى » [4] ثم لا يحاول أن يعمر قلبه بجلال الله وعظمته . وخشيته وسطوته ؟

إن هذا الخطاب الإلهى سيأخذ حتما بمجامع قلبه ويدفعه إلى امتثال أمر ربه . والحرص على مرضاته والتزود من طاعته حتى تكون العبادة خلقا ومنهاجا ، والإخلاص فى أدائها غاية وأملا .

هدى القرآن للتى هى أقوم فى تنظيم المجتمع وتوثيق الصلة بين أبنائه فأحكم الرابطة بين

---

(١) سورة الذاريات .

(١) سورة الغاشية .

(٢) سورة لقمان . (٣) سورة النساء .

(٤) سورة العلق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأغنياء والفقراء فأقامها على أساس من العدالة والتكافل الاجتماعي والرعاية الحازمة فاحترم ملكية الغني لماله لكنه أوجب فيه حقا للفقير يفي بحاجاته ويوفر له الحياة الكريمة قال تعالى: « والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم »(١) وقد سمى القرآن هذا الواجب حقا تكريما للفقير واحتراما لشعوره وتوفيرا لعزته. وتبيانا له أنه لا يأخذ صدقة أو منحة وإنما يتقاضى حقه الذي كان مدخرا له عند غيره. كما أن في هذه التسمية أيضا إعلانا للغني بأن هذا المقدار الذي تعلق به حق الفقير تلزم المسارعة إلى إخراجه. ولا يجوز التسويف في أدائه. أو التهاون في الوفاء به. وبذلك ينعم الجميع بالعيش الرغيد. والحياة الباسمة. ويتبادلون المودة والصفاء. ويصبحون بنعمة الله إخوانا يتنافسون في العمل لخير المجتمع وإسعاده.

هذا وقد عنى القرآن الكريم بمشكلة المعوزين والكادحين عناية فائقة لم تظفر بمثلها في تشريع ما يدلك على هذا ما تجده ماثلا في الكثير من آياته وسوره من ذكر الفقير والمسكين وتحريك القلوب للعناية بهما والاهتمام بشأنهما. وإنما سارع القرآن إلى علاج هذه المشكلة لأن علاجها في الواقع أنجع وسيلة لصيانة المجتمع وتوفير أمنه وهناءته - وإغفال تلك المشكلة ينجم عنه خطر داهم وشر مستطير يجتاح الأمة. ويقضي على بنيانها من القواعد وحسبك شاهدا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)(١).

ولرعاية المجتمع أيضا شرع القرآن المعاملات بين الناس تيسيرا لمصالحهم وتحقيقا لرغبتهم في المعاوضة والمبادلة. وهدى فيها التي هي أقوم فوضع لها أسسا قويمة تنتج المقصود من شرعيتها مع المساواة بين الطرفين في صيانة حق كل منهما وتبادل المودة والثقة بينهما فأمر بالتعاون والتناصح ونهى عن الغش والخيانة وحرم أكل الأموال بالباطل وبالغ في التحذير من الربا والتخويف من سوء عاقبته. فكشف عن حقيقته وبين أنه خداع براق يغر ظاهره وهو في الواقع مجلبة للخراب والدمار ومعول هدام يقضي على النظام الاقتصادي ويحبط الثروة ويجعلها هشيما تذروه الرياح قال تعالى: « يمحق الله الربا »(٢) وتوعد آكليه بأشد أنواع الويل والثبور حيث جعلهم ممرضين لحرب من الله لا قبل لهم بها ولا طاقة على احتمالها فقال - جلت حكمته: « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم

(١) سورة المعارج.

(١) رواه مسلم

(٢) سورة البقرة.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله [١] » .

هدى القرآن إلى التي هي أقوم في تماسك الأمة وتناصرها وتوحيد كلمتها وإعلاء شأنها وإبقاء هيبتها في نفوس أعدائها وجعلها منيعة الجانب مرهوبة السلطان فدعا إلى الوحدة والوئام وحذر من الفرقة والانقسام فقال عز شأنه : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين [٢] » .

ولتوثيق عرى الاتحاد والتآزر بين جميع عناصر الأمة تعرض القرآن لمعاملتنا مع قوم خالفونا في الدين ولكنهم رضوا بالإقامة في ظل الإسلام وحمايته على أن يلتزموا معنا خطة المسالمة فلا يعلنوا علينا حربا ولا يظاهروا عدوا يقاتلنا وتتعاون نحن وهم على جلب الخير ودفع العدوان وأخذ كل فريق منا على صاحبه بذلك عهدا مؤكدا وميثاقا غليظا ـ والقرآن يهدينا في شأن هؤلاء التي هي أقوم فيقول « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين [٣] » .

فقد أرشدت الآية الكريمة إلى فضيلة البر بهم والتزام العدل معهم وختمت ذلك بما يجعل النفوس مسارعة إلى الامتثال تواقة إلى تحقيق تلك الأهداف الرشيدة حيث جعل العدل مع هذه الطائفة مسراجا للظفر بمحبة الله وعظيم مثوبته ـ وليس أروع من هذا في إشعال جذوة الحماس إلى القيام بالواجبات والإحسان في أدائها وضمان الحقوق وصيانتها.

والسر في أن الواجب علينا نحو تلك الطائفة ورد التعبير عنه في الآية بعدم النهي هو أنه ربما يطوف بالأذهان أن مخالفة هؤلاء الناس في الدين تحظر البر بهم وتسوغ الاستخفاف بحقوقهم . فجاءت الآية الحكيمة على هذا الأسلوب للرد على ما عساه يخطر بالبال مبدية أسباب الحكم علينا بوجوب البر بهم والعدل معهم .

وما أوسع ما تدل عليه كلمة البر والعدل من صور كريمة ومظاهر رائعة .

يهدي القرآن الأمة الإسلامية إلى الحالة التي هي أقوم في تنظيم علاقتها الدولية بغيرها فيأمرها أن تتحصن بالسلاح والقوة التي ترهب أعداءها وأن تعنى بالمرابطة وحماية الثغور والحدود ومداخل العدو لتعيش الدولة آمنة مطمئنة لا تمتد إليها يد الطامعين ولا تتحرك لها قلوب المستعمرين قال تعالى:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة الأنفال .
(٣) سورة الممتحنة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (١)» .

ولم تحدد الآية الكريمة نوع القوة التى نعدها لتفسر فى كل زمان بما يرهب خصوم الإسلام . والإعداد على هذا النحو هو السبيل الوحيد لضمان الأمن والسلام والوقاية من الحروب وويلاتها ولذا يعبرون عنه بالسلم المسلح ؛ إذ السبب الحقيقى للحرب بين دولتين إنما هو اختلال ميزان القوة فيهما وتضاؤل قوة الدولة المعتدى عليها فى نظر الدولة الباغية .

وما أرشدت إليه الآية الحكيمة هو هدى الله فى نشر الأمن بين الناس لا ما تزعمه تلك الدول العاتية من حماية السلام ، وأقامت لذلك مجلسا يسمى مجلس الأمن وأحاطته بسياج براق من الدعاية الزائفة . وما هى إلا الأساليب الماكرة الخادعة التى تخفى وراءها روغان الثعالب وغدر الذئاب واغتيال الأمم المستضعفة والتهام الشعوب المغلوب على أمرها .

والإسلام دين السلام حقا ولا يحارب الإمن وضع العقبات فى طريق دعوته وهدد أمنه وسلامته ونازع سلطانه وسيادته ومن أجل هذا عرض القرآن لموضوع الصلح مع قوم اشتعلت بيننا وبينهم نار الحرب فهدانا فى ذلك التى هى أقوم أيضا فأرشدنا إلى قبول عرضهم للصلح مادمنا قد آنسنا منهم حسن النية ونبل الغاية وأخذنا الحيطة لسلامة أمن الدولة قال تعالى «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم» (١) .

وصفوة القول أن هداية القرآن التى هى أقوم فى إصلاح الفرد والمجتمع ما أكثرها وما أروعها وما تعرضنا لذكره منها ليس إلا نماذج يسيرة من هذا البحر الزاخر الذى لاتنقضى عجائبه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وما أحوجنا ونحن فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن - إلى أن نبدأ عهدا كريما بمدارسة هذا الذكر الحكيم فنستوحيه فى جميع شئوننا العلاج الناجع والتوجيه الحازم ونأخذ أنفسنا بهديه الرشيد . ونقيمها على صراطه المستقيم لنظفر بتكريم العلى الكبير حيث قال سبحانه: «والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لانضيع أجر المصلحين» (٢)

منشاوى عبود الخولى

---

(١) سورة الأنفال .

(١) سورة الأنفال .

(٢) سورة الأعراف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثورة الوطنية والفنية
في شعر أحمد محرم

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

من حق الشاعر الكبير الخالد ، أحمد محرم ، على وطنه ، أن يذكره ، وأن يقدر فيه الشاعر الثائر ، الذي عاش لأمته ، وضحى من أجل حريتها وعزتها ومجدها أغلى التضحيات .

من حقه على بلاده ـ في نهضتها التحررية العربية الكبرى ـ أن تحتفي بشعره ، الذي كان غذاء لثورتها ، وشعلة أضاءت لها الطريق إلى غايتها ، والذي نادى بالثورة وبشر بها قبل ميلادها بوقت طويل .

— ٢ —

لقد عاش محرم عدواً للملكية والحزبية السياسية ، وللدخيل وأذنابه ، وللرجعية والإقطاع . حارب كل هذه الأركان المتداعية الواهية ، وحاربته . حتى لفظ أنفاسه ، ولاقى ربه .

(١) ذم الملوك ، وأزرى بهم ، ونعى بفسادهم ، من مطلع شبابه إلى آخر حياته .. فقال في تصوير استبدادهم :

بغت الملوك على الشعوب وغرها
ممن تسوس تجاوز وسماح

وتحدث عن ظلمهم لشعوبهم فقال :

رأيت ملوك الناس لا ينصفونهم
وخير الملوك المنصف المترفق
يقيمون صرح الظلم في كل أمة
إذا ملكوا والعدل بالملك أخلق (١)

ورأى أنهم يعيشون على حساب الشرف والضمير فقال :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم
شرفاً ، ويزعم أنهم شركاء
لا المجد مجد بعد ما عبثت به
أيدي الملوك ، ولا السناء سناء
مالوا عن الشرف الصميم وأحدثوا
ما شاءت الأوهام والأهواء
لو جاور الشرف الملوك لأورقت
صم الصخور وضاءت للظلماء

وندد بعباس وخيانته الوطنية لمصر فقال :

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا
أوأصبحت حرب الغزاة سلاما ؟
أتخون مصر وما تحول نيلها
سما ، وما انقلب الضياء ظلاما ؟

---

(١) ٢ : ٨٦ الديوان.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ب) وحارب كذلك الحزبية السياسية المستغلة الفاسدة، فقال فى جنايتها على الشعب .

شعب بأيدى الجاهلين تقوده
أهواؤهم قود الذليل الضارع (١)

ودعا إلى الانفضاض من حول الزعماء الحزبيين ، فقال :

دعوا الزعماء إن لهم لدينا
يدين بغيره الشعب الرشيد

إذا ذكروا الزعامة فهى دعوى
يكيد بهـا الكنانة من يكيد

وكان الشعار الحزبى يدعو إلى تمجيد الزعماء ، لا إلى البذل والفداء من أجل استقلال الوطن ، فقال محرم يندد بهذا الشعار الزائف :

هو الحق الذى نسعى إليه
ولسنا عنه ما عشنا نحيـد

إذا لم يحفظ استقلال مصر
فلا سعـد يطاع ولا سعيد

(ج) وحارب محرم المحتلين حربا لاهوادة فيها ، فقال من قصيدته فى مأساة «دنشواى» يندد بالانجليز وأعوانهم :

بنى التامين كونوا كيف شئتم
فلن ندع الكفاح ولن نلينا

خذوا أنصاركم إنا نراهم
لنا ولقومنا الداء الدفينا

هم الأعداء لسنا من ذوينا
وليسوا فى الشدائد من ذوينا

ذممنا عهدكم فمتى تراكم
تشدون الرحال مودعينا ؟

ولقد شدوا الرحال عن مصر مرتين خلال عام واحد ، ولكن بعد وفاة محرم بإحدى عشرة سنة . ويقف الشاعر أمام الانجليز وجهاً لوجه ، فيقول :

حماة النيل إن النيل عان
يريد العدل والحكم النزيها

أساتم فى سياستكم إلينـا
وتلك سياسة ما نرتضيها (٢)

ويخاطب أنصار المحتلين وأذنابهم ، وينذرهم ثورة الشعب ، وهو يتنبأ بها من وراء الغيب فيقول :

يا أيها الناس إن الله يأمركم
ألا تكونوا لأهل الظلم أعوانا

إنى أخاف عليكم حادثاً جللا
لا تملكون له رداً إذا حانا

ويذكر أذناب المحتلين بذنبهم وببلادهم فيقول :

وأشد أبناء البلاد عداوة
من لا يرى المحتل من أعدائه

هى فى جلالتها حمى أبنائه
ومضاجع الماضين من أبنائه

(١) ٢ : ٩٧ الديوان .

(٢) ٢ : ٦٣ الديوان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(د) وحارب محرم الرجعية فى شتى صورها ، الرجعية الفكرية التى يقول عنها:

أيعجب قوما من أولى العلم أنهم
يسيرون بين الناس فى نوره عميا (١)

والرجعية الاقتصادية والاجتماعية التى شن عليها حربا لا هوادة فيها . فدعا إلى تعليم البنت فى زمن كانت الدعوة إليه فيه كفرا وإلحاداً :

وجاهل ظن أن العلم منقصة
للبنت ، فانتقص التعليم وانتقدا
مهلا فرب فتاة أهلكت بلدا
بجهلها ، وعجوز أفسدت بلدا (٢)

وحارب الطائفية الدينية فى مصر ، فقال :

أسفى على المتباغضين وقد رأوا
أن الفلاح تودد ووئام
شرعوا العداوة بينهم لم يوصهم
دين المسيح بها ولا الإسلام (٣)

ومن أجل ذلك دعا إلى الإخاء الوطنى فى كثير من قصائده ، يقول :

الدين لله العلى وإنما
دين الحياة تودد ووئام
إن كان للواشى المفرق مأرب
فلنا كذلك مأرب ومرام
أنظل صرعى والشعوب حثيثة
ونعيش فوضى والحياة نظام
لا النيل إن رمنا الحياة بجاهل
أنا لها كلا ولا الأهرام

ونادى بمحاربة الجهل وأكثر من تصوير جنايته على الأمة ، فقال :

الجهل أصبح داءها المودى بها
ومن البلية أن تموت بدائها

وحارب الرشوة ، وصور أثرها على الشعب ، فقال يخاطب الموظف :

قتلت برشوة حقا ضعيفاً
له من إثمها كفن ورمس (١)

ودعا إلى تصنيع بلاده فقال :

أبنوا المصانع ثما تبلغون بها
شأو الألى رفعوا شم العرانين
أينهب القوم آفاق الدنى صعدا
ونحن مرعى الأمانى والأظانين

ودعا إلى حرية الصحافة فقال :

لا تظلموا الأقلام إن سبيلها
عون الضعيف ونصرة المخذول

ونعى على صحافة المحتلين أكاذيبها وافتراءاتها فقال :

صحف يزل الصدق عن صفحاتها
ويظل جد القول عنها نابياً (٢)

هـ — وحارب الإقطاع وصور شره فى أكل حقوق الشعب المسكين فقال :

يا مدمن الأعمال فى طلب الغنى
لا تظلمن العامل المسكينا

(١) ٢ : ٨٠ الديوان .
(٢) ٢ : ١٧٦ المرجع .
(٣) ٢ : ٤٧ المرجع .

(١) ٢ : ١٨٨ الديوان .
(٢) ٣ : ٩٨ المرجع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أطعمت من دمه الخزائن جمة
ولبئت تطعمه البلاء فنونا

وأنذر الإقطاعيين الثورة فقال :

إني أرى خلل الحوادث موقما
جلا يقيم قيامة المثرينا
مهلا موالينا أيجمع واحد
مالو تفرق جاوز المليونا ؟
ونظل لا نرجو نظاما صالحا
يقضي الحقوق ولا نرى قانونا

وقال في جنايتهم على الشعب :

أضروا الشعب واستلبوا قواه
وآفة كل شعب مترفوه

— ٣ —

ولقد حاربته كل هذه الأركان التي كان يقوم عليها بناء مصر آنذاك ، حاربته الملكية البائدة ، والحزبية الفاسدة ، والرجعية الماكرة والإقطاع المتنمر ، وحاربه المحتلون وأذنابهم كذلك . . فعاش طول حياته فقيرا بائسا محروما ، حتى يقول فيما يقول :

ظمئت وفي فمي الأدب المصفى
وضعت وفي يدي الكنز الثمين
لربي ما عملت وعند قومي
ديوني حين تلتمس الديون

ويصور حنق هذه الأركان المتداعية عليه فيقول (١) :

سبحان ربي هل هممت بمفظع
أم جئت أمرا في الزمان عجابا
ما كان إلا أن مررت بمنكر
فنهيت عنه وقلت فيه صوابا
إن الغواة إذا هممت بنصحهم
ألفيتهم متذمرين غضابا

ويوبخ زمانه وعصره وقد جهلا مكانه ومنزلته فيقول :

ويله زمنا حملت به الأسى
وشقيت فيه بكل خلق منكر
ويله زمنا سيعرف موضعي
ويرى مكاني إن حييت ومظهري
ولئن هلكت لتعلمن مكاني
أم نشرت لها زمان البحتري
أعليت في الأمم الخوالي جدها
ورفعت رتبة عصرها في الأعصر
قلم من الروح الذكي يمده
ماشاء ربك من نطاف الكوثر (١)

ويبين بعد مذهبه ودعوته الوطنية عن مذاهب من حاربوه ودعواتهم فيقول .

دعوني وما أرضى لنفسي وجنبوا
هواي هواكم ليس مذهبنا معا
لكم شأنكم إني أرى غير رأيكم
وإن لنفسي دونكم متطلعا

(١) ص ٢٥ : ٢٧ الديوان .

(١) ص ٤٠ محرم شاعر العروبة والإسلام للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي . ١٤٠ مشاهير شعراء العصر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ساكت حتى ما أرد تحية
وأبعد حتى مار والى موضعا (١)

وتعرض عليه المناصب والأموال ليسكت فيقول :

ولست ببائع نفسى ودينى
ولو أوتيت ملك المشرقين
سأملأ هذه الغبراء مجدا
وأترك أهلها صفر اليدين
على التاريخ بعد الموت حتى
وعند الله يوم الدين دينى (٢)

ويفضل البؤس والحرمان على خيانة أمته فيقول :

ما أبالى حين تسمو أمتى
من ترى من بعد هذا أوسعا
من أيادى الله أنى لم أخن
عهدها الأرقى أريد المغنما
مرحبا بالبؤس من أسبابه
عفة اليائس عن أن يأثما
راودتنى عصبة عن حقها
وأبى العرق الكريم المنتمى (٣)

وحين يرى الأمور فى مصر لا تبشر بخير ، يقول فى حسرة دامية (٤) :

أكلف جد الأمر نفسى ولا أرى
سوى أمة خرقاء شيمتها الهزل
أردت لها عز الحياة فأعرضت
تريد حياة ما يفارقها الذل

ولكنه لا يسخط على أمته ، بل يستغفر لها ولقومه ، فيقول :

أستغفر الله عن قومى وأسأله
حظا لمصر من الخيرات موفورا

وفى استنهاض همم العاملين من أجل مصر يقول :

أمن ركب العواصف أو ترقى
إلى السبع الطباق كمن تردى
حياة الخاملين لهم عقاب
فما أقسى العقاب وما أشدا

وتشتد به الحاجة ، وتمضه الحرمان ، فيقول فى ثورة عارمة :

وحدى حملت صروف الدهر فادحة
ما خاننى منكبى فيها ولا عضدى
وحدى بليت بنفس ليس يعجبها
ما يعجب الناس من رأى ومعتقد
ولا يطيب لها إلا الذى كرهوا
من مركب خشن أو مطلب نكد
وحدى شقيت بهذا الشعر أجعله
أحدوثة الدهر أو أنشودة الأبد
أصوغه من شعاع الشمس ليس يحجبه
ستر من الحقد أو سور من الحسد

---

(١) ٢ : ٧٥ الديوان .
(٢) ٢ : ٧٨ المرجع .
(٣) ٢ : ١٥٩ المرجع .
(٤) ٢ : ٨٠ الديوان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحدى وفيت بعهدى والوفاء أذى
يجنى على الروح ما يجنى على الجسد
من كان يمشى وراء الموت متئدا
يبغى البقاء فإنى غير متئد

ولا يدرى بحرم مكانه ووجوده ، فيقول فى حيرة :

وجودى لست لى فلمن تكون
أمر أنت عن نفسى مصون ؟
وجودى ما عرفتك غير معنى
تغلغل فى الخفاء فما يبين
غريق فى الظلام ولا مناص
ولا حصن يلاذ به أمين
أقيم عليه سور من عباب
تضل على جوانبه السفين
أطل ويضرب التيار وجهى
فأين أنا أحر أم سجين

— ٤ —

لقد عاش بحرم ببلاده ، بوطنه ، بشعبه ، بأمته ، وامتلأ قلبه حبا لمصر الخالدة التى كان سر حبها هو مه والتفكير فى حاضرها سبب أدوائه ، فقال :

ولست وإن ظلمت أذم مصرا
فمصر الهم والداء الدخيل

ويقول فى تصوير حبه لأمته :

فإن يسألوا ما حب مصر فإنه
دمى وفؤادى والجوانح والصدر
لنفسى وفائى إن وفيت بعهدها
وبى لا بها إن خنت حرمتها الغدر
أخاف وأرجو وهى جهد مخافتى
ومرمى رجائى لا خفاء ولا نكر
هى العيش والموت المبغض والغنى
لأبنائها والفقر والأمن والذعر
هى القدر الجارى ، هى السخط والرضا
هى الدين والدنيا ، هى الناس والدهر

ويفتدى مصر وطنه الحبيب بكل ما تملك يداه فيقول :

مصر الحياة وحبها الشرف الذى
بطرازه الغالى أدل وأعجب
نفسى وما ملكت يداى لأمتى
وسراة آبائى وما أنا منجب
أبنى إنك للبلاد وإنها
لك بعد والدك التراث الأطيب

ويهب لأمته حياته فيقول (١) :

وهبت الصبا والشوق والحب والهوى
لمصر وإن لم أقض حق الهوى مصرا
بلاد حبتنى أرضها وسماؤها
حياتى وأجرى نيلها فى فمى الدرا

ويؤكد أن مصر فى حياته كل شىء ، فيقول :

مصر الرخاء والنعيم والرغد
مصر الرفيق والصديق والولد
مصر النصير والظهير والسند
مصر الهوى ، مصر الصبا ، مصر الهرم

(١) ٢ : ١٣١ الديوان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويذكر أن حب بلاده تغلغل فى نفسه وأعماق قلبه وروحه وفؤاده فيقول :

فإن يسألوا : ما حب مصر ؟ فإنه
دمى وفؤادى والجوانح والصدر
تدفق فيها الوحى شعرا وإنما
سقانا بها النيل الذى كله شعر

ويقول يعبر عن ثقته بشعبه :

أقول لمصر مصر الحياة
حياة الغد الدائم المتصل
لقد جد شعبك فى شأنه
فما يتوانى وما يتكل

وفى إيمانه ببلاده ، وحنينه إلى استقلالها ، يقول (١) :

وما المرء إلا قومه وبلاده
فإن يذهبا يلق الأذى حيث يمما
وما من فتى تغشى المهانة قومه
فيطمع أن يلقى من الناس مكرما
ولم أر كالأوطان أكبر حرمة
وأكرم ميثاقا وأعظم مقسما
من العار أن تشقى بلادى وأسلما
وكالموت أن يقضى عليها وأنعما
أحن إلى استقلالها وإخاله
إذا ما رأينا الصدع أمرا محتما

ومن أجل حبه لمصر ، أحب محرم النيل شريان حياتها ، ومصدر رخائها ، فذكره فى كثير من شعره ، وأهدى إليه الجزء الأول من ديوانه ، فقال :

فيا نيل أنت المنى والحياة
وأنت الأمير وأنت الأب
ويا نيل أنت الصديق الوفى
وأنت الأخ الأصدق الأطيب
وأنت القريض الذى أقتفى
فيزهى به الشرق والمغرب

ولقد أحب محرم العمل الوطنى الشريف ، ودعا إليه ، فقال (١) :

أشرع لأمتك الحياة ولا يكن
لك فى حياتك غير ذلك مأرب
ما المرء إلا قومه وبلاده
فانظر إلى أى المواطن تنسب

وكان محرم يغرس الإيمان بالوطن فى قلوب الشعب ، ويقضى على الخرافة القائلة بأن مناهضة المحتل وأساطيله عبث ، ومن أجل ذلك كان يؤكد فى مواضع كثيرة من شعره أن الحق قوة ، والنصر له ، وأن الضعيف الذى يقف الحق بجانبه هو القوى المنتصر إذا طلب حقه وجاهد دونه ، يقول :

الحق أسطول الضعيف وجيشه
إن شن حربا أو أراد مغارا

ويقول :

لا تحسبن الحق صيحة عاجز
الحق عزم صادق وجلاد

(١) ٢ : ٩٣ الديوان .

(١) ٢ : ١٠٦ المرجع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونادى بالتضحيات الغوالى من أجل الوطن فقال :

نضن بمصر إن عدت العوادى
ولكنا بأنفسنا نجود

وكم هتف محرم فى شعره بالجلاء ، ونادى به ، ودعا إليه ، وبشر به ، يقول فيما يقول :

هو الجلاء وإن ريعت له فئة
يود ساداتهم لو أنهم خدم

لقد تنبأ محرم فى شعره بالثورة ، ثورة الشعب على الفساد السياسى ، وعلى الاحتلال والرجعية والإقطاع ؛ وكأنه كان يرى ويسمع من خلال الغيب صيحة الحرية تدوى على لسان جمال عبد الناصر وصحبه الأبرار ، فقال :

لابد للشعب مهما لان جانبه
من وثبة تفزع الأفلاك والشهبا

وقال من قصيدته البعث المؤمل (١) :

وما أنا من روح الإله بآيس
وإن ملأ الهم الجوانح والصدرا
فيارب لاتبعث إلى منيتى
إلى أن أرى البعث المؤمل والنشرا

— ٥ —

هذا هو محرم فى ثورته الوطنية العارمة ، كان أسبق الشعراء إلى الإيمان بالثورة والدعوة إليها ، والتنبؤ بها ، الثورة من أجل مصر وحدها ، ومن أجل مستقبل شعبها الحر الأبى

وكان محرم كذلك من أعظم الشعراء الداعين إلى القومية والوحدة العربية ، فقال فيما قال من شعره :

أمم العروبة جاء يومك فاعملى
وإلى مكانك فانهضى وتقدمى
ضمى القوى وتجمعى فى وحدة
عربية تحمى اللواء وتحتمى
هذا السبيل لكل شعب ماجد
عالى اللواء إلى العروبة ينتمى
أمم العروبة جد جدك فانظمى
من عقدك المنثور مالم ينظم
لك أن تسودى تحت رايتك التى
خفقت لها الدنيا فسودى واسلمى

وصور نكبة فلسطين فى كثير من قصائده فقال فيما قال :

فى حمى الحق ومن حول الحرم
أمة تؤذى وشعب يهتضم
فزع القدس وضجت مكة
وبكت يثرب من فرط الألم
يا فلسطين اصطلتها نكبة
هاجها للقوم عهد مضطرم

ومع عنصره التركى فلقد كان أحمد محرم عربى الروح والفكر واللسان ، وكانت العروبة عنده كل شىء ، يتحدث فى شعره عن قضاياها ، ويدافع عن أممها المكافحة فى سبيل حريتها واستقلالها . بل لقد تغلغلت روح العروبة فى كيانه ونفسه تغلغل الدم فى مسارب البدن ، حتى ليقول يرد على الذين

(١) ٢ : ٨٢ الديوان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قالوا له : مالك وللعرب ، وليست منهم فى شىء من النسب ؟ (١) :

قالوا : هبلت أتبغى بينهم نسبا
هيهات مالك فى الأعراب من نسب

فقلت والشعر تغنينى روائعه
لولا الأعاريب قد عريت من أدبى

وكما عاش محرم شاعراً ، فقد عاش ثائراً ، حتى ليتحدث عن عاصفة فى ثورتها ، فيقول فيما يقول من قصيدة رمزية له :

حرة لم تعرف القيد ، ولا
سمعت بالسجن فيما تسمع

وينظم قصيدة عنوانها « ثورة القدر » يتحدث فيها عن ثورة إبليس الخاطئة ـ وثورة القدر الحق عليه ، فيقول فيما يقول فيها :

ثورة خاطئـــة لو لم تقم
فى ظلال العرش ما ثار القدر

— ٦ —

ولقد كان شعر محرم أكبر مظهر لثورته ، ولروحه الثائرة الشاعرة ، إذ ثار على الفن وتقاليده فى عصره ، ثار على الاحتذاء والتقليد ، وعلى بلادة العاطفة والانفعال ، وعلى ضعف التجربة الشعرية فيه . ثار على الأساليب الكلاسيكية الميتة ، والقوالب الشعرية الجافة ، وعلى المعانى الضعيفة المستخذية ، وحارب كل ذلك فيما حارب من عوامل الضعف فى أمته وفى الشعر العربى ، الذى قلده أروع القلائد والآيات .

دعا محرم من مطلع شبابه إلى أن يكون الشعر تعبيراً جميلا لطيفاً ، ومعانى أنيقة شريفة ، فذهب فى مقدمة الجزء الأول من ديوانه الذى ظهر عام ١٩٠٨ إلى أن آلق الشعر رقة النفس ورسوخ العقل ، وأن من الضرورى له حسن الأسلوب والصياغة وجودة النظم وجمال التركيب ، إلى تخير الكلم الرشيقة ، وتخييل المعانى الأنيقة ، ويتحدث عن الشاعر وسماته ، فيقول :

مستبد يحسب الدنيا له
وهو خصم المستبد المحتكم

ينظر النظرة تستقصى المدى
وتريه النور يجرى فى الظلم

فيلسوف كشف الله له
عن خفايا كل سر مكتتم

فإذا ما أخذته لمحـــة
من جلال الفن أغضى واحتشم

هو عبد الفن والناس له
فى حمى الفن عبيد وخدم

يسأل الأقوام : ما عنصره ؟
هو من نور وعطر ونغم

هو خلق بارع مما اصطفى
مبدع الكون وخلاق النسم

ولقد غذى أحمد محرم القصيدة العربية

(١) ٢ : ٤٢ الديوان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالموسيقى الرائعة ، والغنائية الساحرة ، وبالعاطفة الحارة القوية الصادقة . وبالتجارب الشعرية العميقة ، وغذاها كذلك بالفكرة الوطنية الثائرة الملهمة ، وبكل المعانى والقيم الإنسانية الجليلة النبيلة ، وغذاها بالطبع والموهبة ، وبالديباجة المشرقة ، وبالأسلوب البليغ الرفيع العذب ، الذى هو مزيج من الكلاسيكية الجديدة ، والرومانسية الصادقة فى التعبير عن حياة الشاعر ونفسه ومختلف أحاسيسه ومشاعره ، وأجاد محرم الحديث فى الطبيعة ، ومن روائعه فيها قصيدته « الطبيعة وفتاة الريف » ، كما أجاد فى الحديث عن الفلاح ، وعن الحب ، وفى الوطنية والاجتماع ، وفى الحكمة والتأمل ، وفى التعبير عن وجدانه ونفسه ، وعن كل جديد مبتكر اهتدى إليه عقل الإنسان فى زمنه .

وكان أعظم جانب من جوانب شعر محرم هو شعره الدينى والإسلامى الذى بلغ الذروة فيه بالإلياذة الإسلامية التى نظمها فى سيرة الرسول الأعظم وحياته وجهاده وحروبه وبطولات أصحابه وتضحياتهم من أجل نشر رسالة الإسلام وتبليغها الناس كافة ، وفى الحق أن الإلياذة كانت من أعظم الأعمال الفنية فى الشعر العربى الحديث .

ولقد كان محرم كذلك من أسبق الشعراء إلى مزج الشعر بالقصة ، فظهرت النزعة القصصية واضحة غالبة على قصيدته . ولعل محرم كان البذرة لفن إيليا أبى ماضى فى القصة الشعرية .

وقد طرح شاعرنا الصناعة اللفظية من شعره ، وساوق فيه بين اللفظ والمعنى ، بين الأسلوب والفكرة ، بين الطبع وموهبة الفن القادرة المصورة ، وأيد حركة التجديد فى الشعر ، ودعا إليها ، التجديد الذى يقوم على استلهام ما فى القصيدة الشعرية من عناصر وأصول ، وينهض بخصائصها الفنية ، ويحظها من الجمال والمتعة والروعة والتأثير ولا يقوم على أشلائها ومن أجل هدمها . .

لقد كان أحمد محرم أحد عمد الشعر العربى الحديث ، وكان هو وشوقى وحافظ ومطران وشكرى مدرسة شعرية متكاملة البناء . وكان يؤمن بالفن وسلطانه ، وبالشعر وسحره ومن ثم اتخذ منه لسانا يبين به عن أفكاره الوطنية والوجدانية والإنسانية النبيلة .

عاش محرم مضطهدا محروما من كل شىء ، ومات عن ثمانية وستين عاما ، وهو لا يجد القوت ولا أبسط أسباب الحياة ، معتزا بنفسه وفنه وكرامته ، وبوطنه وأمته ، أكبر اعتزاز . مات الشاعر الخالد ، والثائر الحر ، والوطنى الذى ألهمته بلاده وألهمها أجل الأفكار والمثل والمبادئ والرسالات ؟

محمد عبد المنعم خفاجى
أستاذ بكلية الدراسات العربية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام ونظرية التطور

للأستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم

تناول هذا الموضوع الأستاذ البهى الخولى فى مجلة منبر الإسلام عدد شعبان ردا على صحفى فى جريدة الأخبار عرض لنظرية التطور وأصل الإنسان والأجناس المعزوة لداروين، ثم دعا رجال الدين أن يقولوا كلمتهم ويوضحوا آراءهم فى هذه النظرية.

وقال الأستاذ الخولى: إن الكتب السماوية كتب هداية ربانية وإرشاد إلى ما ينير القلوب، وليست لتقرير النظريات العلمية فى مختلف ميادين المعرفة كالفلك والطب والجولوجيا وعلم الحيوان إلخ فذلك يخرج الأديان عن طبيعتها ويصرفها عن أهدافها - والإشارات العلمية التى بالقرآن لم ترد لتقرير حقيقة علمية ولا يجوز إطلاقا أن نسميها علما بالمعنى المعروف فى المصطحات الحديثة وإنما هى أمثلة جديدة تضاف إلى شواهد صدق القرآن».

وأقول حقيقة: إن القرآن كتاب هداية ثم هو إذا تعرض ليجلى نظريات علمية فى أى حقل علمى فإنما هو حديث الذى يعلم السر فى السموات والأرض، وهو المنفرد بالعلم الحقيقى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. إنه يجليها بما يجعل العقول البصيرة تخر إجلالا وإذعانا لدقة العلم وروعة التصوير وهو إن كان ليس بكتاب علمى يتعرض للاستيعاب والتفصيل لكل الجزئيات العلمية فلنا من هديه وقواعده العامة ونهجه ما نميز به بين الطيب والخبيث والجائز وغيره.

والحق أن الكاتب كان موفقا فى رده وتحليله وكنت على وفاق معه حتى قرأت السطور التالية وهى قوله: «وإذا كان التطور هو السنة التى تنتظم كافة ما نرى ونحس من الكائنات وتنتقل بها من حال إلى حال: حال حسية أو معنوية عضوية أو وضعية أو روحية فإنا نستطيع أن نرى بعض هذه الحقيقة فى مثل قول الله تعالى: «يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن»، فكل يوم يمر بل كل لحظة يتجدد فيها للكائنات شأن جديد يصير بها إلى حال جديدة غير التى كانت بالأمس، وليس ضروريا أن نرى ذلك التغيير والانتقال واضحا بملامحه الجديدة التى تميزه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن ملامحه السابقة وقد يكون التغيير ظاهرا وقد يكون باطنا وقد يتم ببطء شديد فلا تتضح معالم المباينة إلا بعد أجيال أو بعد ملايين السنين كما يقول علماء التطور » .

وهنا لست على وفاق مع الكاتب فى هذه السطور وإنى أخالفه وأخالف علماء التطور غير هياب أو عابئ بأن أرمى بعدم التطور الفكرى . ثقة بما فى القرآن من نصوص ترد كل قائل بنظرية التطور التكوينى للإنسان لا فى ملايين السنين ولا أكثر من الملايين . أما تفسير الآية التى ذكرت « يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن » فأدق تفسير لها ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وذكره الكاتب فى المقال، ولكنى أقول لم يذكر النبى التفسير مرونة وتمشيا مع أهل البيئة البدوية وتجنبا للبلبلة الفكرية ، كما قال الكاتب . والتفسير هو (من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع من يشاء ويضع من يشاء) .

ونقول لمن أراد أن يعرف حكم نظرية التطور ونظرة الدين إليها اقرأ معى قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » خلق الإنسان منذ القدم على أحسن صورة وأكمل هيئة وخلق إنسانا منذ النشأة الأولى له خصائصه ومميزاته الفريدة عن كل جنس آخر .

وعلينا أن نرجع عبر القرون والأزمان على ضوء النصوص الدينية الصادقة إلى أبى البشر إلى الإنسان الأول آدم عليه السلام . فهل يا ترى كان أقل منا تكوينا وحسنا وبهاء بل علما ؟ الجواب - لا وإلا لما كان أهلا للخلافة فى الأرض ولما فاق على الملائكة فى مشهد ربانى جليل حتى اعترفوا بخلافته « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إنى أعلم مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم، قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » .

ولو صحت نظرية التطور والنشوء والارتقاء التكوينى لكان بطبيعة الحال الإنسان الأول فى الوجود هو أقل الناس خلقا وأقبحهم منظرا ؛ لأننا نحن نتيجة تحسين وارتقاء سنين طويلة ضاربة فى أعماق الزمن ، فاطرح هذا الحسن بدرجات هذه النسبة ستحصل إذا على إنسان هزيل للغاية - وأى تكريم لو صح ذلك والله يقول للإنسانية جمعاء فى كل الأزمان « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » - إذا صح ما روى فى البخارى أن الله خلق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آدم على صورته : فأى جلال وأى بهاء كانت الصورة الأولى ـ للإنسان الأول :

إن مراحل التكوين الحقيق الذى نعرفه ما أرشدت إليه الآيات فى سهولة ويسر فى أزمنة متقاربة ملموسة :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » ومراحل حياته على ظهر الأرض رسمها فى قوله : « والله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ».

ولو آمنا بنظام التطور وسرنا على حسابه الزمنى فكم كانت تساوى يا ترى هذه الطفرة الكبرى فى عرف أصحاب الارتقاء ، وهى التى ما بين تطور الطين الذى لا حياة فيه إطلاقا إلى بشر سوى تقع له الملائكة ساجدين كما تخبرنا الآية . « إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » .

بماذا نفسر على ضوء نظرية التطور الاختلاف القائم بين الإنسان من الطول والقصر والألوان ؟ هل وجد النوع الإنسانى فى البدء على دفعات وبمرور الزمن سيصير النوع القصير طويلا عند نضوجه الزمنى أم أن بدء النوع الإنسانى زمن واحد هو ميلاد آدم وزوجته على ظهر الأرض ؟.

وعلى نظام التطور ومقياسه الزمنى بالنسبة للمؤمنين بنظرية داروين وشبهها فبعد كم سنة يتطور القرد والغوريلا وأشباههما إلى نوع إنسانى ، وما مصير النوع الإنسانى الحالى حينئذ هل سيحال على الاستيداع أم يصير نوعا ملائكياً بمرور الزمن وتقادم السنين ؟!

بعد ذلك نقول للسائل لرجال الدين عن موقفهم من فكرة التطور والارتقاء هذه الفكرة غير سائغة إطلاقا عند رجال الدين والنصوص السماوية تأباها على أى وضع سواء نظرية داروين أو جان دى لامارك أو غيرهما أو ما يشبه ذلك ويقاربه بأى صورة من صور الارتقاء التكوينى للإنسان .

ولا يفوتنا أن نبين للسائل : أن الدافع إلى القول بهذه النظرية واعتناقها إنما هو الجهل الفاضح بقدرة الله الخالق العظيم . والغرض من الدعوة إليها تشكيك الناس فى عقيدتهم الحقة حتى لا يعبدوا الله الذى خلقهم ولا يعترفوا بقدرته وفضله وخلقه لهم فى أحسن تقويم. وإنما يعزون وجودهم للطبيعة وتطورهم إلى الزمن وحده ، فهو الكفيل بتحسين النوع . وهذه فكرة خبيثة لا يقرها الدين ويصهرها فتذوب أمام أضوائه القوية ووفقنا الله إلى سواء السبيل ، وهدانا الطريق المستقيم .

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق الدينى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحشـــو....!
(حشو اللوزينج - حشو الأكر)

للأستاذ علي الجندي

يقول ابن سنان الخفاجي : من وضع الألفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشواً .

وأصل الحشو : أن تأتي الكلمة مقصوداً بها إصلاح الوزن ، أو تناسب القوافي وحروف الروي في المنظوم ، وتأليف الفصول والأسجاع في المنثور ، من غير معنى تفيده أكثر من ذلك .

وأطلق المبرد كلمة الحشو على الاستعانة ، وهي عنده : أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ؛ ليصحح به نظما أو وزنا إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منثور ؛ كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة ؛ مثل قولهم : ألست تسمع ؟ أفهمت ؟ أين أنت ؟ وما أشبه ذلك .

ويقول عبد القاهر : وأما الحشو ، فإنما كره وذم وأنكر ؛ لأنه خلا من الفائدة ، ولم يحل منه بعائدة ، ولو أفاد لم يكن حشواً ولم يدع لغواً ، وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعا من القبول أحسن موقع ، ومدركا من الرضا أجزل حظ ؛ ذاك لأن فائدته إياك على مجيئه ، مجيء ما لا يعول في الإفادة عليه ، ولا طائل للسمع لديه ، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لم ترقبها ، والنافعة أتتك ولم تحتسبها ، وربما رزق الطفيلي ظرفا يحظى به حتى يحل محل الأضياف الذين وقع الاحتشاد لهم ، والأحباب الذين وثق بالأنس منهم وبهم . وتمثيل الحشو المحبب بالطفيلي الظريف من النكت البارعة الدقيقة ! !

فالحشو عنده قسمان : قبيح وحسن ، والحسن يعد من أنماط البلاغة العليا كما رأيت .

وعند ابن سنان : أن الحشو ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وذلك أن كل كلمة وقعت حشواً ؛ لا تخرج عن أمرين :

إما أن تؤثر في الكلام تأثيراً محموداً ، وتفيد فائدة مختارة ، وهذا حشو محمود .

وإما ألا تؤثر شيئا ، بل يكون دخولها كخروجها ، فوجودها وعدمها سواء .

وإما أن تؤثر في الكلام نقصا ، وفي المعنى فساداً . .

وهذان القسمان مذمومان ، وثانيهما أحق بالذم من أولهما .

فالحشو المذموم عند ابن سنان ، بعضه قبيح ولكنه لا يفسد الكلام ، وبعضه يتعدى القبح إلى إفساد الكلام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومما مثلوا به للحشو القبيح قول أبي تمام في بعض ممدوحيه :

جذبت نداه غدوة السبت جذبة

فخر صريعا بين أيدى القصائد

فغدوة السبت حشو لا فائدة بذكره ، ولا يحتاج إليه ، ووجوده في الكلام ألبسه هجنة وغلاظا وسخفا ، وبخاصة : أن ذكر الأيام في الشعر مما يذهب برونقه ، ويورثه الثقل والفدامة ، ولعل هذا اليوم اليهودى - وهو السبت - أثقل الأيام جميعا ! ! .

وقد ذكر البهاء زهير « الخميس » في بعض قصائده الغزلية ، فلم يأت جاسيا جافيا كسبت أبي تمام ؛ لأن الخميس كان موعداً مضروبا للقاء من يحب ، فلم تكن مندوحة عن ذكره ، وتذكير من أحب بإخلاف الوعد فيه ، وذلك حيث يقول :

وكنتم وعدتم في الخميس بزورة

وكم من خميس قد مضى وخميس

وكذلك جاء « السبت » أيضاً في قول بعض العصريين :

السبت عيد لأني فيه ألقاك

لاتحرمى العين يوم السبت رؤياك

ولاخفاء في جهامة كلمة « السبت » ، ولكن مما يخفف وقعها ويعتذر به عنها : أنها وقعت هنا موقع « الخميس » في قول البهاء زهير المتقدم ، ولكن ما عذر أبي تمام في ذكر السبت ؟ ! .

إن نوال الممدوح لا يختص بوقت دون وقت ، فلا معنى لتأريخ صلته بالسبت ، بل لعل ذكر اليوم هنا يفيد من طرف خفي : أنها كانت فلتة من الممدوح ، لا طبيعة راسخة حتى صح أن ينوه الشاعر بهذا السبت العجيب في تاريخ الجوائز والصلات ! ! .

حشو اللوزينج :

والحشو المحمود في عرف البلغاء يسمونه : حشو اللوزينج .

واللوزينج : ضرب من الحلواء الثمينة ، يذكر بإزاء الفالوذج أو الفالوذق بفتح الذال ، وبينهما منافسة حادة ، وإن شئت فقل : بين آكليهما .

واللوزينج : بإسكان الواو ، وكسر الزاى ، وفتح النون ، فارسى معرب ، يشبه القطائف ، ويؤدم بدهن اللوز .

وكان حميد أبو الحارث يسميه : قاضى الحلاوة ، وقد وصفه ابن الرومى من قصيدة مشهورة تعد أبدع ما قيل فيه ، منها :

مستكثف الحشو ولكنه

أرق جلداً من نسيم الصبا

من كل بيضاء يود الفتى

أن يجعل الكف لها مركبا

لو أنه صور من خبزه

لكان الواضح الأشنبا

ومن النوادر : أنه قيل لبعضهم : التمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يسبح فى البطن ! ! فقال : على هذا التقدير يصلى اللوزينج فيها التراويح ! !

وحشو اللوزينج يضرب مثلا للشيء يكون حشوه أجود من قشره وأفضل ، ذلك : أن حشو اللوزينج خير من اللوزينج نفسه ، فيشبه به الحشو فى الكلام ؛ لأنه مع إمكان الاستغناء عنه ، يعد أحسن وأجل من الكلام الذى جاء فيه . وقد عرفه الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل : بأنه اعتراض فى الكلام يحسنه عند الأدباء .

وهذا الضرب من البيان الفاخر نادر الوقوع فى كلام العرب لنفاسته وجلالة خطره .

ومن أشهره قول عوف بن محلم الخزاعى من قصيدته المشهورة ، التى يمدح فيها عبدالله ابن طاهر ، وأولها :

يابن الذى دان له المشرقان طراً ، وقد دان له المغربان

والبيت المقصود :

إن الثمانين - وبلغتها - قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

بفتح تاء « بلغتها » ،

فهى جملة دعائية يستغنى عنها فى الكلام ، فهى فيه حشو ولكنها أحسن منه ، أو أحسن ما فيه .

ومنه قول البحترى فى مدح المتوكل العباسى :

وجزيت أعلى رتبة مأمولة فى جنة الفردوس ، غير معجل

فقد تم الكلام عند قوله : « فى جنة الفردوس » .

ثم قال : غير معجل : أى بعد عمر طويل ؛ لأن الجنة لا يتوصل إليها إلا بعد الموت .

وقد جاءت للمتنبى قلائد نفيسة من هذا النوع البديع .

فمن ذلك قوله :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه - يا جنتى - لظننت فيه جهنما

فقوله : « يا جنتى » حشو مستغن عنه ، ولكن وقع موقعه من الحسن والملاحة والطلاقة لمطابقته جهنم ؛ فأصبح كأنه لبراعته لا يستغنى عنه ، وصار هو الأصل .

وقوله :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا

فحاشاك هنا : لفظة دخلت لكمال الوزن ؛ لأنك إذا قلت : - احتقار مجرب يرى كل ما فيها فانيا - كان كلاما صحيحا مستقيما .

ولكنها أفادت مع أصل الوزن ، دعاء حسنا للممدوح فى موضعه :

وقوله :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

فقوله : لهنئت الدنيا بمنزلة الحشو ؛ إذ كان المعنى يتم بدونها ، ولو استوى له أن يقول : نهبت من الأعمار ما لم حويته لخلدت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الدنيا ، لكان المعنى مستقيما ، لكنه - لما احتاج إلى ألفاظ يصح بها الوزن - جاء بقوله : « لهنئت الدنيا » فأتى بزيادة من المدح ، وفضيلة من التقريظ والوصف لاخفاء بحسن موقعها .

ومن طرائف حشو اللوزينج قول الصاحب ابن عباد :

قل لأبى القاسم إن جئته
هنيت - ما أوليت - هنيته
كل جمال فائق رائق
أنت - برغم البدر - أوتيته

فقوله « برغم البدر » : حشو يتم الكلام بدونه ، ولكن حسن مجيئه هنا ، ودق مسلكه ، وظرف وقعه ، لأنه يدل على أنه فاق البدر جمالا ، فالبدر لذلك حاسد له ، ومغيظ منه ، وحانق عليه !!

ومنه قول الضحاك بن عقيل :

ولو جاورتنا العام «سمراء» لم نبل[1]
- على جدبنا - ألا يصوب ربيع

وقد عقب على ذلك ابن خلكان فى وفيات الأعيان بقوله : فله دره !! ما أحلى هذه الحشوة !! ثم قال : وأهل البيان يسمون هذا النوع : « حشو اللوزينج » .

ويروى الثعالبى : أن أبا الفضل بن العميد قال لأحد خاصته من الأدباء : اذهب إلى أبى الحسين بن سعد ، فقل له : هل تعرف ثانيا لقول عوف بن محلم الخزاعى ؟ :

إن الثمانين - وبلغتها -
قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

فى كون الحشو خير من المحشو .

فسار إليه وبلغه رسالة ابن العميد فقال : سألنى عن ذلك محمد بن على بن الفرات ، فسألت عنه « أبا عمرو » غلام ثعلب ، فقال: سألت عنه ثعلب ، فلم يأت بشىء .

ثم بلغنى : أن عبيد الله بن عبدان سأل عنه المبرد ، فأنشده قوله عدى بن زيد العبادى لابنه زيد بن عدى - وهو فى حبس النعمان ابن المنذر اللخمى - :

فلو كنت الأسير - ولا تكنه -
إذاً علمت « مَعَدّ » ، ما أقول

فقوله : ولا تكنه ، حشو ، ولكنه فى الحسن نظير « بلغتها » فى قول عوف بن محلم الخزاعى .

حشو الأكر .

وإذا كان الحشو الممدوح يسمى « حشو اللوزينج » ، فقد سموا الحشو المذموم : « حشو الأكر » ، وهو ما كان فيه الظرف أقبح من المظروف ، أو الحشو أقبح من المحشو !!

وفى ذلك يقول الأديب الظريف جحظة البرمكى : أنشدت أبا الصقر شعراً لى ، فاهتز له وقال : يا أبا الحسن ، لا تزال تأتينا بالغرر والدرر . إذا جاءنا غيرك بحشو الأكر !! .

على الجندى

[٧]

(١) لم نبل: أصله لم نبال. وهذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثى الأجوف فى الشعر ؛ فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نحو منهج رشيد لتطوير الفقه الإسلامي :

الفقه صناعة إنسانية متطورة

الأستاذ فتحي عثمان

كان فقهاؤنا يبتكرون أحكاما تشريعية كثيرة ... إعمالا للقواعد العامة المجملة التي وردت في الشريعة.

وهذه الأحكام في حقيقتها جهود عقلية إنسانية ، أثمرها مزاج فقهي معين من أخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

ومن الأمثلة الواضحة لذلك حديث الرسول (لا ضرر ولا ضرار) ، فقد كان ينبوعا لأحكام متجددة في رفض صور من المعاملات والتصرفات ، تشوبها شائبة الضرر لأحد الأطراف . وقد وجد فيه الفقه المعاصر أصلا طيبا لحظر (التعسف في استعمال الحق) .

على أن هذا المزاج الفقهي كان يتأثر بواقع المجتمع في ذلك العصر البعيد ، كما كان يتأثر بأخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

من ذلك مثلا أن استخراج المعادن من المناجم كان عملا باهظ التكاليف ، ولم تكن الآلات التي تيسر مثل هذا العمل أو تعين عليها قد ظهرت في الوجود ، وكان الإنتاج محدوداً والحاجات محدودة ، ومن هنا انعكست آثار الظروف الاجتماعية والاقتصادية على الأحكام الفقهية . . .

نقرأ في أحكام (الركاز) :

(إذا وجد في أرض معدن صلب ، فهو إما أن يوجد في أرض مملوكة أو أرض غير مملوكة) :

في الأولى : تكون أربعة أخماس المعدن لصاحب الأرض ، وأما الخمس فيكون لبيت المال .

وإن كانت غير مملوكة : كانت القيمة كلها للواجد . . .

ويرى أبو حنيفة : أن الأرض التي ليست عليها وظيفة العشر أو الخراج يكون المعدن فيها كله لمالك الأرض ، ولا شيء لبيت المال أصلا ...

أما إذا كان المعدن سائلا كالنفط والقار وغيرهما من الزيوت المعدنية ، فلا شيء فيه لبيت المال بالاتفاق ، وعللوا هذا بأن المعدن السائل شبيه بالماء !! فكما أنه لا يجب شيء في الماء المستخرج من الأرض ، كذلك لا يجب شيء فيما يشبهه في السيولة والميوعة !!

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهل تتمشى هذه النظرة الفقهية مع نظرة عصرنا إلى البترول ؟؟

وهل تتمشى أحكام المعدن الصلب مع الأورانيوم مثلا ؟ ؟

وفى شركات (المضاربة) التى يكون فيها رأس المال من شخص والعمل من شخص آخر ، نرى الفقهاء يقررون الأنصبة على أساس التقدير المستمد من بيئتهم .

ومن البديهى أن الفقه لا يقيد كل متعامل أو متعاقد بهذه النسب ، وفقهاؤنا القدامى لم يدخلوا فى حسبانهم صورة مجتمعنا الصناعى المعاصر ، الذى يمتلك فيه صاحب رأس المال الآلات فيشتغل عليها المئات والآلاف من العمال ، وهؤلاء لا يقوم بهم ثلث أو نصف خشب ! !

فى هذه الشواهد وأمثالها صور من الصناعة الفقهية ...

صناعة تستهدف مثاليات العدالة الإسلامية ، وقواعد الشريعة المجملة ، لكنها لا تستطيع أن تنفصل عن ظروف المجتمع فى ظروفه الزمانية والمكانية ! !

* * *

ولكى نتبين الصناعة الفقهية على حقيقتها لنستوضح معالمها من فقيه غربى أخرج نظرية محكمة فى بيان (جوهر القاعدة القانونية) .

إنه الفقيه الفرنسى فرانسو جينى أستاذ فلسفة القانون الذى نشر فى الفترة من سنة ١٩١٤ إلى ١٩٢٤ كتابه فى « العلم والصياغة فى القانون الخاص » .

ويرى « جينى » أن القاعدة القانونية جوهر يقوم على :

معرفة الواقع وحاجاته ومقتضياته عن طريق ما تسجله المشاهدة والتجربة .

فرض الواجب فى شأن هذا الواقع وفق ما يمليه العقل من مثل عليا وغايات بعيدة .

كما أن القاعدة القانونية شكل : يصنعه رجل القانون بفنه ، ليصنع هذه المواد الأولية التى يتكون منها الجوهر فى قالب منضبط صالح للتطبيق العملى .

ويعبر جينى عن المواد الأولية التى يتكون منها جوهر القاعدة القانونية .. بالعلم.

وعن القالب الذى تصاغ فيه هذه المادة .. بالصياغة ، أو الصناعة، أو الفن فلنستعرض مع « جينى » عناصر « العلم » فى القاعدة القانونية :

نجد أولا الأصول الواقعية أو الطبيعية أو المادية : وتشمل الظروف المادية التى يواجهها الإنسان ، سواء أكانت متصلة بتكوينه العضوى أو نفسيته أو خلقه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو كانت متصلة بالطبيعة نفسها من تربة ومناخ، أو كانت مجرد ظروف اقتصادية أو خلقية أو دينية أو اجتماعية .

ثم نجد الأصول التاريخية : ويقصد بها التطورات التى مرت بها النظم القانونية المختلفة من واقع تاريخ القانون والعلوم الاجتماعية ، لنصل الحاضر بالماضى ، ونتوق الطفرة والاجتماع.

وتأتى بعد ذلك الأصول العقلية : وهى ما يستخلصه العقل من الحقائق الواقعية والحقائق التاريخية فيصقلها ويحورها لتتفق مع الغاية من القانون ، فهى لا تتضمن من المبادئ والقواعد إلا ما يبدو للعقل على ضوء الواقع والتاريخ أن طبيعة الأشياء تفرضه فرضا محتوما ، أى المبادئ الضرورية وحدها دون الكمالية والمثالية .

وأخيرا نأتى الأصول المثالية : وهى المثل العليا التى يترسمها الإنسان للنهوض بالقانون فى مدارج الكمال ، ويستلهما من العاطفة لا من التفكير وهذه الحقائق المثالية هى التى تعمل على تطوير القانون لو بقيت الحقائق الطبيعية والتاريخية والعقلية دون تغيير .

هذه عناصر « جوهر » القاعدة القانونية . أو عناصر « العلم » فى هذه القاعدة ، وفقا لما ارتآه جيني ...

وقد ضرب الفقه الكبير مثلا من «الزواج» لبيان دور كل من هذه العناصر فى تكوين نظامه .

فالأصول الواقعية : تكشف عن أن أساس اختلاف الجنس بين الرجل والمرأة .

والأصول التاريخية : تدل على وجوب خضوع الزواج لرقابة سلطة اجتماعية .

والأصول العقلية : تبين أهمية نظام الزواج والمجتمع وبالتالى أهمية ثباته واستقراره .

وأخيرا نأتى الأصول المثالية : لتقتصر الزواج على امرأة واحدة أو تبيح تعدد الزوجات ، ولتجيز الطلاق أو تحرمه .

فإذا اكتمل « العلم » بهذه العناصر ، جاء دور « صياغة » القاعدة القانونية فى جانبيها المادى أو المعنوى [1] . . . ولعل فى هذا التحليل الرائع ، كشف عن الأصول «الديناميكية» التى تتداخل وتتفاعل لتكوين «الفقه» بجانب الأصول الثابتة أو الموجهات المثالية !! .

* * *

من هنا نستطيع أن نتبين كيف تفاعلت الأصول الواقعية والتاريخية مع الأصول المثالية فى إنتاج الأحكام الفقهية التى نقلها إلينا التراث الإسلامى ...

ونحن نحتاج إلى دراسة تراثنا الفقهى دراسة تاريخية نتعرف فيه على تجارب

---

[1] إكمال عبد العزيز : الوجيز فى نظرية القانون ـ للتفصيل يراجع : حسن كيرة : أصول القانون .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسلافنا ، وكيف استفادوا من فلسفة الإسلام الأخلاقية والتشريعية فى معالجة واقع عصرهم ومشكلات بيئتهم ... فدراسة تراث الفقه الإسلامى لابد أن تكون على أساس من النظر التاريخى ، وينبغى أن تقوم على أساسين :

* دراسة تاريخية ذات شقين متكاملين : للمجتمع الإسلامى وتطوره ، والفقه الإسلامى وتطوره ، مع بيان تبادل التأثر والتأثير بين التطور الاجتماعى والتطور الفقهى .

* دراسة فقهية مقارنة : تدرس المذاهب الفقهية ككل ، ولا تعتمد الأساس المذهبى فى الدراسة . فأيا كانت الخلافات الفكرية بين أصول المذاهب الفقهية ، فقد توخت هذه المذاهب لمؤثرات موحدة من واقع البيئة ومن موجهات الإسلام .

ولا بد أن يلحق بهذه الدراسة المقارنة ويتممها دراسة الشرائع المعاصرة للإسلام أو السابقة عليه ، وبخاصة الشريعة اليهودية والقانون الرومانى .

هذا هو الأساس المنهجى فى دراسة تراثنا .

أما بالنسبة لمستقبلنا الفقهى فلا بد من دراسة تقوم على أساسين :

* دراسة واقعية : لمجتمعنا والمجتمعات المعاصرة ، ويعين عليها ما يعرف بعلم الاجتماع القانونى .

* دراسة قانونية مقارنة : للقوانين المتطورة القائمة ـ غير الإسلامية ، ومدى تفاعلها مع واقع البيئات التى تعيش فيها ، وتطورها لتلبية احتياجاتها ومجاراة نموها .

* إن بعض الأوضاع القانونية اليوم يقوم على أساس وجود أوضاع اقتصادية حديثة لم يكن لها نظير فى الماضى الاقتصادى الإسلامى ، وذلك كالشركات القانونية المساهمة المقفلة اليوم Anonymé وعقود التأمين Assurance وما فيها من أحكام هامة نظمتها القوانين ، إلى غير ذلك من الأوضاع الأخرى : وإن المبادئ الحقوقية فى الفقه الإسلامى ذات سعة ومرونة وقابلية عجيبة للاستيعاب والتفريع . فالنصوص الأصلية لهذه الأحكام والمبادئ — فى القرآن والحديث النبوى — يمكن حصرها فى بضع عشرات من الصفحات ، وقد كانت صالحة وكافية لأن يتفرع عنها ويستمد منها خلال العصور الإسلامية الأولى فقه عظيم كالبحر المحيط ، ومذاهب حقوقية اجتهادية ونظريات مهمة فيها ، تكونت منها مكتبة فقهية فى الإسلام بلغت آلاف المجلدات ، وكل حكم فيها مقرون بدليله من تلك النصوص بطريق الشمول أو قياس الحوادث الجديدة على الحوادث التى تناولها النص .

فكل الأوضاع الاقتصادية اليوم يمكن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تخريج أحكام جديدة لها على أسس الفقه الإسلامى ونظرياته كما فعل الفقهاء السابقون وتلك الأحكام الجديدة — بعد تخريجها وبنائها على قواعد الفقه الإسلامى — تلحق به وتصبح جزءاً منه ، وتصبح نظرياته مرجعا للاجتهاد القضائى والتفسير القانونى فيها ، بالطريقة التى تضخم بها الفقه الإسلامى نفسه»[1]

والأوضاع الاقتصادية القائمة التى أشار إليها الباحث الفقية مرتبطة بالتطور الاقتصادى جملة ، وتحوله من اقتصاد ساكن إلى اقتصاد متحرك ، ومن اقتصاد يدور فى فلك محدود دورة بطيئة إلى اقتصاد عالمى يدور دورات سريعة متلاحقة متدافعة متداخلة ... ولا بد من دراسة واقع المجتمع وتطوره للاستهداء بعد ذلك بهدى النصوص الإسلامية الموجهة

(والغاية من دراسة الفقه الإسلامى على هذا النحو أن تنتهى بعد عشرات السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه وتدب فيه عوامل التطور ، ويعود فقها صالحا للتطبيق المباشر مسايراً لروح عصره ، وتكون نهضة الفقه الإسلامى هذه شبيهة بنهضة الفقه الرومانى فى العصور الوسطى . وينبت الفقه الإسلامى قانونا مدنياً متطوراً يجارى المدنية الحديثة وينبثق من الشريعة الإسلامية ، كما انبثقت الشريعة اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الرومانى . وأحب أن أشير إلى أن القانون الحديث الذى يشتق من الفقه الإسلامى يجب أن يكون فى منطقه وفى صياغته وفى أسلوبه فقها إسلامياً خالصاً ، لا مجرد محاكاة للقوانين الغربية . فإننا إذا اقتصرنا على اعتبار أن هذه هى الغاية من تطور الفقه الإسلامى ، لا نكون قد صنعنا شيئا ويكون الأولى لنا أن نقتبس مباشرة من القوانين الغربية دون حاجة إلى دراسة الفقه الإسلامى أقول ذلك لأننى لاحظت أن بعض المشتغلين بهذه المسألة يعتمدون على إيراد نصوص من القوانين العربية ، ثم يحاولون أن يخرجوا هذه النصوص على أحكام الفقه الإسلامى ، دون أن يراعوا فى ذلك أصول الصياغة فى هذا الفقه ، ثم ينتهون من هذا البحث السطحى إلى أن نصوص القوانين العربية هى الشريعة الإسلامية ذاتها !! مثل هذا العمل لا يحمل طابع البحث العلمى الصحيح ، وليس من ورائه كسب يذكر ، لا للفقه الإسلامى ولا للقوانين الغربية »[1] إنه عمل شاق ... ولكنه ضرورى . وعلى الله قصد السبيل ؟

فتحى عثمان

[١] مصطفى الزرقا : بحث فى كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة .

[١] السنهورى : بحث بمجلة الجامعة العربية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ميقات الصوم

للأستاذ توفيق محمد صيام

إذا استعان أحد على تحديد الزمان بالساعة وعلى تعيين المكان بالبوصلة فإن ميقات الصوم هذا القانون الجديد يشبه أن يكون أداة يستعان بها فى تحديد الزمان والمكان معا لمعرفة مقدار ساعات الصوم لكل يوم فى أى مكان ... لقد ألمح الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بقوله (إن الزمان قد استدار) مشيرا إلى ذلك النظام الفلكى البديع فمثلا كان رمضان من مدة ١٦ سنة فى وسط الصيف وهو ذا موشك أن يكون وسط الشتاء وبعد مدة مساوية سيعود إلى أواسط الصيف بعد كمال الدورة فى ٣٢ سنة تقريبا ضروره أن العام القمرى يتقدم فى كل سنة عشرة أيام عن العام الشمسى .

ومن نتائج هذا النظام الفلكى حصلنا على هذه القوانين ا ، ب ، حـ ، (ميقات الصوم وهو مطلبنا فى هذا البحث) .

قانون (ا) يتحد وقت الظهر (الزوال) فى جميع البلاد التى تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط مثلا بينما يتوالى فى البلاد التى تقع على خط عرض واحد كالسويس والقاهرة وواحة سيوة مثلا بواقع أربع دقائق لكل درجة فالأرض فى دورانها حول محورها من الغرب إلى الشرق أمام الشمس تقطع زمنا $= \frac{٢٤ \times ٦٠}{٣٦٠} = ٤$ دقائق لكل درجة وبعكس ذلك يكون قانون (ب) الآتى :

قانون (ب) يتساوى طول النهار فى جميع البلاد التى تقع على خط عرض واحد . كالسويس والقاهرة وواحة سيوة بينما يختلف فى البلاد التى تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط ومن أجل هذا تزيد الساعات (ساعات الصوم) أو تنقص باختلاف البلاد التى تقع فى خط طول واحد حسب القانون الآتى :

قانون (حـ) ميقات الصوم ، (يطول النهار صيفا كلما اتجهنا شمالا فى النصف الشمالى لخط الاستواء بينما يقصر كلما إتجهنا جنوبا ، وبالعكس من ذلك يقصر النهار شتاء كلما اتجهنا شمالا فى النصف الشمالى أيضا بينما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يطول كلما اتجهنا جنوبا وبالضد من ذلك يقال فى النصف الجنوبى لخط الاستواء .

فمثلا حينما كنا فى رمضان بدمياط فى وسط الصيف وجدت المغرب يؤذن بالقاهرة فى حين بقى على غروب الشمس عندنا حوالى ثمان دقائق، وبما أن النهار يطول من طرفيه فإن الفجر حينذاك يكون قبل فجر القاهرة أيضاً : وجدت مشكلة حينذاك لم تحسمها جملة الإذاعة (وعلى المقيمين خارج القاهرة أن يراعوا فروق التوقيت) وتأدية لأمانة العلم وحسما لتلك المشكلة التى ستتجدد كلما عاد رمضان إلى وسط الشتاء أو وسط الصيف فكان واجبى أن أبين ذلك القانون وأكشف عن مراجعه فتتبعت كتبنا القديمة لتحقيق هذا القانون فوجدت شبيها له فى تفسير الفخر الرازى لقوله تعالى : « اختلاف الليل والنهار » ص ٦٤ ج ٢ قال : ذكروا للاختلاف تفسيرين أحدهما إفتعال من قولهم خلفه يخلفه إذا ذهب الأول وجاء الثانى فاختلاف الليل والنار تعاقبهما فى الذهاب والمجىء وبهذا فسر قوله تعالى : « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة » ، الثانى أراد اختلافهما فى الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان :

وهندى فيه وجـــه ثالث وهو أن الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر فى الأزمنة فهما يختلفان بالأمكنة فإن عند من يقول الأرض كرة فكل ساعة عينها فتلك الساعة فى موضع من الأرض صبح وفى موضع آخر ظهر وفى ثالث عصر وفى رابع مغرب وفى خامس عشاء وهلم جرا . هذا إذا اعتبرنا البلاد المخالفة فى الأطوال (أما البلاد المختلفة بالعرض فكل بلد يكون عرضه الشمالى أكثر تكون أيامه الصيفية أطول وليـاليه أقصر وأيامه الشتوية بالضد من ذلك ، فهذه الأحوال المختلفة فى الأيام والليالى حسب اختلاف أطوال البلدان وعروضها أمر عجيب) ا . هـ . وكذلك وجدت هذه النظرية فى كتاب شرح المواقف للشريف الجرجانى ص ١٥٠ ج ٧ فى قسم العناصر قال :

(فالشمس فى أى جانب كانت من جانبى الشمال والجنوب كان نهارهم أى نهار الذين فى ذلك الجانب الذى فيه الشمس أطول من ليلهم وفى الجانب الآخر يكون الأمر بالعكس فإذا كانت فى جانب الشمال كان ليل الجنوبيين أطول وإذا كانت فى الجنوب كان ليل الشماليين أطول) . ا . هـ .

كما وجدت هذا القانون برسائل إخوان الصفا وتذكرة الأنطاكى وابن خلدون قال فى مادة جغرافيا صـ ٢٢ ثم إن أزمنة الليل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والنهار تتفاوت فى هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالى عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهى طول الليل والنهار فى آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدى لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما إلى ثلاث عشرة ساعة كذلك فى آخر الإقليم الثانى فيما يلى الشمال فينتهى طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفى إلى ثلاث عشرة ونصف ساعة ويبقى بالأقصر من الليل والنهار ما تبقى بعد الثلاث عشرة والنصف من جملة أربع وعشرين ، الساعات الزمنية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك فى آخر الإقليم الثالث مما يلى الشمال أيضا ينتهيان إلى ١٤ ساعة وفى آخر الرابع إلى ١٤ ونصف ساعة وفى آخر الخامس إلى ١٥ ساعة وفى آخر السادس إلى ١٥ ونصف ساعة وفى آخر السابع إلى ١٦ ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الأقاليم فى الأطول من ليلها ونهارها بنصف ساعة لكل إقليم يتزايد من أوله فى ناحية الجنوب إلى آخره فى ناحية الشمال موزعة على هذا النحو) . ا . هـ .

توفيق محمد صيام

إمام مسجد جمال الدين شيحه

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من صحيفة بشر فى تعليم الخطابة

خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا وأشرف حسبا ، وأحسن فى الأسماع ، وأحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ومعنى بديع .

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه .

وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ (أراد) معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حياة الأنبياء بعد الموت

للأستاذ عباس طه

الأنبياء أحياء فى قبورهم بلا مرية ، وهم أولى بذلك من الشهداء الذين ورد فيهم النص القرآنى فى قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » . بل الحياة ثابتة لجميع من فارق الدنيا ولو كفارا ، كما يدل عليه حديث أهل القليب الذى فى البخارى ، وجاء فى الصحيح أيضا أن الميت بعد دفنه يسمع قرع نعال المشيعين ، وأن الروح تنادى حامل الجنازة وأنه يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ، ولو سمعه لصعق . وقد رأى صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج موسى عليه السلام يصلى فى قبره ، كما رآه فى السماء السادسة وقد راجعه مراراً فى أمر الصلاة ، وقد وضع البيهقى رسالة فى حياة الأنبياء ، والسيوطى أيضا رسالة تسمى (إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء) . أما قوله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » فمعناه أن روحك ستفارق بدنك وتدخل فى عالم آخر ، فلا تشتغل بتدبير الجسم ، ولا تسرى عليها أحكام هذا العالم ونواميسه ، وإلا فقد ثبتت حياة الأموات كلهم فضلا عن الأنبياء كما أسلفنا ، وإن كان التفاوت بين درجات الحياة بحيث لا يعلمه إلا الله ، وها نحن أولاء نشاهد فى هذا العالم من مراتب الحياة المتفاوتة بين أنواع الحيوانات وأصنافها إلى أن تصل إلى أعلاها ما يجعل الأمر فى غاية الجلاء والوضوح .

وإلى القارئ شطراً من أدلة حياة الأنبياء وكلام العلماء فى ذلك .

أما الكتاب فقد وردت فيه الآيات المتعددة الدالة على حياة الشهداء ، وقد انعقد الإجماع على أن الأنبياء أرفع درجة من الشهداء قال ابن حزم فى المحلى بعد ذكره الآيات الواردة فى حياة الشهداء ما نصه : (ولا خلاف بين المسلمين فى أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم ومن خالف فى هذا فليس مسلماً) اهـ .

وأما السنة ففيها شىء كثير من الأدلة على حياتهم ، من ذلك حديث (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون) رواه أبو يعلى والبيهقى من طرق متعددة من حديث أنس بن مالك ، قال المناوى فى شرح الجامع الصغير : (رجاله ثقات صححه البيهقى) اهـ . ومثل ذلك الحافظ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السخاوى فى القول البديع ، ثم له طرق أخرى أخرجها البيهقى فى حياة الأنبياء ، وبها يصير من الصحيح المتفق عليه ، ومنها حديث الإسراء ، فقد ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى موسى قائما يصلى فى قبره ، وأنه اجتمع بالأنبياء وصلى بهم .

وقد نص كثير من الأئمة والحفاظ ، كالقرطبي فى التذكرة ، وابن القيم فى كتاب الروح ، والحافظ السيوطى فى غير ما كتاب من كتبه ، على أن أحاديث حياة الأنبياء فى قبورهم متواترة ، قال السيوطى فى مرقاة الصعود : (تواترت بها الأخبار) . وقال فى إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء ما نصه : (حياة النبي صلى الله عليه وسلم فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا ، لما قام عندنا من الأدلة فى ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك) اهـ .

وقال ابن القيم فى كتاب الروح نقلا عن أبى عبد الله القرطبي (صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء ، خصوصا بموسى ، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد عليه السلام ، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لا نراهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم) اهـ .

وقد نقل كلام القرطبي هذا أيضا ، وأقره الشيخ محمد السفارينى الحنبلى فى شرحه لعقيدة أهل السنة ، ونص عبارته : قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمر : إن الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد موتهم ومقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا ، وإذا كان هذا فى الشهداء ، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى ، مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء خصوصا بموسى عليه وعليهم السلام ، وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم) اهـ .

ويحقق ما ذكره هؤلاء الأئمة من تواتر الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء أن حديث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وسلم ، واستغفاره لأمته ، وسلامه على من يسلم عليه ، ورد من عشرين طريقا ، وحديث الإسراء ورد من طريق خمسة وأربعين صحابيا وقد نص الحاكم والحافظ السيوطى على أن حديث الإسراء متواتر ، قال بعضهم : لاشك أنه يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم حى على الدوام ، وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه فى ليل أو نهار .

أما حديث « حياتى خير لكم » فهو صحيح محتج به فى هذا المقام وفى غيره بلا مرية .

وما قاله المحدثون فيه نقول : هذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات من حديث بكر ابن عبد الله المزنى مرسلا بسند صحيح كما نص عليه واحد من الحفاظ ، وقال بعضهم : إنه حسن نظراً لإرساله ، وقد نازع بعضهم فى الاحتجاج به من حيث إرساله لا من حيث سنده ، ولكن فاته أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلا أو موصولا ولو ضعيفاً ، صار حجة عند جميع الطوائف من أهل الأصول والفقه والحديث ، كما نص عليه ابن الصلاح فى علوم الحديث ، والنووى فى التقريب وفى مقدمة شرح مسلم وغيرهما من كتبه ، وكذا الحافظ بن حجر فى النخبة ، والعراقى فى الألفية ، والسخاوى وشيخ الإسلام زكريا فى شرحهما عليه ، والسيوطى فى ألفيته وفى شرحه لتقريب النووى .

(إذا تقرر هذا عرف أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلا أو مسندا صحيحاً أو ضعيفاً كما صرحوا به ، كان حجة قطعاً ، بل اشترط جمع من أهل الحديث والأصول كونه ضعيفاً لتقوم الحجة بالمجموع (المرسل والمسند) وإلا كان المسند الصحيح كافيا فى الاحتجاج .

وهذا الحديث ورد من طريقين آخرين موصولين ، أحدهما إسناده جيد والآخر ضعيف ، فالأول من حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البزار ونص الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية على أن إسناده جيد ، والشهاب الخفاجى فى شرح الشفا على أن إسناده صحيح ، كما جاء فى نص ملا على قارى فى شرح الشفا على أن إسناده صحيح .

والطريق الثانى للحديث المذكور عن أنس ابن مالك ، كما عزاه له السخاوى فى القول البديع ، والسيوطى فى الجامع الصغير ، إلا أنه أورده مختصرا وقال المناوى : إن إسناده ضعيف . فلو لم يرد إلا حديث أنس الضعيف لكان مرسل بكر بن عبد الله المزنى حجة على رأى الجميع بانضمام حديث أنس إليه ، فكيف وقد انضم حديث ابن مسعود الصحيح إليهما ؟ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بل نقول : عندنا فى الحديث ما هو أكبر من ذلك كله ، وهو أن الحديث متواتر تواترا معنويا لورود معناه من حديث جماعة من الصحابة يبلغ عددهم حد التواتر ، وهم عبد الله بن مسعود ، ولحديثه طرق تزيد على الخمسة ، وأنس بن مالك ، ولحديثه طرق تزيد على الستة ، وأبو هريرة ولحديثه طرق تزيد على العشرة ، وعمار بن ياسر ، وأبو أمامة ، وعلى بن أبى طالب ، وابنه الحسن ، وابن عباس ، وأبو بكر الصديق ، وأوس ابن أوس الثقفى ، وأبو الدرداء ، وأبو مسعود البدرى الأنصارى ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله بن عمر .

وروى مرسلا عن جماعة من التابعين منهم بكر بن عبد الله المزنى ، والحسن البصرى ، وخالد بن معدان ، وابن شهاب الزهرى ، ويزيد الرقاشى ، وأيوب السختيانى ، وفى الباب غير المذكورين من الصحابة والتابعين ، وهذا القدر كاف فى إثبات التواتر وخصوصاً على رأى من يثبته بسبعة أو عشرة ، وهو الذى رجحه الحافظ السيوطى فى ألفيته حيث قال :

وما رواه عدد جم يجب
إحالة اجتماعهم على الكذب
فمتواتر وقوم حددوا
بعشرة وهو لدى أجود

ومشى عليه فى كتاب (الفوائد المتكاثرة) ومختصره (الأزهار المتناثرة) فحكم بتواتر أحاديث لا تزيد طرقها على العشرة ، وهناك من يكتفى فى التواتر بأقل من ذلك كما هو مبين بكتب الأصول وغيرها ، وقد ذكرنا ما يزيد على العشرين وقد حكم جماعة من الأقدمين بالتواتر فى الخمسة والأربعة ، ومنهم ابن حزم فى (المحلى) و (الأحكام) ، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ، والقاضى أبو الطيب الطبرى وغيرهم . أما حديثنا فمتواتر على جميع الاصطلاحات ، لوجود ما يزيد على العشرين فى كل طبقة من طبقات رواته وتواتر هـذا الحديث فى معناه لا فى لفظه .

ثم يأتى بعد ذلك أنه تقرر فى كتب الفقه والأصول وكتب الكلام أن منكر المتواتر بعد قيام الحجة عليه كافر بالله بارئ السموات ومدبر الكائنات .؟

عباسى هـ

من المجاز فى القرآن الكريم :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . والشهر لا يغيب عنه وعليه فالمجاز فى الآية معناه : فمن كان منكم شاهدا بلده فى الشهر فليصمه . أى فمن كان شاهدا فى شهر رمضان فليصمه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

الجهاد في الدين الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

بعد متابعة الكتب التي تؤلف عن الإسلام في الغرب خلصت لي وسيلة من وسائل الاختبار السريع للنية الحسنة والفهم الحسن عند مؤلفيها ؛ وهي النظرة العاجلة إلى مجمل آرائهم حول مسألة الجهاد في الدين الإسلامي ، فإنها هي المسألة التي شاعت على السماع بين غير المسلمين ففهموا منها أن شريعة السيف وشريعة الإسلام شيء واحد ، وقد يكون لهم بعض العذر إذا نظرنا إلى أناس من المسلمين كادوا يحسبون أن انتشار الإسلام بالسيف حقيقة تاريخية مفروغ منها ، وقد أشرنا في مقدمة كتابنا عن « عبقرية محمد » إلى واحد من هؤلاء كان يتحدث عن بطولة النبي عليه السلام فإذا هو لا يفهم منها إلا أنها بطولة سيف وقتال ، وأن النظرة العابرة إلى البلاد الإسلامية لتكفي لتقرير وقائع التاريخ في هذه المسألة ، وخلاصتها : أن أكثر البلاد عدد مسلمين هي أقل البلاد غزوات إسلامية ، وأن المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الدعوة إلا مدافعين أو دافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان ، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم ... وقبل غزو فارس بزمن طويل كان كسرى يبعث بعوثه في طلب صاحب الدعوة الإسلامية حياً أو ميتاً ، لأنه خاطبه داعياً إلى الإسلام .

ولا يمتنع حسن النية في الكتابة عن الإسلام بين الغربيين ، وبخاصة بين الذين يثورون منهم على رؤسائهم الدينيين ويجتهدون في تصغيرهم إلى جانب غيرهم من أتباع الديانات الأخرى ، فمن هؤلاء من يجتهد في تكبير شأن الإسلام كما يجتهد في تصغير خصومه ، ولكنهم يحتاجون - مع حسن النية - إلى حسن الفهم والنفاذ إلى حقائق التاريخ لتصحيح الأقاويل التي شاعت على السماع عن فريضة الجهاد في الإسلام ، فإن الذين لم يحسنوا فهم هذه الحقائق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يحسبون ـ مخلصين ـ أن الإسلام يوجب القتال الدائم على المسلم كما يوجب الصلاة والصيام وسائر الشعائر المفروضة ، ويعدون هذه الفريضة بدعة بين الفرائض الدينية أو بين الفرائض الإنسانية التي قررتها دساتير الأخلاق في أمور العقائد على الإجمال ، وحقيقة الأمر أن الأساس الاخلاقي الذي قامت عليه فريضة الجهاد فضلا عن الأساس الديني ـ يستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم .

فماذا تقول شريعة الأخلاق في الواجب على الإنسان نحو وطنه أو نحو عرضه ؟ إن الإسلام لا يقول شيئا غير الذي يقوله هداة الوطنية والشرف حين ينكرون على المرء أن ينكص عن الجهاد في سبيل وطنه وكرامته وعرضه ، ويعيبون عليه أن سالم من يقاتلونه في سبيل حريته وحرية بلاده وليس بالدين الصالح للإيمان به دين ينزل بحرية الضمير عن مرتبة الحرية في الموطن والمعاش

من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الإيقوسي الذي يسميه نقاد الغرب بني الكتاب ... فهو بنفسه يزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والعثاثة ، ولا يرتضي أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ ، فإنه أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح ، وهو أظهر بطلانا من أن يبطل بالمراجعة والمناقشة ، لأن القائل به سواء ، ومن يقول أن رجلا واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه ـ وحده ـ ويسوقهم كرها إلى اعتقاد ما ينكرون ، فيعتقدونه ويثبتون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين!

وأول كتاب حديث قرأنا فيه تفسيراً « سلمياً » لأخلاق المسلمين التي يستوحونها من دينهم هو هذا الكتاب الذي اخترناه ليكون موضوع مقال اليوم عما يقال في الإسلام ، وعنوانه « دولة الباكستان » لمؤلفه (البروفسور شبروك وليامز) صاحب الدراسات الواسعة في شئون الشرق الأوسط وشئون الهند والباكستان . فقد سبقه كثيرون من كتاب اللغة الانجليزية وكتاب اللغات الأوربية الأخرى إلى تعليل حركات المسلمين في الهند مع لدولة البريطانية ومع طوائف الوطنيين هناك من غير المسلمين ، فكانت خلاصة تعليلاتهم لتلك الحركات جميعاً أنها وليدة التعصب الديني أو وليدة الروح العدوانية التي انفردوا بها بين أبناء وطنهم ، ولكن مؤلف هذا الكتاب : (Rushbrook Williams) يعلل هذه الحركات للمرة الأولى بين أبناء لغته وعقيدته بأنها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليدة البحث : « لا عن وطن يستطيع فيه المسلم أن ينطق من قيود المستغلين وحسب بل هي وليدة السعي إلى اقامه بلا تسود فيها آداب الإسلام ، وتمنع فيها ظلم الأغنياء للفقراء . ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعي التي يتعلمونها من سماحه الشريعة ».

ويقول عن « تقاليد » الإسلام : « إن هذه التقاليد تشمل مبادئ المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله وتقرر أواصر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجرون عليه وإغاثة الموعوزين والمحرومين وبذل الحياة نفسها في سبيل الصراط المستقيم . . . ومعاملتهم - من ثم - للبلاد الأخرى لا تجعلهم حريصين على الغلو في إثبات وجودهم والتصلب في إملاء تقاليدهم الحرفيـــه أو الوقوف موقف الإحجام والاعتذار » .

ووصف ما يشعر به جمهور المسلمين من أبناء الهند أو يفهمونه بداهة من معنى الدولة فقال أن التفصيلات السياســـية لم تشغل أذهانهم : « ولكنهم تطلعوا إلى سياسة تسود فيها آداب العقيدة الإسلامية وتقوم على العدل الاجتماعي والحكم السمح الرفيق وتستجيب لحاجات الشعب وضروراته ، وتحمي الفقير من قسوة المستغلين وتتكفل بإقرار قواعد الحكم كما تعين على التقدم الاقتصادي ... وإن يكن من الحق أن شعور الجماهير من هذه الوجهة غلبت عليه البواعث الدينية من الناحية الاجتماعية أوفر من ناحيتها المذهبية ... » .

وأطال المؤلف الكلام على النظريات السياسية الإسلامية التي تقابل ما يسمى « بالايديولوجي » في اصطلاح المذاهب الاجتماعية أو السياسية فقال ما فحواه إن تلك النظريات لا تعارض نظاما من الأنظمة الدستورية في الأمم الديمقراطية على اختلاف هذه الأنظمة في أساليب الإدارة وتوزيع السلطة على طريقة الجمهوريات الرئاسية أو النيابية ، وأن الحاكم لا يملك أن يستأثر بالسلطة على أي وجه من الوجوه مستندا إلى نصوص القرآن .

وقد يعتبر كلام المؤلف عن علاقة الدين بالوطن أبلغ رد على الذين جعلوا الإسلام « مسئولا » عن اعتبار المشاركة في العقيدة سببا من أسباب إقامة الدول ، لأنه لم يفس في بحوثه المختلفة أن دعوى إسرائيل لم تقم على أساس غير أساس المشاركة في العقيدة ، وهي - على هذا - موضع العطف والتأييد ممن يعلنون شريعة الديمقراطية ويحسبون رعاية المسلمين لاعتبارات الدين « تعصباً » مقصورا على المسلمين ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مختارات من الشعر القديم والحديث

مشاعر إقبال نحو العرب
فى وحدتهم ، وحريتهم

للأستاذين : الصاوى على شعلان ، وعبد البارى أبجم

يا أمة العرب : التى أشرقت على الدنيا بحواضرها المنيفة ، وصحرائها الخالدة !

من الذين أيقظوا وعى البشرية ؟ ! بنداء : لا كسرى ولا قيصر ! ، وردوا الخليقة إلى سلطان خالقها الأكبر ، ومن الذين أبلغوا رسالة القرآن ؟ ! الأول مرة فى قريب المسكونة وبعيدها ! . وفى المتقدم من الشعوب والمتخلف منها ! .

من الذين رفعوا مصباح التوحيد على مشارف الحياة ؟ ! ودوت أصواتهم فى الكون بلا إله إلا الله !

يا أمة العرب : ألم تجد الأجيال غذاء الحكمة على خوانكم ؟ ! ألم تنزل آيات الوحدة والإخاء فى شأنكم ؟ ! أليست هى أنسام الحياة الخصبة من نبيكم ؟ ! . قد أنبتت شقائق العرفان ! على رمال صحرائكم ، إى والله لقد ربيت الحرية وليدة فى مهد رسالته ، فما يومها الحاضر إلا ظل من أمسه ، وشعاع من شمسه ! .

لقد أتاح الستار عن صورة آدم ، وكشف النقاب عن فطرته الكامنة ، وأنشأ فى كيانه القلب النابض الخفاق ! . كل معبود زائف تحطم وتوارى أمام نور هداه ، وكل غصن يابس اكتسى حلل النوار من فيض نداه ! .

يا لثورة العروبة التى تدفق من حرارتها جهاد بدر وحنين ! .

ومن ميدان بطولتها ظهر الصديق ، والفاروق ، وعلى ، والحسين ! .

لقد ارتفع تكبير الصلاة والآذان ؛ ليكون تكبيراً يمتد إلى صفوف الميدان ! . ووجدت العروبة مفاتيح كنوز الدارين ! حين قدمت إلى صلاح الدين سيف الواد ، وإلى يزيد البسطامى تقوى العباد ، وحين تبادل القلب والعقل نشوة المنى ؛ من كأس واحدة ؛ كان مزاجها علم الرازى وروحانية جلال الدين الرومى ! ...

إنها مزايا الشرع المبين ، والعلم المكين ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونظام العمران ، وحكمة الدين ! أنشأت في لفائف الصدور قلوباً تتخطى حدود الإمكان ، ولا تقف في مراحل المجد عند مكان !. وكم كان لتوجيهات العروبة وأصدائها من آثار تطل على الدنيا بمفاتنها ! وفي تاج جمل ، وقصر الحمراء ! من آجرى إلى الأندلس !.

إنها آثار تعجز عن محوها يد الفناء ، وتفرض على من يراها ضريبة الثناء ! . في مظاهرها جلوه السحر للعيون ، وعن إدراك خفاياها يكبو العارفون ! .

الحمد إلى غير حد . وسلامنا الموصول إلى النبي الأواب ! الذي حقق معجزة الإيمان في قبضة من تراب ! . إنه الإيمان الذي يمنح المؤمن مضاء السيف البتار ، ويخلق من حداة إبل الصحراء ، فرسان خيل الأقدار ! .

واها لهذا الطموح القاهر ! كيف تحطم ، وواحربا من هذا اليأس كيف تحكم ؟ ! . تقدمت الشعوب بأعمالها في مراحل الزمن كيف تناسيتم كنوز صحرائكم ، وكنتم أمة واحدة ، فكيف أصبحتم أمما وشعوبا .

إن كل من تحلل من قيد ذاتيته لم يطب له في العيش بقاء ، ومن أسلم زمامه للدخيل قضى على نفسه بالفناء .

أيها العربي . كيف طواك سحر المستعمر؟ بسرابه الخادع ! وكيف نسيت أن عقارب الفتنة مطوية في ثوبه اللامع ! ، إنك ما لم تذد إبله عن حوضك ، وشبحه عن أرضك لن تجد إلى الخلاص من مكره سبيلا إن دهاه ألق بالشعوب في طوفان الفتن ، وقسم وحدة الوطن العربي إلى مائة وطن ! .

إذ كانت قوة الجماعة منبثقة من الدين فالدين عزم وإخلاص ويقين ، تجاوز أيها العربي مقام الحاضرة والبادية ، وارتفع بطموحك إلى العلا ، واعقد مضارب خيامك في المستوى الجدير بمقامك ، وجه ناقتك إلى معركة الفداء بعزيمة أقوى دفعاً من رياح الصحراء ، إن العصر الحاضر من موالد أيامك ، وإن نشوته من عصارة أحلامك كنت فيما مضى شارح أسراره ، ولم يكن غيرك مخططا لمعماره ، حتى إذا تبناه الغرب ! أسفر عن وجه معشوق خليع ، قد عرى من حلية الكرامة ، وناموس الحياء ، وحين بدا في طلاء الحسن للناظرين ، كان عربيدا منحرفا وعلى غير دين ! .

يا رجل الصحراء : قوم المعوج بمالك من عزم وإقدام ! وإلى هدفك الأسمى وجه مسير الأيام وفي هذه المعاني نقول شعرا :

* * *

شعب العروبة والمجد المؤثل في
بدو وفي حضر حتى ضحى المحشر !!

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الذى حرر الدنيا لخالقها
وأسمع الخلق لا كسرى ولا قيصر؟!

* * *

من قبلكم أبلغ الآيات ناطقة
بوحى من خلق الدنيا وسواها؟!
من غيركم رفع المصباح مؤتلقاً
ووحدة الخلق لما وحد الله؟!!

* * *

لم يطعم الناس إلا من موائدكم
علماً شهياً وتهذيبا وعرفانا!!
فى شأنكم أنزل الله الكتاب فأصبحـ
ـتم بنعمته فى الخير إخوانا!!

* * *

من حول البيد روضاً والحصا درراً
وأنبت الورد فى الصحراء للعرب؟!
استغفر الله ما غير النبى بها
أغنت شمائله فيها عن السحب!!

* * *

فكل رب قديم فى الوجود هوى
بعزمه ساجـــداً لله إكباراً
وكل غصن هشيم من نداه هدا
يجدد الحسن أوراقا ونواراً

* * *

واهاً لها جذبات طالما حفزت
منا الخطا وأثارت للعلا هما!!
قد أبدلتنا الليالى من بواعثها
يأساً مريراً ومن أنوارها ظلما!!

* * *

كل الشعوب أعدت من مواردها
حصن الرخاء وسارت للنى قدما!!
وملء صحرائكم لو تعلمون غنى
وثروة وكنوز تغدق النعما!!

* * *

كيف انقضى حفلكم وانفض سامركم
وكان بالأمس مثل العقد منتظما؟!
توحدت من قديم الدهر أمتكم
ما بالها انقسمت فى أرضها أمماً؟!

* * *

قد خادعتكم من المستعمرين يد
وسم العقارب فى أكمامها استترا!!
كم أهدروا من شعوب آدميتها
كم أيقظوا فتناً كم أفسدوا فطراً؟!

* * *

توارث العرب الأحرار وحدتهم
مدى عصور وأجيال وأزمان!!
حتى إذا جاء الاستعمار قسمها
إلى شعوب وأقسام وأوطان!!

* * *

اضرب خيامك فى دنيا وجودك لا
تقف بها عند رسم الدار والدمن!!
وادفع بناقتك الميدان أسبق من
ريح الصحارى وأنقذ وحدة الوطن!!

* * *

يا أيها العربى انظر لعصرك فى
دنيا يفوز بها من أحكم النظرا!!
بالعزم . بالعدل . تبنى ما تؤمله
إن شئت للكون تعميراً فكن عمرا!!

الصاوى على شعلان ، عبد البارى أنجم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف : للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

١ — عبد الملك بن مروان :

للدكتور ضياء الدين الريس

هذا الكتاب هو العدد العاشر من سلسلة أعلام العرب ، التى تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، وتقوم بنشرها مكتبة مصر بالفجالة ، والمؤلف أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

الدكتور الريس فى أكثر من ثلثمائة صفحة ترجم لعبد الملك بن مروان ـ موحد الدولة العربية ـ فى عشرة فصول : الخليفة والدولة ، دولة آل مروان ، عبد الملك وأسرته مرتين ، ثورة الشيعة بالعراق ، صراع بين القوى ، نحو توحيد الدولة ، عام الجماعة وإتمام الوحدة ، فتوحات وإصلاحات ، ثم شخصية عبد الملك وسياسته وخلفاؤه .

يتحدث الدكتور فى الفصل السادس عن الصراع بين القوى فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، أما هذه القوى ، فالحرب بين الشام ممثلة فى الخلافة ، وبين الحجاز ممثلة فى قوة عبد الله بن الزبير المناهض لخلافة بنى أمية ، والحرب بين الشام أيضاً وبين العراق ممثلة فى الشيعة تارة ، وفى أشياع عبد الله بن الزبير تارة ثانية ، وفى الخوارج تارة ثالثة .

ويتحدث فى الفصل السابع والثامن عن توحيد الدولة العربية ، وكيف رسم الخليفة خطة مزدوجة : سياسية وحربية ، حتى استولى على العراق ثم على الحجاز ، واستطاع أن يوحد الدولة العربية تحت راية الإسلام ، وكان عام ٧٤ هـ هو عام الجماعة وإتمام الوحدة العربية الإسلامية ، أما أهم العوامل التى ساعدت على انتصار الخليفة ، فهو شخصيته التى كانت متمتعة بالصفات المتميزة التى تؤهله للزعامة .

ويختم الدكتور هذه الترجمة الطيبة فى الفصل العاشر بإلقاء أضواء على شخصية الخليفة ، فى إطار تحليلى دقيق ، ويقيم شخصيته الفذة على دعامتين : قوة الإرادة والشجاعة ، ويضيف إليها صفة ثالثة هى الحزم ، ويعتبر أن صفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القوة بعد ذلك هي الطابع العام لشخصية عبد الملك بن مروان ...

لا شك أن الدراسة التي قدمها الدكتور الريس في ترجمته لعبد الملك بن مروان ، دراسة تاريخية ممتعة ـ اعتمد فيها على أقرب المصادر التاريخية إلى الثقة ـ وإن كانت هناك ملاحظات فإنما على تقديره وتكييفه هو للأمور والأحداث ، فهو يرى : أن الدولة الأموية كثيراً ما صورت على غير حقيقتها ، أو كتب تاريخها على غير ما يرضى الحقيقة والعدل ، وطالما حمل عليها وأسيء تقدير رجالها ، وذلك لأنها قامت نتيجة صراع ، فكان لها منذ نشأتها أعداء كثيرون ، وبقي العداء لها مستحكما إلى اليوم ، ويكفي أن يقرر الدكتور أن الدولة الأموية قامت نتيجة صراع ، وليس على أساس من رضا المسلمين وإجماعهم ومشورتهم ، ولم يكن لقيامها مظهر التقدير من جانب الأمة الإسلامية ، وقد أقامها السيف والمال والدهاء السياسي ، ثم إن مؤسسها (معاوية) حين كان أول من ابتدع ولاية العهد لابن الخليفة من بعده ، كان أيضاً أول من خرج على إطار الإسلامي ، في إلزام المسلمين حكما عصبياً قبلياً ، وإلى هذا وذاك يمكن أن يرد العداء المستحكم لها إلى اليوم ، أما الخلافة التي أتت منقادة إلى عبد الملك ابن مروان ، فلم يكن هناك فضل لأحد سوى الوضع التقليدي في إسناد الخلافة إلى ولي العهد . ترافقها طلائع الشعراء وأصحاب الحاجات ، والمنفعيون ، وكبار رجال الدولة الرسميون .

ويذكر الدكتور الريس قصة موقعة الحرة ومؤداها أن بني مروان حين اضطروا إلى هجرة المدينة ـ والحرب قائمة بين قوة عبد الله بن الزبير وقوة الأمويين بالشام (أخذت عليهم العهود والمواثيق : أن لا يظاهروا عليهم عدواً ولا يدلوه على عورة وكان أن لقيهم مسلم بن عقبة بجيش أموي لمهاجمة المدينة ، وذلك بوادي القرى ، فدعا بعمرو بن عثمان : فقال له خبرني ما وراءك وأشر علي ، فقال : لا أستطيع ! وقد أخذ علينا العهود والمواثيق ، أن لا ندل على عورة ولا نظاهر عدواً) وجاء دور (عبد الملك) فرسم له خطة الهجوم ، وكان أن نجحت الخطة ويرى الدكتور إن صحت القصة ـ أنها تشهد له بما كان يتمتع به من مواهب الذكاء وسداد الرأي والخبرة حتى بالحرب ، وهذا المسلك لا يمكن لمؤرخ دقيق أن يدافع عنه ، فضلا عن أن يكون في نظره مثار فخر ومظهر تقدير لصاحبه أما شعر الشعراء بعد ذلك فلا أظن أن له مكانا في الدراسات التاريخية إلا من قبيل الحفاظ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على التراث الشعرى ، وليس سنداً صالحاً يعتمد عليه فى إبراز قيم الأشخاص الذين دخلوا التاريخ بحق وبغير حق .

هذه ملاحظات عابرة ، لا تقلل كثيراً من أهمية الدراسة التى قدمها لنا الدكتور الريس والتى قدم لنا فيها تحليلا للأحداث التاريخية التى لم تزل موضع نقاش اليوم .

٢ — على مبارك :

للأستاذين : عبد الله المشد ومحمود الشرقاوى

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة الأنجلو بالقاهرة ، نال جائزة مجمع اللغة العربية للدراسات الأدبية ، وقد تناول فى دراسته حياة ودعوة وآثار عالم مصرى دخل التاريخ من أوسع أبوابه ، حتى أصبح جزءا من تاريخنا فى فترة من الفترات ، كان الحكم فيها حكم سلطة وقوة لشعب مسالم مغلوب على أمره .

والدراسة التاريخية التى قدمها لنا المؤلفان الجليلان : الأستاذ الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر السابق وفضيلة الشيخ المشد مدير الوعظ العام بالأزهر ، فى أربعة فصول تناولت فى الفصل الأول « على مبارك » منذ أن ولد فى قرية « برمبال » إحدى قرى محافظة الدقهلية عام ١٨٢٣ إلى أن لقى ربه عام ١٨٩٣ م ، بعد أن ألقت أضواء ساطعة على نشأته وكفاحه ، وفى الفصل الثانى تناولت الدراسة : صفاته وأخلاقه ومؤلفاته وقيمه ومبادئه ، وعلمه ومعرفته وفى الفصل الثالث ، تناولت دعوته وآراءه وموقفه من الحضارة الأوربية ، وتحرير المرأة ، ودوره فى التربية النظرية والتربية العملية .

أما الفصل الرابع فقد عرض الثورة العربية ، ومكانه فى مذكرات عرابى ، وكتاب مستر « بلنت » . « التاريخ السرى لاحتلال الإنجليز مصر » .

أعجبنى فى هذه الدراسة إبرازها لتقيم عظمة فى شخصية : على مبارك لا سيما الشجاعة الأدبية والمادية ، والشجاعة قيمة قد تتوافر فى أى شخص ، ولكن الملابسات والظروف قد تحول دون توافرها ، فى كثير من الأحيان فعلى مبارك يسجل فى عهدى إسماعيل وتوفيق فى كتابة « نخبة الفكر » أن السائس الأعظم لا بد أن يكون عالما شرعيا وكذلك نوابه وعماله ، وأن بلاد المسلمين بلغت ذروة مجدها وغاية سعادتها وعزها عندما كان السلاطين والعلماء كلاهما من أهل المعرفة . ثم رجعت بلاد المسلمين القهقرى عندما تغلب على الحكم فيها أهل الخشونة والجهل . فوقع المسلمون تحت تصرف الأهواء وتنازع الأغراض ، فوقفوا فى السير ثم تقهقروا حتى تدهوروا . . .

وعلى مبارك يعين قاضيا ورئيسا لمحاكمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مصريين وطنيين بمنوا بوضع قنبلة تحت مجلس الخديوى إسماعيل فى الأوبرا ولكنه لم يدن أحدا لعدم كفاية الأدلة ، وهذه شجاعة كفالة بأن تضع على مبارك فوق القمة .

ولم يعجبنى فى الدراسة اتجاه المؤلفين إلى الدفاع عن على مبارك - فيما اتهم فيه ، إذ نيل من قدره ، وإن كانا قد عرضا فى كتابهما ماله وما عليه ، ولكن رأيهما كان دائما فى جانب على مبارك ، ولاسيما فى موقفه من الثورة العرابية ، فأى خذلان لحركة عرابى - مهما كانت أخطاؤها أو أى إسلام لها قد لا يجد مبررا ، وإن أى تعاون مع الاحتلال بعد هزيمة عرابى أو مع ممثل الاحتلال « توفيق » لا يجد من الأعذار ما يمحو وصمة العار عنه .

إن هذ الدراسة التاريخية لها تقديرها لدينا ، وحسبها أن عرضت تاريخا أمينا فى نقله وعرضه ، واتجاه المؤلفين إلى رأى معين ، لم يخدش قيمة هذه الأمانة .

المستقبل لهذا الدين

للأستاذ سيد قطب

كتاب جديد نشرته مكتبة وهبة بعابدين ، للأستاذ سيد قطب ، بعد أن صدر له كتابان قريبان من كتابه الجديد هما : خصائص التطور الإسلامى ، وهذا الدين .

يقرر الأستاذ سيد قطب أن الإسلام منهج حياة : حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها ، منهج يشمل التصور الاعتقادى الذى يفسر طبيعة الوجود ، ويحدد مكان الإنسان فى هذا الوجود ، كما يحدد غاية وجوده الإنسانى ، ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التى تنبثق من ذلك التصور الاعتقادى وتستند إليه .

فالأستاذ سيد قطب يبنى دراسته على أساس أن كل دين منهج حياة لأن هنالك ارتباطا وثيقا بين طبيعة النظام الاجتماعى وطبيعة التصور الاعتقادى ، بل إن هنالك ما هو أكبر من الارتباط الوثيق ، هنالك الانبثاق الحيوى ، انبثاق النظام الاجتماعى من التصور الاعتقادى ، وعلى أساس أن الفصام النكد بين الدين والحياة فى الغرب عاجلت به المسيحية ، ملابسات سيئة فى بدء نشأتها وعند انتصارها السياسى والأساس الثالث : أن الرجل الأبيض قد انتهى دوره كما يقول الفيلسوف الانجليزى براتراندرسل والأساس الرابع : أن الحضارة المادية — حضارة الرجل الأبيض فى طريقها إلى النهاية والأساس الخامس والأخير : أن هناك مخلصا له سمات وملامح لا تنطبق إلا على هذا الدين ، وبهذا يكون المستقبل له .

إن المؤلف الفنى على أى تعريف جال بنا جولة ممتعة . استطاع من خلالها إقناعنا بأن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام وحده، حرى بأن يكون مخلصا لهذا العالم من جبروت المادة وطغيان الانحلال، ورواسب الاستبداد، واستطاع تقديم نماذج من الملابسات التى عزلت المسيحية عن الحياة ولكنه لم يحدثنا عن ملابسات عزل الإسلام نفسه اليوم عن الحياة، ولا عن العوامل التى أقامت فاصلا من فولاذ بين الإسلام وبين طبيعته التى تؤكد أنه منهج متكامل لهذه الحياة، ومن أبرز هذه العوامل، تلك العقليات الراكدة التى أسهمت إسهاما فعالا فى إقامة هذا الفاصل.

والحق - مع احترامنا للأستاذ سيد قطب وقلمه وإيمانه - أن العاطفة الدينية قد احتلت فى كتابه الجديد المركز الأول، وإن كانت العاطفة ممتزجة بغيرة على الإسلام ومقوماته ومكانته اللائقة به، والذى تعاونت شتى الظروف اليوم على أن تزحزحه عنه راغما، فى غفلة من الشعوب المسلمة التى تلهو فى غفلتها، وفى غفلة من العلماء الذين تخلت عنهم شجاعة إخوانهم فى العصور السالفة، والتى لم تكن تخشى إلا الله.. والله وحده.

٤ - مبادئ الإسلام فى تنظيم الأسرة:

للأستاذ أبو الوفا المراغى.

هذا بحث صدر ضمن سلسلة كتب إسلامية التى يصدرها المجلس الإسلامى الأعلى بوزارة الأوقاف، وقد بدأ الأستاذ أبو الوفا المراغى مدير المكتبة الأزهرية هذا البحث بتفسير لمفهوم الأسرة بمعناها العام (جماعة المسلمين) وبمعناها الخاص (الزوجان والأبناء) ثم أخذ يعرض أبحاثا مركزة فى ترغيب الإسلام فى تكوين الأسرة، وأهمية الزواج، والخطبة وعناصرها ومنها المهر ومراسم الزفاف، ثم سياسة المنزل وتربية الأولاد وتعدد الزوجات.

وتحت عنوان (الأسرة الإسلامية فى حاضرها) تعرض لعامل انحلال الأسرة فى الغرب. وتحدث عن صلة الرحم وقسرها بالإحسان إلى الأقربين والعطف عليهم، وعند حديثه الأسرة العامة - أى الجماعة الإسلامية - تحدث عن العلاقات الواجب إحياؤها، ومنها ما هو إيجابى: كالتكافل الاجتماعى المالى، والتضامن الجماعى السياسى، والإيثار والمساواة والعدل والإنصاف والتضحية وإصلاح ذات البين، وصيانة الأعراض والنصيحة ومنها ما هو سلبى: كالحب وتجنب الأذى وإقالة العثرات والعفة عن الظلم..

الحق أن هذه الرسالة بحث إسلامى جدير بالتقدير، ونصوصه سليمة المصدر والرواية والسند، وإن كان هناك ما هو جدير بالملاحظة، فهو الترتيب والتخطيط الداخلى للبحث، حيث لم يعن بهما العناية الوافية، فالقارئ ينتظر أن يقرأ عناصر هذه المبادئ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على سبيل الحصر لتستقر فى ذهنه . كما أن الأستاذ المؤلف الفاضل يشير إلى حكم الإسلام فيمن يعبث بحكمة الطلاق وتعدد الزوجات وقد ذكر أن كليهما ضرورة يلجأ إليها المضطر ، وكان واسع الأفق فيما تناوله متصلا بمثل هذه القضايا التى لم تزل المعركة حولها حامية الوطيس .

٥ — الدين عند الله :

للأستاذ عبد الرحيم فوده

هذا البحث صدر أيضا ضمن سلسلة الكتب الإسلامية التى يصدرها المجلس الإسلامى الأعلى ، والمؤلف هو وسكرتير تحرير مجلة الأزهر فى غنى عن أن نعرف به قراء مجلة الأزهر .

أما البحث على إيجاز ، فقد قدم فيه دراسات طيبة عن الوحى فى ضوء العلم وشهادة الواقع ، وعن الطابع الإلهى فى القرآن ، وعن أساس الدين وهو العبادة ، وعن مكانه الصلاة والزكاة والصوم والحج من الدين ، وكذلك تناولت الدراسة مفهوم الدين وعموميته وصلته بالحياة ، وموقفه من العلم والمجتمع .

كما تناولت الدراسة علاقة الدين بالحضارة والتطور والنظام والسلام ، وهو فى الحديث عن الزكاة كركن ثالث من الأركان يتحدث ويلقى أضواء على ملامح الاشتراكية فى الإسلام فالإسلام بمدلوله الواسع الشامل يشتمل على أجمل صور الاشتراكية ، أما الأساس الذى تقوم عليه اشتراكية الإسلام فهو يختلف اختلافا جذرياً عن الأساس الذى تقوم الاشتراكية عليه فى غيره ، فهو فى اشتراكية الإسلام تعبير عن شعور كل فرد بحق أخيه عليه ، وهو عبادة مالية لا يكمل إيمان المرء المؤمن بدونها ، ولا يسلم إسلامه بغيرها .

وقد يرى بعض القراء أن لفظة الدين تشمل الدين فى عموميته (السماوى بالطبع) لأن العنوان : الدين عند الله . . . لا يشير إلى غير ذلك ، حيث أن الدين الوضعى لا تربطه بالسماء أية رابطة ، وعلى هذا الرأى كان يجب على المؤلف أن يتناول الأديان الكتابية جميعا ، ولكن يظهر من الدراسة أن المقصود بها أن تكون تطبيقا لقوله تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » .

وأنا أرى أن الدراسة كان ينقصها جانب المقارنة ، وبعض الردود على شبهات أثارها الاستشراق على بعض نواحى الإسلام التى تعرض لها فى كتابه الأستاذ فودة .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

الإسلام دين الفطرة :

ورد السيد الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية من الصومال نبأ أبان عن النصر الذى يحرزه الإسلام بالرغم من الدعاية التى يثيرها التعصب التبشيرى المستند إلى الحكومات الاستعمارية فى إفريقيا والنبأ يقول :

فى الوقت الذى تزدحم فيه حملات التبشير مع اختلاف مذاهبها فى منطقة شرق أفريقيا نجد شابا مسيحيا هانغاريا تتذوق مشاعره حلاوة الإسلام فيفر من وسط الزحام التبشيرى إلى مكتب بعثة الأزهر بالصومال ليشهر إسلامه ، ويؤكد أن الإسلام دين الفطرة ، وقد أعجبه فى الإسلام احترامه وإكرامه للإنسان دون تفرقة بلون أو عقيدة .

ولهذا فقد قرر عن اختيار أن يكون مسلما يشرف نفسه بهذا الدين السمح الحنيف .

محطة (قاب قوسين) :

أعتذر إلى القراء إذا كان هذا العنوان يجرح أذواقهم ، أو يسيء إلى شعورهم أو يبدو ركيكا تافها فإنى لم أجد كلمة أدق من هذه الكلمة فى الدلالة على الأسلوب الذى يصطنعه بعض من يتحدثون إلى الجماهير ، ويتناولون فى حديثهم تفسير بعض آيات القرآن الكريم .

استمعت إلى ندوة عقدت فى (التليفزيون) بمناسبة الإسراء والمعراج ، وكان أحد المتكلمين فيها الشيخ محمد فتح الله بدران المدرس بكلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية.

وقد عرض فى حديثه لتفسير الآيات الأولى من سورة النجم ، وراق له أن يتحدث أحيانا باللغة العامية ، ومما علق فى ذاكرتى من هذا الحديث قوله : أن محمدا مر فى رحلته (بمحطات) . محطة بيت المقدس ، ومحطة قاب قوسين ، ومحطة سدرة المنتهى ، وأنه قام فى المحطة الأولى بعملية (تفتيش) وفى المحطة الثانية وهى (محطة قاب قوسين) وقد أعاد الشيخ التعبير - تلق التعليمات فى الصلوات وغيرها . وبعد أن (عمل شغله) ونطقها الشيخ بضم اللام - فى (محطة قاب قوسين) تأخر (جبريل) لأنه ليس إلا (تشريفاتى) أراد الله أن (يفسح) نبيه فصعد به إلى محطة سدرة المنتهى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا قليل من كثير مما سمعته فى هذه الندوة ولقد عجبت أشد العجب كما تألمت أشد الألم لهذا الأسلوب الذى يذاع على الناس ، ويمس أكرم ما نعتز به فى عقائدنا .

ولست أدرى لماذا يلجأ هؤلاء السادة لمثل هذا الأسلوب ، ومن الممكن أن يتحدثوا بأسلوب عربى سهل لا يستعصى فهمه على أحد من أوساط الناس ، ولعلنا لا نجهل أن التعليم ، والصحف ، والإذاعة وغيرها قد رفعت من مستوى الجماهير فأصبح أكثر من يستمعون إلى الإذاعة المسموعة أو المنظورة يفهمون ما يقال باللغة العربية السليمة :

ولقد كان من استمع إلى هذا الحديث — معى — وأنكره تلاميذ فى المرحلة الإعدادية لم يرقهم أن يقول الشيخ عن جبريل إنه (تشريفاتى) ولا عن محمد صلى الله عليه وسلم إنه (عمل شغله عند محطة قاب قوسين) ثم ذهب (يتفسح) عند محطة سدرة المنتهى .

وقد فهم بعض المستمعين أن (قاب قوسين) اسم موضع فى السماء ، لأن الشيخ كرر التعبير دون أن يشير إلى شرحه ، وأنا أعتقد أن الشيخ لم يغب عنه معنى هذا التعبير ولكن صنيعه يشعر بما فهمه هؤلاء المستمعون .

ولقد ذكرنى هذا الحديث بما أملاه بعض أساتذة الجامعة المصرية على طلابه فى تفسير قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) حيث قال : (ليس محمد إلا ساعى بريد) .

وإنى لأجزم أن أى رجل من العامة يستحى أن ينطق بمثل هذه التعبيرات .

على أن الذى نرجوه من الإذاعة ومن غيرها أن ترقى لا أن تهبط بلغة الحديث ، وعب ذلك يقع على المتحدثين أنفسهم أكثر مما يقع على المشرفين على شئون الإذاعة

وليست اللغة العربية لغة جامدة أو ضيقة ، بل هى لغة مرنة واسعة ، يستطيع أى متحدث من هؤلاء الذين يقفون على مثل هذه المنابر أن يصطنعوها وأن يبلغوا ما يريدون من تفهيم المستمعين .

والدليل أمامنا وفى أيدينا ، فبعض المتحدثين لا يستعمل فى حديثه كلمة عامية واحدة ، ومع ذلك هم من أحب المتكلمين إلى الجماهير .

هذا ما أرجوه فإذا ركب بعض الأساتيذ رأسه ، وأبى إلا أن يتحدث لغة عامية ، فليراع أذواق الناس ، ولا سيما عند ما يتعرض لمقدساتنا الدينية والله المستعان .

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

موازنة لا مقارنة

نشرت مجلة الأزهر فى عدد شعبان مقالا للأستاذ العوضى الوكيل يوازن فيه بين قصيدة « البحترى » فى الذئب ، وبين قصيدة الشاعر الفرنسى « الفريددى فينى » فى الذئب أيضا ، وقد وضع المقال تحت عنوان « أدب مقارن » ، وكان ينبغى أن يكون العنوان هو « موازنة » إذا لمقال منها وليس من الأدب المقارن .

لأن للأدب المقارن مفهوما محددا عند دارسيه - يخالف المفهوم الشائع لكلمة « مقارن » أو « مقارنة » - هذا المفهوم هو (البحث فى الصلات التاريخية بين الآداب المختلفة وما لهذه الصلات من تأثير أو تأثر) [٢] .

وإذن فليس من الأدب المقارن - بهذا المفهوم (ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم فى الآخر نوعا من التأثير [٢] كما فى قصيدتى الذئب فى مقال الأستاذ العوضى ومثلهما قصيدتا « البحيرة » للبحترى وللامرتين الفرنسى .

ومن تعريف الأدب المقارن السابق يخرج منه أيضا (ما يساق من موازنات فى داخل الأدب القومى الواحد ، سواء أكانت هناك صلات تاريخية بين النصوص المقارنة أم لا . [١] أما الأدب المقارن بالمعنى السابق فمثاله أن نقارن « مصرع كليوباترا » لأحمد شوقى بمن كتبوا فى هذا الموضوع من أدباء الغرب مثل « شكسبير » « دريدن » الانجليزيين و « لاشابل » و « مارموتتل » وغيرهما من الفرنسيين .

أو ندرس مثلا أحمد شوقى وتأثره بلافونتين فى فن « الحكاية على لسان الحيوان » .

ومن هنا كان وضع المقال تحت العنوان المذكور فيه خلط ، لانعدام الصلة بين « البحترى » و « الفريد دى فينى » من الناحية التاريخية ومن ناحية هدف كل من القصيدتين . وكل ما بينهما من صلة هو التوافق فى الاسم وفى الانتهاء بالقضاء على الذئب .

عبد الوارث سعيد
- دار العلوم -

نرحب بهذه الملاحظة ، مع ملاحظة أن الاصطلاح الذى ذكره الكاتب لم يصل إلى الحد الذى يقال فيه « لامشاحة فى الاصلاح » وقد أراد الكاتب بالمقارنة الموازنة ؟

« المجلة »

---

[١] الأدب المقارن . تأليف د . محمد غنيمى هلال ط ٣ ص ٨ .

[٢] المرجع السابق ص ١٦ .

[٣] المرجع السابق ص ١٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجمع اللغة العربية في المغرب

قالت البنية المغربية ما يأتي : يدرس المغرب امكانية تكوين مجمع مغربي للغة العربية ، وتدرس هذا الموضوع لجنة مكونة من ممثلي وزارة الدولة للشئون الإسلامية ووزارة التربية الوطنية والمكتب الدائم لمؤتمر التعريب التابع لجامعة الدول العربية .

وتدخل هذه الفكرة في إطار الدعوة التي وجهها مؤتمر التعريب لسائر الدول العربية لتكوين مجامع علمية في كل بلد منها على أن توحد هذه المجامع في مجمع واحد أو تحت اتحاد واحد لتقوم بعمل مشترك لصالح اللغة العربية في كل أقطارها .

والفكرة مهمة جدا وخاصة في بلاد المغرب العربي التي استبدت اللغات الأجنبية فيها بميدان التعبير العلمي والحضاري ، فالمسميات الحديثة علمية وحضارية أغلبها أجنبي ، وما تزال تطغى الأعجمية على المصطلحات بتطور الحضارة والعلم حتى إنه يخشى أن يأتي يوم لا تجد فيه العربية مكانها في عقول المثقفين وأقلامهم .

ولكن مجامع اللغة العربية يجب أن تكون علمية أكثر منها نظرية ، وإحياء القديم لا يجب أن يطغى على مسايرة الحديث ، وتجديد اللغة لا يجب أن يختفي وراء صقلها والمحافظة على قديمها .

لهذا نعتقد أن مهمة هذه المجاميع يجب أن تكون مهمة تجديد بتتبع المبتدعات الحضارية والعلمية الجديدة وصياغة مصطلحاتها في الفاظ وتعابير والعمل على إدخالها في كتب الدراسة العلمية واللغوية في جميع المدارس العربية لتتكون الاجيال الحديثة تكوينا عربيا ، ولتستعيد قدرتها على التفكير والتعبير باللغة العربية السليمة .

وإذا كانت هذه مهمة كل مجمع من مجامع البلاد العربية ، فيجب أن تكون مهمة اتحاد المجامع حتى يستطيع هذا الاتحاد أن ينسق بين جهود المجامع وأن يجعل من انتاجها انتاجا لجميع البلاد العربية لا لبلد واحد فقط .

ومن المهام التي يجب أن تضطلع بها المجامع المحلية دراسة اللغة العربية في كل قطر واستخراج المصطلحات والتعابير السليمة التي ينبغي أن تدخل اللغة الفصحى ، ففي كل بلد عربي ترسبت كلمات وتعابير لا توجد في غيره ، وتلك ثروة اللغة العربية لا ينبغي أن تضيع .

فعسى أن تجد هذه المجامع طريقها إلى النور في أقرب وقت ، فإن الأحياء التي ستقوم بها لا تنتظر .

ذكرى مصطفى صادق الرافعي

اجتمعت اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى مصطفى صادق الرافعي بنادي طنطا الرياضي في تمام الساعة السادسة من مساء الأحد الموافق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١٣ شعبان ١٣٨٢ - ١٣ يناير ١٩٦٣ بحضور السادة اللواء سيد مكرم خليل رئيس مجلس مدينة طنطا والأستاذ محمد محمد عبد الرحمن المدير العام لمديرية التربية والتعليم بالغربية والآنسة إقبال حسن عميدة دار المعلمات وعضو مجلس المحافظة والأستاذ محمد شفيق الملوانى سكرتير عام مجلس المدينة والأستاذ عبد اللطيف الشنوانى المحامى وعضو مجلس المدينة والدكتور محمد الرافعى المدير العام المساعد بالمنطقة الطبية بالغربية والدكتور فوزى عبده حكمباشى مستشفى الجذام بطنطا وعضو مجلس المدينة والسيدة زينب الرافعى مديرة التأمينات الاجتماعية بالشئون الاجتماعية بالغربية والأستاذ محمود سعيد الإخصائى الاجتماعى ومندوب الثقافة الحرة بطنطا والأستاذ محمد ابراهيم مصطفى رئيس الشئون العامة وممثل الشبان المسلمين بالغربية والأستاذ سيد وهبى ممثل الصحافة بالغربية .

وقد افتتح السيد اللواء سيد مكرم خليل الجلسة قائلا :

إننا فى عهد الحرية والإنصاف وإن الثورة لم تنصف الأحياء فحسب بل امتدت رعايتها إلى إنصاف العاملين والمخلصين من أبناء الجمهورية ممن صادفتهم ظروف صعبة ولم يخلدوا فى العهود البائدة عهود الملكية والرأسمالية والطغيان فعمدت الثورة إلى مكافأة وتقدير الأحياء وتخليد ذكرى الراحلين والاعتراف بفضلهم ومع هذا الاتجاه الكريم للثورة الخالدة تجتمع اليوم اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى الرافعى تستلهم من خلق الثورة وتستضىء بمبادىء السيد الرئيس العظيم فى تكريم الخالدين ، ولقد عرضت أيها الأخوة فكرة هذه اللجنة الموقرة على السيد المحافظ فوجدت سيادته متحمسا ومؤيدا لها كما أنه يرجو لنا النجاح والتوفيق والسداد وإنه من حظ هذه المدينة المباركة أن تكون منتدى حياة ومثوى رفاة هذا العلم العظيم والأديب الكبير ، وإننى أرجو وأتمنى من كل قلبى أن تحقق هذه اللجنة التى تضم النخبة الكريمة الممتازة من مواطنى طنطا العزيزة ما يترقبه منها أدب الرافعى وإنتاجه كما وأنه من حسن الحظ أن يكون من بيننا الأستاذ الكبير محمد محمد عبد الرحمن المدير العام للتربية والتعليم الذى نرجو فى وجوده أن توفق اللجنة فى خطواتها وإننى على أتم استعداد لتنفيذ كل ما تقرره اللجنة من مشروعات .

وطلب المجلس من الأستاذ محمد ابراهيم مصطفى تلاوة المقترحات ، وناقشت اللجنة هذه الاقتراحات واستقر الرأى على ما يأتى :

أولا : الموافقة بالإجماع على إطلاق اسم مصطفى صادق الرافعى على شارع البورصة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بطنطا على أن يسمى شارع الرافعي حاليا (الشيخ بك سابقا) باسم الفيلسوف الكبير يوسف كرم .

ثانيا : الموافقة بالإجماع على إقامة تمثال نصفي يوضع في مدخل دار كتب المدينة على أن تطرح مسابقة إقامة التمثال على المثالين بالمواصفات التي تقررها اللجنة الفنية التي سيشكلها مجلس المدينة لهذا الغرض على أن يفضل أبناء الغربية في حالة تماثل الكفاءة .

ثالثا : الموافقة بالإجماع على إقامة مسابقة سنوية تكافأ بها أحسن البحوث في مؤلفات الرافعي على أن تنظمها مديرية التربية والتعليم وتخصص لها من ميزانيتها الحالية الجوائز المناسبة كما تحدد شروطها ومواعيدها .

رابعا : الموافقة على إطلاق اسم مصطفى صادق الرافعي على مدرسة القاصد الثانوية بطنطا .

خامسا : الموافقة بالإجماع على تخصيص ركن بإحدى قاعات دار الكتب بالمدينة تجمع به مخطوطاته والخطابات المتبادلة بينه وبين أصدقائه من الشخصيات البارزة أمثال سعد زغلول والأدبية مي وما لدى الأسرة حاليا من مخلفات .

حول فهرس العدد

طالما طالعتنا مجلة الأزهر الشريف بمقالات وبحوث قيمة هي خلاصة آراء وأفكار انتفع بها كثير من القراء ، وقد دأبت المجلة على نشر فهرس مع كل عدد ولكني منذ فترة لا أجد بها فهرسا للموضوعات وهو مهم بالنسبة للقارئ . وإذا كانت المجلة مزدحمة فني غلافها ما يكفي لوضع الفهرس كما كان يحصل في الأيام السابقة بالنسبة لهذه المجلة . وأرجو أن تطالعنا في عددها القادم وقد حوت فهرس العدد ولسيادتكم الشكر ؟

محمد عبد الرحمن الكردي

المدرس بالأزهر

(المجلة) اكتفينا بالفهرس السنوي العام لأن فهرس العدد يغني عنه أن يتصفحه القارئ بسرعة ، ولعلنا نوفق فيما بعد إلى إجابة طلب الأستاذ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باب الفتاوى :

من أضابير لجنة الفتوى

بشرف عليه : ابراهيم محمد الأصيل

السؤال :

موعد الصيام وتوحيده

١ ـ بماذا يتحدد بدء موعد صوم رمضان على أهل الفلبين حتى يجب عليهم الصوم ؟

٢ ـ وإذا تحدد بدء موعد صوم رمضان فى بلد إسلامى كالجمهورية العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم فهل يتحدد بذلك بدء موعد الصوم فى جميع البلاد الإسلامية فيجب عليهم ؟ .

السكرتير العام المساعد للجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم .

الجواب :

يتحدد بدء موعد صوم رمضان لأهل الفلبين كغيرهم من البلاد الإسلامية فيجب عليهم الصوم ، بكمال شعبان ثلاثين يوما أو برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان فى حق من رآه عند جميع العلماء .

ويتحدد بدء موعد الصوم فى حق من لم يره فيجب عليه الصوم بثبوت رؤية الهلال عند القاضى وحكمه بذلك فيقول ثبت عندى رؤية الهلال أو حكمت بذلك ، وتثبت الرؤية بشهادة عدلين يقول كل منهما عند القاضى : « أشهد أنى رأيت الهلال » فيحكم القاضى بثبوت الرؤية على ذلك ، كما تثبت بالاستفاضة عند جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب عادة عند مالك وأبى حنيفة . وبشهادة العدل عند أحد ، وعند أبى حنيفة إذا كان فى السماء علة من غيم أو ضباب أو غيرهما وعند مالك فى حق أهل بلد لا يعتنون بأمر الهلال . وهو الصحيح من مذهب الشافعية لقوله صلى الله عليه وسلم : (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) ولما ثبت من أنه صلى الله عليه وسلم قبل شهادة الأعرابى وحده وشهادة ابن عمر وحده فصام وأمر الناس بالصيام للاحتياط فى أمر العبادة .

وعن السؤال الثانى : نفيد بأنه إذا ثبت تحديد بدء موعد الصوم فى بلد إسلامى كالجمهورية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم ، لزم حكمه جميع البلاد الإسلامية فى الأرض جميعها عند مالك وأحمد وأبى حنيفة والشافعى وبعض أصحابه ، لأن الحكم منوط بالرؤية وقد ثبتت بشهادة الثقات عند القاضى وحكم بها وبشهود الشهر وقد حصل بذلك ، والكثير من أصحاب الشافعى على أنه إنما يجب على من قرب من بلد الرؤية دون من بعد ويحصل القرب باتحاد المطالع فى الأصح وعلى ذلك بعض أصحاب مالك وأبى حنيفة قياسا على طلوع الفجر وشروق الشمس وغروبها ، ولاشك أن ذلك يختلف باختلاف البلاد وتباعد الأقاليم فليكن الهلال مثله ومن المقرر أنه إذا رؤى فى بلد شرقى لزم أن يرى فى البلد الغربى ولا يلزم من رؤيته فى الغربى أن يرى فى الشرقى لتقدم الشروق والغروب فى الشرقى عن الغربى .

ونرى ترجيح ما عليه الأئمـــة مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد من توحيد بدء موعد الصوم فى جميع الأقطار والبلاد الإسلامية بثبوته فى إحداها وإن اختلفت مطالعها فإن المطالع مهما اختلفت فإنما ذلك بساعات لا تبلغ نهار الصوم بخلاف الفجر والشروق والغروب فإن الاختلاف قد يكون بما يستغرق وقت الصـــلاة فاختلف الحكم .

ثبوت الرؤية عن طريق المذياع

السؤال :

هل يجوز أن نأخذ بخبر رؤية هلال رمضان عن طريق المذياع فيثبت الشهر عندنا فى رؤية الهلال فى مصر أو فى مكة إذا بلغنا الخبر عن طريق المذياع ؟

مبعوثو الفلبيين

الجواب :

لكم أن تعتمدوا فى ثبوت رؤية الهلال على إخبار المذياع لكم بأن هلال رمضان أو شوال قد ثبت فى مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية فى وقت كذا ويثبت الشهر عندكم بذلك لأن المذياع طريق مأمون الخطأ متى كان صادراً من بلد إسلامى يعتمد على إذاعته .

ثبوت الرؤية نهارا

السؤال :

إذا وصل خبر ثبوت الرؤية عن طريق المذياع نهاراً فماذا يفعل أهل بلاد الفلبيين ؟

مبعوثو الفلبيين

الجواب :

يجب عليهم الإمساك بقية اليوم الذى علموا فيه ولو سبق تناول مفطر حفظا على حرمة اليوم ثم يطالبون بقضاء ذلك اليوم بعد انتهاء شهر رمضان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قضاء رمضان :

السؤال :

شخص فرط فى صيام رمضان مدة من السنوات لا يعرف عددها وهو الآن يندم على ما فاته ويريد قضاء الصيام السابق ولكن كبر السن قد يحول دون قضاء هذا الصوم فماذا يفعل ؟

عمر عبد القادر الأمين

الجواب :

يجب عليه قضاء ما فرط فيه من الصوم ويعمل بما غلب على ظنه من عدد الأشهر التى فرط فيها ، فإذا عجز عن القضاء لكبر سنه أو لمرضه مثلا كان عليه الفداء عن كل يوم مد من الطعام ، فالشهر الواحد يخرج عنه كيلتين أو ثمنهما .

الحقن وحكمها فى رمضان :

السؤال :

١ — أرجو بيان الحقن التى تفطر والحقن التى لا تفطر ؟

٢ — توجد حقن تشتمل على « فيتامينات » تؤخذ فى العضل ، فهل مثل هذه الحقن تفطر إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها فى نهار رمضان ؟

الجواب :

الحقن التى تؤخذ فى العضل أو فى الوريد لا تفطر لأنها من منفذ غير منفتح انفتاحا ظاهرا محسوسا

وعن الثانى نقيد بما أفدنا به عن الأول وعليه فالحقن التى تشتمل على « فيتامينات » إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها فى العضل أو الوريد فى نهار رمضان لا تفطر .

هل تغنى الصدقة فى المرض عن قضاء الصيام :

السؤال :

١ — سيدة مصابة بمرض السل وطال علاجها مدة ثلاث سنوات وقد أشار الطبيب عليها بالإفطار فى شهر رمضان خلال هذه المدة وكانت تتصدق على الفقراء المستحقين ثم شفيت الزوجة وتابعت الصيام بعد شفائها ولكن فى قلبها ريب وتنوى أن تقضى الثلاثة أشهر المتروكة فهل تقضى المدة المتروكة جميعها فى آن واحد أم تكتفى بالنفقة التى دفعت فى حينها أم تقضى الصيام بصورة تدريجية ؟

صلاح الصويغ

(عرعر — المملكة العربية السعودية)

الجواب :

الفدية التى دفعت وقعت الموقع فلا تطالب بالقضاء بعد شفائها وهذا على الراجح من مذهب الشافعية رضى الله عنهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوحدة فى الأمور الشرعية

السؤال :

فى بلادنا (جمهورية جنوب إفريقيا) مشكلة كبيرة يمر بها المسلمون البالغ عددهم حوالى المائة ألف مسلم وتتلخص هذه المشكلة فى أن مطلع القمر فى بلادنا يختلف من مكان لآخر ويوجد لدينا ما يسمى بالمجلس الشرعى نظراً لعدم وجود حكومة إسلامية فالمسلمون فى بلادنا منقسمون إلى فريقين : الأول يؤيد المجلس الشرعى ، والفريق الآخر يعارضه فى قراراته . وسبب هذه المعارضة هو عدم وجود السلطة بالنسبة للمجلس إذ أنه ليس منصبا من حاكم إسلامى أو حكومة إسلامية .

١ ـ فهل لهذا المجلس السلطة الشرعية ؟

٢ ـ هل لهذا المجلس ولاية على عامة المسلمين فى أرجاء بلادنا ؟

٣ ـ هل يجب علينا اتباع آراء وقرارات هذا المجلس ؟

قاسم بن الإمام أمين
من مسلمى جنوب إفريقيا

الجواب :

فى تلك البلاد التى ليست فيها حكومة إسلامية يجب على جماعة المسلمين فيها أن يختاروا من أهل العلم فيهم من يتولى تصريف شئونهم الإسلامية ويقوم بوظيفة الحاكم الشرعى وإذا تم هذا كان على جماعتهم اتباع هذه الهيئة المختارة فيما تقرره مما ليس فيه معصية لله تعالى جمعا للصفوف وتوحيدا للكلمة .

وعليه فالذى حصل فى تلك البلاد من تأليف مجلس من جماعة العلماء وقع فى محله والمجلس الذى كونوه سلطة الحاكم الشرعى فيجب اتباعه فيما يراه مما يحقق مصلحة المسلمين ، ولا تجوز مخالفته منعا للمنازعات وتفرق الكلمة والله تعالى يقول « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

الصيام فى بلاد النهار فيها والليل عدة شهور

السؤال :

يعيش بعض الناس فى بلاد النهار فيها عدة شهور وكذلك الليل فكيف يؤدون الصلاة والصيام فى أوقاتهما ؟

الحاج على قليج آلب
(رواق الأتراك)

الجواب :

هؤلاء يقدر لهم شروق وغروب ومقادير للأوقات بحسب أقرب بلد إليهم فيها شروق وغروب معتادان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صلاة التراويح

السؤال :

أرجو بيان كيفية صلاة التراويح وكم عددها ؟

أحمد أحمد كبصو

تل رفعت ـ إعزاز ـ سورية

الجواب

الثابت أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه رضى الله عنهم ثمان ركعات فى جماعة ثم أتمها فى البيت عشرين ركعة وكان يسمع له أزيز كأزيز النحل لجمع عمر الناس على عشرين وهذا هو المذكور فى كتب الفقه فى باب صلاة التراويح .

زكاة الفطر

السؤال :

أرجو بيان نصاب زكاة الفطر ؟

إبراهيم وكمال يوسف

الجواب :

نصاب زكاة الفطر على مذهب الإمام مالك رضى الله عنه هو ثمانية أقداح بالكيل المصرى تجزى عن ستة أشخاص وهى من غالب قوت بلد المزكى .

ويخرج الشخص عن نفسه وعمن تلزمه نفقته بقرابة أو زوجية أو نسب والأفضل إخراجها قبل صلاة العيد وبعد صلاة الفجر.

وعلى مذهب المالكية أيضا يصح تعجيل الزكاة قبل العيد بيومين ، ويجوز على بعض المذاهب إخراجها من أول شهر رمضان .

ويجوز أيضا فى بعض المذاهب إخراج قيمتها .

تعليق على

زكاة الزرع

السؤال :

فى الفتاوى المنشورة بعدد رجب اختارت لجنة الفتوى فى زكاة الزرع رأى أبى حنيفة استنادا على أنه الأرفق بالعباد ، على أن هذا الرفق ذو شقين وفى الغالب يتأتى بمراعاة جانب الفقراء فى هذه المسألة كما شاهدته أنا .

عبد الله الشريف

طالب بكلية الشريعة

الجواب :

ربما كانت الظروف التى صدرت فيها الفتوى تقضى الأخذ برأى أبى حنيفة تيسيرا على الزارع . فإذا كانت الحال تقتضى الرفق بالفقراء فاللجنة ترى الأخذ برأى غير أبى حنيفة من إيجاب الزكاة على الزارع متى اجتمعت شروطها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوده

الإسلام والقومية العربية :

. . وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى رأيين فى علاقة الإسلام بالقومية العربية لأستاذين أزهريين : أحدهما الأستاذ عبد الرحيم فوده . وثانيهما الأستاذ محمد الغزالى ، فقد جعل الأول عناصر القومية أو مقوماتها خمسة هى : البيئة ، واللغة ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة ، والدين ، واعتبر هذا العنصر الأخير مندمجا ومشتبكا فى كل العناصر الأربعة المتقدمة . إذ يقول : « إذا كانت البيئة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة - كما قدمنا - من أهم المقومات التى تقوم عليها كل قومية ، فإن الدين يندمج فيها ، ويمتزج بها ، ويدخل فى كل عنصر من عناصرها . ويشتبك معها بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التغافل عنها » (١) ونحن إذا نظرنا ملياً فيما يهدف إليه لا يخرج قوله عن لزوم الدين وضرورته لحياة المجتمع حياة فاضلة ، وهو لا يمنع تعدد الأديان فى المجتمع الواحد والقومية الواحدة . فهو يقول فى معرض الرد على من لا يريد اعتبار وحدة الدين أساسا للقومية العربية نظراً لوجود عدة ديانات - أخرى غير الإسلام - فى الوطن العربى ما يلى : قد يقول قائل : وكيف نؤثر ديناً على دين فى مجتمع يقوم على عدة أديان وتنقسم أهله عدة عقائد . وفى ذلك ما فيه من إغضاب فريق وإرضاء أو مجاملة فريق على حساب فريق . ؟ والجواب على ذلك أن الحرية تتسع لعدة عقائد تقوم عليها عدة طوائف ، بحيث تعمل كل منها فى ظل عقيدتها الخاصة بها منفردة عن الأخرى . ثم تلتقى جميع الطوائف لتتضامن وتتعاون على تحقيق الهدف المشترك والمصلحة العامة وبذلك نضمن مجموعات قوية فى بناء الأمة يشد بعضها أزر بعض . » وقصارى القول أن تعدد الأديان وتعاونها ممكن فى الجماعة الواحدة ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد . ليس ركناً من أركان القومية الواحدة ، وكل الذى كان يهدف إليه المؤلف هو تأكيد أهمية الدين وحاجة الجماعة إليه ليقيها من الأعاصير ، ولذلك نراه يقول : « ومن هذا الجانب

---

(١) انظر ص ٤٧ من كتاب الإسلام والقومية العربية الطبعة الأولى ١٩٦١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تظهر الحاجة إلى الدين ، ويظهر الدين ضرورة لا محيد عنها لرد مختلف الأعاصير والتيارات التي تهدد كياننا الاجتماعي ، وقد عرفنا الدين الذي يعترف بكل دين سماوي ، وتتلاقى فيه فضائل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية . ويتفق الأخذ به مع منطق الديمقراطية(١) .

من كتاب القومية العربية
للأستاذ عبد الرحمن البزاز
عميد كلية الحقوق ببغداد سابقاً

التعليق

إن مكانة الأستاذ الفاضل السيد عبدالرحمن البزاز بين قومه في العراق وبين كبار الأحرار المجاهدين في سبيل القومية العربية تطل على قلبي وهو يتحرك ليرد عليه ويلفت النظر إلى ما عقب به في كتابه على كلامي من استنتاج خاطىء ، فإن قوله : ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد ليس ركنا من أركان القومية الواحـــدة ليس هو النتيجة المعقولة لامتزاج الإسلام بكل العناصر التي تتكون منها القومية العربية من لغة وبيئة وتاريخ ومصالح مشتركة ، وليس هو كذلك النتيجة المعقولة لقولي : وقد عرفنا الدين الذي يعترف بكل دين سماوي وتتلاقى فيه فضائل كل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية ويتفق الأخذ به مع منطق الديمقراطية

وقد فصلت في كتاب الإسلام والقومية العربية كل ما يتصل بهذه المعاني ، ولم أقصد به مجرد الحديث عن ضرورة الدين ، وإنما قصدت به الرد على فريقين كنت ولا زلت أراهما منحرفين فريق الذين يرون في الإسلام دينا عربيا لا يتجاوز العرب إلى غيرهم ، وفريق الذين يرون تنحية الإسلام عن مفهوم القومية العربية ، فكلاهما منحرف عن الجادة بعيد عن الحق لأن الإسلام من حيث موضوعه وتشريعه عام لكل الخلق والأنام ، وهو من حيث اللغة التي نزل بها القرآن ونطق بها النبي عليه الصلاة والسلام عربي لم تكتسب قومية ما اكتسبته القومية العربية به ، بل لم يقم للقومية العربية كيان فرض وجود على الوجود إلا على هداه ونوره .

وحسبي وحسب القراء هذا التعليق القصير على كلام رجل يتمتع بكثير من التقدير .

بعض الظن إثم

لقد ظن أهل الغرب أو بعض أهله
وبعض ظنون الناس والناس مأثم
بأن بقاء المسلمين جميعهم
على الجهل أعصارا من الدين ينجم

---

(١) انظر ص ٥١ من الكتاب المشار إليه فيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقد جهلوا الإسلام كل جهالة
فآذوه وما شأن من ليس يفهم

جميل صدقي الزهاوي
من كتاب الزهاوي وديوانه المفقود
للاستاذ هلال ناجي ،

قاضية

بلغنا أيام انحلال الأندلس أنه كان في بلد فيها يسمى «لوشة» قاض كانت تفتن امرأته وتشير بالأحكام فينفذها فقال الشاعر الساخر

بلوشة قاض له زوجة
وأحكامها في الورى ماضية
فياليته لم يكن قاضيا
وياليتها كانت القاضية

الأستاذ محمد أبو العيون
من مجلة لواء الإسلام

ارث النبوة الخاتمة

إن فلسطين إرث النبوة الخاتمة من النبوات المتقادمة ، نفذ فيه عمر وصية الإسلام ، وحرره أبو عبيدة وأصحابه في الأولين من رق الرومان ورجس الأوثان ، وأدت وقائع اليرموك وأجنادين شهادتها على استحقاقنا لهذا الإرث ثم طهره صلاح الدين وجيشه في الآخرين من أدران الصليبيين ، وكانت وقائع حطين وعكا وغيرها تزكية لتلك الشهادة باستحقاقنا لهذا الإرث واقتدارنا على حمايته.

إن أعمال أجدادنا في فلسطين وإرثها وحمايتها هي وصية صريحة لنا بالمحافظة عليها ، وحجة ناطقة علينا إن نحن قصرنا فيها أو فرطنا في جنبها ، فيالتراث بنوى حماه الأسلاف الصالحون ، وأضاعه الأخلاف المفرطون .

ما أضاع فلسطين إلا العرب ، وقد جاءتهم النذر فتماروا بها ، ثم حق الأمر وهم فارون فاندهشوا ، ثم وقعت الواقعة فابلسوا ، وعمد خطباؤهم إلى الخطب ينمقونها . وشعراؤهم إلى القصائد يزوقونها ، وساستهم إلى الدعاوى يلفقونها ، وعامتهم إلى الخرافات يصدقونها بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد يسوقونها ، وإلى الأهواء ينفقونها ، وعمد خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها ، وإلى العهود يمزقونها . وقضي الأمر ، وأوسعناهم سبا وراحوا بالأبل . وبعد أن كنا نقول نحن أهل فلسطين ، أصبحنا نقول ما قالته الجرهمية في مكة .. بل نحن كنا أهلها .

ولا أدري كيف تنتصر أمة تقطعت بسوء صنيعها أمما ، ثم تدلت في الذل حتى صارت تطلب الرحمة من معذبها ، وتعطى الدية لقاتلها ثم ارتكست في السقوط حتى أصبح نصف ملوكها صبيانا ، وأكثر أدلائها عميانا

محمد البشير الابراهيمي
من مجلة الرسالة عام ١٩٦٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى أنفسكم . . أفلا تبصرون . . . !

إن أمامنا كتاب الله الكريم ، وهو معجزته الخالدة ، وآيته الكبرى ، فيه ضياء للقلوب وهدى للعقول ، وشفاء للنفوس ، وبشرى للمحسنين ، وفيه إشارات كلية مجملة لآيات الله الكونية . المادية منها والمعنوية ، أما التفصيلات الجزئية فقد أودعها الله كتاب الكائنات ، أو كتاب الحياة ، فالقرآن الكريم يرشدنا إلى أن ندرس آيات الله الكونية فى ملكوت السموات : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » . كما يرشدنا إلى أن نجوس خلال الأرض باحثين منقبين : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » . وهو مع هذا وذاك يدعونا إلى أن نتدبر العوالم الخفية فى النفوس البشرية فيقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

وإذا تدبرنا النفس البشرية ، ونفذنا إلى داخلها وأمعنا فى مجاهلها صادفنا الجهاز العصبى ، وهو همزة الوصل بين العوالم المادية والعوامل المعنوية فى آفاق النفس البشرية ، وهو أشبه بجهاز حكومى مركزى تركيزا شديدا فى مكتب رئيس يتصل مباشرة بعدد ضخم من المكاتب الفرعية التى يعمل فى خدمتها ملايين الموظفين.

هؤلاء الموظفون هم الخلايا العصبية التى نسميها (النيورونات) .

ويوجد بالجسم ألف مليون خلية عصبية لكل منها عمل خاص ، ومن الغريب أن هذا العدد يعادل أو يقارب سكان الكرة الأرضية اليوم ، وهذه الخلايا يشرف عليها وينظمها المكتب الرئيسى فى دقة بالغة وفى تنسيق عجيب ، ومن الغريب أن هذه الخلايا لا تتشابه وإنما تختلف حجما وشكلا ومظهرا ، بعضها يشبه العنكبوت وبعضها يشبه الشجرة ، وبعضها عصوى الشكل ، وبعضها مثل كتلة من الأعشاب البحرية ، وبعضها تستطيع العين رؤيته ، وبعضها لا تستطيع أن تميزه وقد تمتد فروع بعضها امتدادا ضئيلا ، وقد تمتد فروع البعض الآخر ابتداء من أعلى المخ إلى نهاية الحبل الشوكى ، وهى مسافة لا تقل عن ثلاثة أقدام ، وهذا يذكرنا بسكان كوكبنا الأرضى فتبارك الله العظيم « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

دواؤك فيك وما تبصر
وداؤك منك وما تشعر
وتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

الدكتور سيد محمد أبو المجد

من محاضرة فى موضوع الملكات النفسية فى القرآن الكريم